

# الكتاب وجذبات نظر

في الثقافة والسياسة والفن

Weghat Nazar - Volume 6 - Issue 67 - August 2004

مجلة شهرية، العدد السابع والستون، السنة السادسة، أغسطس ٢٠٠٤، ثمن عشرة جنيهات



الإمارة سيف ومنسف .. دولة القبيلة العربية  
مازن النجار  
بينوكيو .. الولد الطيب الشرير  
تانيا ل. جرين  
الطباخ .. الفنان .. الضحية .. سيرة حياة غير عادية  
مصطفى الرزاز  
حين تصبح الحرية أداة للقهور  
جلال أمين

# شكراً



rejoignez  
**2** millions  
d'abonnés nous

تتقدم شركة أوراسكوم تيليكوم بخالص الشكر والاعتراف لكل الفنانين العرب الذين شاركوا الاحتفال في الجزائر بوصول عدد مشتركى شبكة جازى جى إس إم إلى ٢ مليون مشترك نشكركم لدعمكم الثقافى والفنى الذى كان له أثره العظيم فى قلوب شعب الجزائر الشقيق

Sponsorisé par



Membre du groupe Orascom Telecom

Fast & the World



The Communications Company of the Middle East

الكتب  
وجهات نظر

في الشفافة والسياسة والفكر



تصدر عن:

الشركة المصرية

للنشر

العربي والسوداني

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني

حلمي القسوي

مدير التحرير

أيمن الصبيح



## كتاب العدد :

- ١. اليونسكو، استنادة اللغة الإنجليزية بجامعة كورنيل.
- ٢. الدكتور هاجر، مدرس العلوم السياسية بكلية كورنيل بالولايات المتحدة.
- ٣. أيمن الصبيح .. مصفى.
- ٤. لانا ل. جرين .. باعثة بنظمة نساء من أجل أمريكا.
- ٥. جلال أمين .. استناد الاقتصاد بالجامعة الأمريكية في القاهرة.
- ٦. جيني أجو .. كاتبة إنجليزية.
- ٧. حلمي محمد الخاعود .. استناد الأدب والنقد بجامعة طنطا.
- ٨. ستيفن واينبرج .. استناد العلوم بجامعة تكساس وحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء ١٩٩٦.
- ٩. عبد الرشيد الصفاق محمودي .. استناد الأدب العربي في جامعات فرنسا.
- ١٠. عبد العظيم أبوس .. استناد الإحصاء الرياضى للقرن بجامعة عين شمس.
- ١١. ملان التجرار .. باحث وأكاديمي فلسطيني.
- ١٢. مصطفى الوزار .. شان تشيكلى وكاتب.
- ١٣. دافرفرجالى .. مدير مركز الشكلا للدراسات.
- ١٤. دويل على .. خبير الأبحاث اللغوية العربية والإنجليزية.
- ١٥. ويليام ماكنتيل .. استناد التاريخ بجامعة شيكاغو.
- ١٦. ياسر علوى .. باحث في الاقتصاد السياسى والملاقات الدولية.

رسوم العدد للضائين :

محمد حجي .. سعد الدين شحاته .. أحمد النجاد

لوحة الغلاف للكتاب حلى التوى / ٢٠٠٤ / زيت على قماش / ٧٠ × ٦٠ سم



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية  
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها، بغض عن كسبى مسبق من الناشر.



## المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى  
٢ ميدان طلعت حرب .. القاهرة .. جمهورية مصر العربية  
ت : ١٩٢-١٩٢ / ٢٩٢-١٩٢ / ٢٩٢-١٩٢ / ٢٩٢-١٩٢  
فاكس : ١٩٢-١٩٢ / ٢٩٢-١٩٢ / ٢٩٢-١٩٢  
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@aloktob.com  
e-mail : info@aloktob.com  
www.weghatnazar.com  
المراسل على الإنترنت :

## الاشتراكات :

السنة الواحدة (أما عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصرى -  
التحاد بريد عربى : ٦٠ دولاراً أمريكياً .. أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً .. أمريكا  
وكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً .. باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكى.  
إدارة الاشتراكات : شارع سيويه المصرى .. ص. ب : ٢٢ البانوراما .. مدينة نصر  
هاتف : ٢٠٢٢٢٢٢٢ .. فاكس : ١٨٥١٦١٦١  
e-mail : weghat@aloktob.com

## من النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية .. السعودية ٢٠ ريالاً .. الكويت ١٠٥ دينار .. الإمارات  
٢٠ درهماً .. البحرين ديناراً .. قطر ١٥ ريالاً .. عُمان ريالان .. لبنان ٥٠٠٠ ليرة .. سوريا  
١٥٠٠ ليرة .. الأردن ديناراً ونصف .. ليبيا ديناران .. الجزائر ٢٠٠ دينار .. المغرب ٣٠٠ درهماً  
.. تونس ٤ دينار .. اليمن ٢٠٠ ريال .. فلسطين ٣ دولاراً ..

Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

## محتويات العدد :

- ١. جلال أمين .. الحرية .. أداة للنفس .. التنمية حرية .. تأليف : أمارتيا سين، ترجمة : شوقي جلال
- ٢. ملان التجرار .. دولة القبيلة العربية .. Tribes and Power .. تأليف : فالح عبد الجبار وهشام داود
- ٣. نيسل على .. نزيف العقول العربية .. رؤية معلوماتية .. ياسر صبرى
- ٤. من الأمير إلى الخبير .. الخراف .. Experts, Economic Policy, and the Damage to Democracy .. تأليف : تيفو تيفانين
- ٥. اندرو هاسكر .. من هو الأمريكى؟ .. Who Are We? .. تأليف : سامويل ب. هانتجتون
- ٦. كيف نعيش .. How Liberals Will Win .. تأليف : روبرت د. وايش
- ٧. كيف نعيش .. How We Live Now? .. تأليف : دافيد بروتكن
- ٨. كيف نعيش .. The Two Americas .. تأليف : ستانلى ب. جرينبرج
- ٩. كيف نعيش .. Invisible In America .. تأليف : دافيد ل. شيلبر
- ١٠. كيف نعيش .. جرين .. الشروع الزوجى .. خطة القضاء على الأمريكان السود .. مصطفى الرزاق
- ١١. كيف نعيش .. عبد البديع عبد الحى .. سيرة حياة غير هادية .. اليونسكو لى
- ١٢. كيف نعيش .. الولد الطيب الشقى .. جيسى أجلو
- ١٣. كيف نعيش .. جويو .. رسام المونك ولاصهم أيضاً .. Guya .. تأليف : روبرت ميوز
- ١٤. كيف نعيش .. عبد الرشيد الصفاق محمودي .. الفلسفة فروعاً .. حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة .. تأليف : حسن طلب
- ١٥. كيف نعيش .. ستيفن واينبرج .. أبحاث الفضاء أم مرض الأرض؟ .. الألفونزا الكبرى أخطر سلاح دمار شامل
- ١٦. كيف نعيش .. The Great Influenza .. تأليف : جون م بارى
- ١٧. كيف نعيش .. حلمي محمد الخاعود .. أبحاث العاشق .. أبحاث العاشق تأليف : على أبو المكارم
- ١٨. كيف نعيش .. إصدارات جديدة .. عبد العظيم أبوس .. فى البدء كان ديوفانتيس السكتري .. Fermat's Last Theorem .. تأليف : سيمون سينج
- ١٩. كيف نعيش .. ريسنل .. نادر فرجاني وثلاثون دور الإبراهيمي والأمم المتحدة
- ٢٠. كيف نعيش .. أيمن الصبيح .. قرابة .. القانون .. والقوة .. والعدل ..

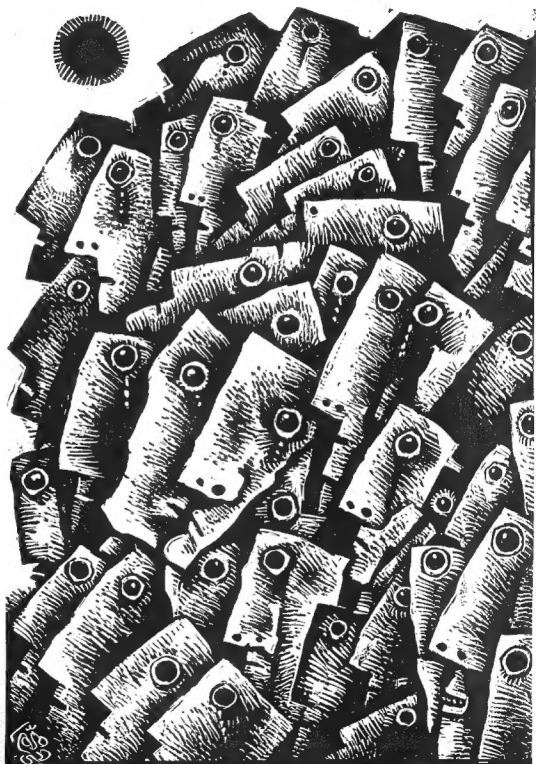
# الحصرية...

جلال أمين

■ هذا كتاب اجتمع له كثير من شروط النجاح، ولكنه نجاح من نوع معين، ليس في رأي أفضل الأنواع. فهو لفضه استاذ مرموق عمل منذ أواخر الخمسينيات مدرسا ثم استاذ بجامعة إنجليزية عريقة هي جامعة كامبردج، ونشر خلالها وبعدما الكثير من الكتب التي تجمع جميعا موقفا للحاية بين الاقتصاد والسياسة والفلسفة والأخلاق، ومن ثم حظي بتقدير واسع بين طلبة علم الاقتصاد وأساقفته، وعلى الأخص بين المشتغلين بقضايا الرفاهية الاقتصادية وقضايا التنمية والعلاقة بينهما، بعد سنوات من التدريس في جامعة كامبردج انتقل للتدريس في جامعات مرموقة أخرى، كجامعة لندن ثم أكسفورد واستاذاً زائراً في جامعات هارفارد وكاليفورنيا (بيركلي) وستانفورد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا الشهير. واتصل اتصالاً وثيقاً بالأستاذ الباكستاني الشهير أيضاً «محبوب الحق»، وتعاون الاثنان في صياغة وتطوير مفهوم التنمية الإنسانية (Human Development) الذي تبنته الأمم المتحدة وأنشأت مكتباً بهذا الاسم تابعاً لبرنامج الأمم المتحدة للإنماء وتوج هذا كله بحصوله على جائزة نوبل في الاقتصاد في سنة ١٩٩٨.

هذا هو الأستاذ الهندي الأصل «أمارتيا سن» (Amartya Sen)، والكتاب هو (التنمية كحرية) Development as Freedom، Oxford University Press، ١٩٩٩ وترجم مؤخراً إلى العربية تحت عنوان: التنمية حرية (ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مايو ٢٠٠٤).

الأستاذ مرموق، والموضوع مهم، والمنوان جذاب، وجائزة نوبل تغري أي شخص بقراءة ما يكتبه الحاصل عليها. وعلى الرغم من هذا كله، كان يعتريني أثناء قراءة الكتاب شعور قوي بعدم الارتياح، كان يزداد قوة كلما زاد ما قرأته



التنمية كحرية

أمارتيا سن

ترجمة: شوقي جلال

الكويت: عالم المعرفة، ٢٠٠٤

# أداة للمقابلة



ما المكسب الذي نحققه من النظر إلى الفروسى والحالة الصحية، وانفراد حزب واحد بالحكم، وموقف بعض التقاليد، في بعض الثقافات، موقفاً سليماً من حزب المرأة إلى العمل، وكأنها مجرد صور مختلفة لشيء واحد هو فقد الحرية؟



أشياء كثيرة ومختلفة إلى أصل واحد، كما في رد إشباع كل الحاجات والرغبات الإنسانية إلى شيء واحد هو التمتع بالحرية، وهناك أيضاً الجاذبية المستمدة من فكرة الحرية نفسها. فالنظر إلى مختلف أنواع الإشباع تختلف أنواع الحاجات والرغبات على أنها كلها تتضمن تحقيق هذا الهدف السامى والرفيع "الحرية"، فيه إعلاء وتقييم لهذه الحاجات والرغبات، ويزيد من تلقائى صورة من صور الحرمان من إشباع أى حاجة أو رغبة من حاجاتنا ورغباتنا.

ولكن هذا المسلك له أيضاً مثالبه ويصيبه الخطيرة، في السبب على الأرجح فيما شمر به من عدم الارتياح لدى قراء الكتاب لأول مرة، دون أن أدرك على الفور، سببه، ثم تبين لي مع التفكير في الأمر، وهذا هو ما سأحاول الآن أن أبينه للقارئ.

ما المكسب الذي نحققه من النظر إلى الفروسى والحالة الصحية، وانفراد حزب واحد بالحكم، وموقف بعض التقاليد، في بعض الثقافات، موقفاً سليماً من خروج المرأة إلى العمل، وتدخل الدولة في نظام السوق بفرض أسعار جبرية لبعض السلع، أو توجيه الخريجين إلى نوع من الوظائف دون غيرها... إلخ. ما المكسب الذي نحققه من النظر إلى كل هذه الأشياء المختلفة، أضد الاختلاف، وكأنها مجرد صور مختلفة لشيء واحد هو فقد الحرية؟ ليس هذا المسلك في الحقيقة مجرد تلاعب بالانفاز، يجب من الحقيقة أكثر مما يكشف عنها؟

نعم، في الفكر حرمان من الحرية، بصورة أو بأخرى، كما أن تدخل الدولة بفرض بعض الأسعار الجبرية، فيه أيضاً حرمان من الحرية، بصورة أو بأخرى، ولكن ألا ترى الفوارق الشاسعة بين هاتين الصورتين من صور فقدان الحرية؟ هناك أول الفارق في درجة الخطورة، ففي الحالة الأولى (الفقر) يتمثل فقدان الحرية في فقد حرية الاختيار بين الحياة أو الموت، إذ قد يصبح المرء "مضطراً" إلى الموت جوعاً، أو فقد الحرية بين

كل هذا يبدو أوضح من أن يحتاج إلى ذكر، وليس فيه أى جديد مما لا يعرفه القارئ بل قد تحتاج فقط إلى تذكيره به.

الجديد فقط هو في طريقة الأستاذ "مارتيا سن"، في التعبير عنه، وهذا هو بالضبط ما دعاني إلى البدء بالتعبير عنه بطريقة مختلفة.



ففي هذا الكتاب الذي نتكلم عنه (التنمية حرة) اختار المؤلف أن يعبر عن هذا كله باستخدام فكرة الحرية، فالحاجات والرغبات الإنسانية عبر عنها، كلها تقريباً، تعبيراً يجعلها مرادفة لبرغبة في الحرية. إشباع حاجتك إلى الطعام أمثال لديه "حريتك" أن تأكل أو لا تأكل إذا جئت، وكذلك حاجتك إلى الجنس والمأوى والمعرفة والتنقل من مكان لآخر... إلخ، كلها تحولت إلى حريتك أن لا تحصل على هذا أو ذاك أو لا تحصل عليه، أو حريتك أن تفعله أو لا تفعله. إذا كان الأمر كذلك، فإن كل الموانع والعقبات التي قد تحرمك من الحصول على هذه الأشياء التي تحتاجها أو ترغب فيها، يمكن أن تعبر عنها بدورها بالقول بأنها "قيود على الحرية"، انقصر على حريتك في الحصول على هذه الأشياء التي تحتاجها أو ترغب فيها، يمكن أن تعبر عنها بدورها بالقول بأنها "قيود على الحرية"، انقصر على حريتك في الحصول على كل ما يتطلب توفر صراحة جيدة، والجلل أو عدم وجود فرصة أمامك للخضاب إلى المدرسة أو الجامع، يصبح فيه على حريتك أن تحصل على المعرفة، وكذلك استبداد الدولة وفرض الخاسر الجبرية رأبها وتفسيرها الخاسر للدين، وسيدة تقاليد أو أعراف معينة تصعب مخالفتها، وكذلك تعبر الرجل للمرأة أو الأب للأولاد... إلخ.

هذا المسلك الذي اختاره الأستاذ سن قد يبدو للوهلة الأولى مقبولاً ولا غبار عليه، بل قد يبدو للوهلة الأولى أيضاً جذاباً ومفيداً، فهناك بالطبع جاذبية رد

بحسب مزاجه وميوله، وبحسب قدراته العقلية والجسمانية، وبحسب ما إذا كان رجلاً أو امرأة، صغيراً أو كبير السن، مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً... إلخ.

ولكن مادمات الحاجات والرغبات الإنسانية كثيرة ومختلفة على هذا النحو، فالقيود التي يمكن أن تفرض عليها وتنزع الإنسان من إشباعها، لابد أن تكون كثيرة بنورها ومتنوعة. فهناك الفقر مثلاً، كقيد أو مانع من أنواع إشباع الحاجات، وهناك ضعف الصحة الذي يمنعك من ممارسة كثير من رغباتك، وهناك الجهل وقلة المعلومات مما قد يمنعك من الوصول إلى غرضك الذي يتطلب الوصول إليه حداً أدنى من المعرفة. وهناك الاستبداد الذي قد يضامه شخص آخر عندك فيمنعك من إشباع حاجاتك، أو تحقيق رغباتك، ولكن الاستبداد قد يأتي في صور كثيرة، ومن مصادر مختلفة، فهو قد يصدر من الدولة ضد شعبها، أو من الرجل ضد المرأة، أو الأب ضد أولاده، أو رب العمل ضد العاملين في مؤسسة، وقد يأتي من المؤسسة الدينية بل ومن العرف والتقاليد الاجتماعية المألوفة التي قد تشعرك بالاعتراف إذا قمت بإشباع بعض رغباتك، ناهيك بالطبع عن الإرهاب، الذي شاع حديثاً بالكلام عنه وإضافته إلى ما يمكن أن يحرم الإنسان من فرص إشباع حاجاته وتلبية رغباته... إلخ.

ومع ذلك فلابد أن يلاحظ أيضاً أن تكون هذه الأشياء التي يمكن أن تكون سبباً في حرمانك من إشباع بعض حاجاتك قد تكون أيضاً، بل وفي نفس الوقت، مصدرًا من مصادر إشباع حاجات أخرى. فالهولة قد تحرمك من أشياء، كالسفر إلى خارج البلاد مثلاً، ولكنها قد تتيح لك أشياء أخرى مرغوباً فيها، كالوظيفة الثانية مثلاً أو الحماية من الإرهاب، والتقاليد المألوفة قد تشعرك بالاعتراف وتلبية رغبات معينة، ولكنها قد تفرض على الآخرين مساعدتك عندما تبلغ من الشيخوخة مثلاً، وقد يحدث العكس بالطبع في ظل تقاليد أخرى تحرمك من الشعور بالحرر إذا قمت بأعمال معينة، ولكنها تحرمك من هذه المساعدة في الشيخوخة... إلخ.

منه، فلما طلبت من مجلة "وجهات" أن أكتب عرضاً للكتاب قبلت بل ورحبت بالطلب، إذ كانت فرصة لاكتشاف ما الذي يجيبني في الكتاب بالضبط، رغم كل ما ذكرته من شروط النجاح المتوفرة له. فلما أعدت القراءة فيه عثرت على ما أبحث عنه، بل هائلي ما وجدت من أسباب تدعو لعدم الارتياح بل والغضب، وهالداً اعرض على القارئ ما وجدت.

لا يشك أحد في أن الإنسان كثير الحاجات والرغبات. قد يكون الاقتصادي مبالغاً عندما يصف هذه الحاجات والرغبات بأنها "غير محدودة"، ولكنها بلا شك كثيرة جداً، حتى يصعب حصرها. الإنسان يحتاج إلى أشياء مادية على مادية، من مأكل وملبس وماوى، وإلى وسائل الانتقال من مكان لآخر وإلى وسائل للدفاع من نفسه وللارتباط بالآخرين وتكوين علاقات اجتماعية... إلخ.

قد يكون كل هذا من قبيل "الحاجات"، الضرورية التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها، ولكن هناك أيضاً الكثير مما يرغب فيه الإنسان ويطمح إليه دون أن يكون ضرورياً بهذا المعنى، فهو يرغب في الحصول على مختلف وسائل الترفيه عن النفس والتخفيف من عناء العمل، وعلى ما يمكنه من المباشرة أمام الآخرين أو التفرغ عليهم، أو حتى ما يمكنه من السيطرة عليهم، وإثارة الغيرة في نفوسهم. وهو يرغب في التعبير عن مكنون نفسه بممارسة نوع أو آخر من الفنون، ويريد الشعور بالمطامنة والتخلص من كل ما يخبئه من المستقبل، كالوقت أو فقد شخص عزيز عليه، أو الفقر أو البطالة أو الوحدة... إلخ.

قد تكون حاجات الإنسان الضرورية ثابتة لا تغير كثيراً، ولكن رغباته دائمة التجديد والتغير، مع تغير الظروف والأحوال، وفي مجتمع صغير غيرها في دولة كبيرة، وعلى المجتمع غيرها في المدينة، وعلى في مجتمع بدوى غيرها في مجتمع زراعى مستقر أو مجتمع صناعي... إلخ.

والحاجات والرغبات الإنسانية، وإن كان منها الثابت والمشارك بين الناس جميعاً، كثيراً ما تختلف بين فرد وآخر



**الزعم بأن  
نظام السوق هو النظام  
الأكثر كفاءة  
هو نفسه محل جدل،  
خاصة إذا  
فهمنا الكفاءة بمعنى  
واسع يشمل  
اعتبارات أخلاقية  
وجمالية،  
بالإضافة إلى  
الاعتبارات  
الكمية والمادية  
البحتة**



**نموذج**

يعاود سلامة أحمد سلامة  
كتابة مقاله بعد صودته  
إن شاء الله

العيش كأمى والعيش كحيوان، أو بين  
الشعور بالكرامة وبين الفذل أمام الغير،  
أما في الحالة الثانية (تدخل الدولة  
بفرض أسعار جبرية) فالحرمان من  
الحرية يتغلغل بحرمان منتج السلعة من  
القضاء أعلى ثمن ممكن، ومن الاتجاء  
إلى إنتاج السلع الأكثر ربحاً، وحرمان  
بعض المستهلكين الأكثر شراءً من  
الحصول على السلع التي خفضت  
أسعارها.. إلخ. بل إن الحرمان من الحرية  
التي يصيب بعض الأشخاص في حالة  
فرض أسعار جبرية لبعض السلع قد  
تقابلها زيادة في درجة الحرية المتاحة  
لأشخاص آخرين، هم الفقراء من  
المستهلكين الذين لم يكونوا قادرين على  
استهلاك هذه السلع قبل تخفيض  
أسعارها.

بالإضافة إلى ذلك هناك اختلافات  
كبيرة بين درجة الشعور بالقهر الذي  
تتضمنه الحرمان من الحرية في الأحوال  
المختلفة. فالشعور يفقدان الحرية الذي  
لازم القهر مثلاً، هو شعور شديد الوطأة  
بالتقابل مثلاً بشعور المرء الذي يحرم من  
تحويل أكثر من كمية معينة من عمله  
الوطنية إلى عملة أجنبية. إن فالحديث  
على هذه الأنواع المختلفة من الحرمان أو  
من عدم إشباع الحاجات أو الرغبات وكأنها  
كلها مجرد صور مختلفة لشيء واحد هو  
«الحرمان من الحرية»، قد يتضمن نصيباً  
للامرور وخطأً فيما بينها قد يكون ضرره  
أكبر من نفعه.

هناك أيضاً الضرر الناتج عن التسرع  
في حسم قضايا لازال يحتمل عليها  
الخلاف، بشدة، وذلك بتصوير المشكلة في  
كل هذه القضايا على أنها في نهاية الأمر  
مجردة اختلاف بين أنصار الحرية  
وأعدائها، بحيث أننا جميعاً، فيما يبدو،  
مستعدون للتسليم بأن الحرية شيء  
مرغوب فيه دائماً، وهدف نبيل في جميع  
الظروف والأحوال، فما أسهل أن نفع إلى  
الفتح بأن تنصير أننا لا بد أن نعطى  
صف ذلك الطرف الذي ينتصر للحرية  
ضد أعداء الحرية، في حين أن المشكلة  
قد تكون أعور من هذا بكثير، ولعلها  
ليس بهذه السهولة.

خذ مثلاً مناقشة مؤلف الكتاب  
للخلاف بين أنصار نظام السوق وأنصار  
تدخل الدولة في فصل بعنوان «الأسواق  
والدولة والحرية الاجتماعية»، إنه  
يعتبر على عجل بأن الدولة قد يكون  
تدخلها ضرورياً لتحقيق درجة أكبر من  
العدالة، كنما حل نظام السوق، ولكن  
تقوم بإنشائها ما يسميه الاقتصاديون

بالمسلع العامة (Public Goods) لا  
ويقصد بها السلع والخدمات التي لا  
يعود النفع من استهلاكها على شخص  
معين أو مجموعة محددة من الأشخاص،  
بل على المجتمع بأسره، كخدمة التعليم  
مثلاً أو الدفاع أو الخدمات الصحية أو  
الحدائق العامة.. إلخ، حيث قد لا يكفى  
حافز الربح وحده لضمان إنتاج هذه  
السلع العامة، يعترف الأستاذ سن بهذا  
على عجل، ولكنه يحمل التأكيد الأكبر  
في هذا الفصل، والرسالة الأساسية التي  
يخرج بها القارئ منه بأن نظام السوق،  
أي عدم تدخل الدولة فيما يتخذه الأفراد  
من قرارات الإنتاج والاستهلاك، هو  
النظام الأفضل، ويبرر ذلك ليس فقط  
بالدفاع التقليدي عن نظام السوق بأنه  
يحقق درجة أعلى من الكفاءة (أي معادلاً  
أكبر لنمو الإنتاج) ولكن أيضاً بأن نظام  
السوق، بمقتضى تعريفه نفسه، يترك  
الناس أحراراً في عقد الصفقات واتخاذ  
القرارات، فنظام السوق له إذن، في رأى  
الأستاذ سن، تلك الميزة الإضافية، بصرف  
النظر عن ميزة الكفاءة، وهي تحقيق هذا  
الهدف الأسمى وهو «الحرية».



الأم، مروضاً على هذا النحو، يبدو  
إن محسوماً لصالح نظام السوق. ولكن  
الحقيقة هي أنه أبعد ما يكون عن الحسم.  
فضلاً عن أن الزعم بأن نظام السوق هو  
النظام الأكثر كفاءة هو نفسه محل جدل،  
خاصة إذا فهمنا الكفاءة بمعنى واسع  
يشمل اعتبارات أخلاقية وجمالية،  
بالإضافة إلى الاعتبارات الكمية والمادية  
البحتة، وبمعنى يشمل مصلحة الأجيال  
القادمة كما يشمل مصلحة الجيل  
الحالي، وكل هذا قد يبرر تدخلًا كبيراً من  
جانب الدولة. فضلاً عن ذلك، فإن  
مساهمة نظام السوق في توسيع دائرة  
الحرية أمام الناس في نفسها أمر مشكوك  
فيه ويحتاج إلى مزيد من التأمل. فترك  
الأفراد أحراراً في اتخاذ قراراتهم دون  
تدخل من الدولة قد يبدو للوهلة الأولى،  
وبالضرورة، أكثر تحقيقاً للحرية من نظام  
يخضعهم لمختلف أنواع الأمر والنهي،  
ولكن تعامل قرارات الأفراد «الحررة» قد  
ينتج عنه نظام أسوأ بكثير، حتى من حيث  
حماية نفسها من التدخل ابتداءً بالأمور  
والنهي، تماماً كما أن قانون الغاية القائل  
على ترك الحرية المطلقة لسلال الحيوانات  
قد ينتهي إلى نتيجة أسوأ مما يمكن أن

حدثت لو أسبغت من البداية حماية  
للحيوانات الأضعف. قد يقال إن هذا  
تدخل فيها يقصده سن، بتدخل الدولة  
لتحقيق العدالة (equity)، ولكن اعتبار  
العدالة، إذا أخذ بمعنى حماية الضعيف  
من اعتداء القوى، هو اعتبار أوسع بكثير  
مما يصوره سن في هذا الكتاب، ومما قد  
يتصوره القارئ. ففي كل خطوة نخطوها  
نجد حالة من الحالات التي قد تستدعي  
بعض التدخل لحماية الطرف الأضعف،  
ونجد أن ترك الحرية للأفراد دون ضابط  
من شأنه أن يقلل من درجة الحرية المتاحة  
لبعض دون البعض الآخر. المسألة لا  
تقتصر على حماية المستهلكين والعمال  
من سطوة المشروعات الاحتكارية، ولا على  
ضرورة تدخل الدولة لتوفير التعليم  
الأساسي لأفراد لم يحصلوا عليه لو ترك  
ميدان الاستثمار في التعليم خاضعاً  
لحافز الربح، بل قد يشمل أيضاً التدخل  
في نوع المقررات التي يطلب من التلاميذ  
أن يتعلموها في كافة مراحل التعليم،  
والتدخل فيما يتعرض له مشاهدو  
التلفزيون، من إعلانات تجارية، بل  
والتدخل لوضع حد لانتشار نمط من  
الحياة يعلى من قيمة الاستهلاك على كل  
عبادة، فسلطة الإعلانات وسروجه  
السلع على وسائل الإعلام، وما تؤدي إليه  
من تشجيع سيادة النمط الاستهلاكي  
للحياة، وهو ما تؤدي إليه بالضرورة نظام  
السوق، قد يتضمنان انتهاكاً على الحرية  
قد لا يقل خطورة عن التدخل الشديد  
من جانب الدولة. ليس إلتى أريد يصعد  
الدفاع عن تدخل الدولة في هذا الأمر أو  
ذاك، ولكنني فقط أريد أن ألفت النظر إلى  
أن نظام السوق، إذا كان يعطي بعض  
الحرريات باليد اليمنى، فهو قد يسلبك  
حريات أخرى باليد اليسرى. والأرجح أن  
هذا القول ينطبق على أي نظام، وليس  
على نظام السوق وحده، فالزعم بأن نظاماً  
كنظام السوق يتيح لناس بالضرورة قدرًا  
أكبر من الحرية من حيث يسمح لتدخل  
الدولة، هو زعم خاطئ ومتسرع.



أو فلنأخذ طريقة مناقشة الأستاذ  
سن لموضوع تلاقي الحضارات أو  
الثقافات، وعلى الأخص تعرض ثقافات  
بلاد العالم الثالث لعزلة وثقافة أو  
الحضارة الغربية، في فصل بعنوان  
«الثقافة وحقوق الإنسان»،  
هذا أيضاً يعترف الأستاذ سن على

التي هزمه الغرب خلال الجائحة ص،  
الماضية، لم تقطع فيه مسجعات  
العالم الثالث شوفا كبيرا، قد يصاحبه  
وما وكثيراً ما ترتب عليه، صور أخرى من  
صور الغربة وقصبة، حرثتها لا يكرها  
الاستاذ من البتة. واقتصد على الاخص  
أمرين: الضهر الذي زاد تعرض المرأة  
الغربية له من جانب الممسات التجارية  
ورجس السليع وحسب المجتمع  
الاستغلاكي بوجه عام، مما سيج  
باستخدام المرأة كرمز للجنس وشجع  
عليه، باكثر مما كان ما لولا في الماضي،  
والضهر الذي زاد تعرض المرأة له نتيجة  
ما أصاب الأسرة الغربية من تشكك  
وقصود خلال الخمسين عاماً الماضية  
من زيادة ما حصلت عليه المرأة من  
استقلال اقتصادي، ولها وعلى الأرجح،  
كنتيجة لزيادة هذا الاستقلال  
الاقتصادي. إلى أن لاقى في الأحوال  
أفضل. ولا أدعو إلى حرمان المرأة مما  
حصلت عليه من حريات اقتصادية،  
ولكنني فقط ألتفت إلى أن المسألة  
وتبسط البساطة التي يصورها الحياة  
سن، أن تصوره أن مزيداً من التحرر  
الاقتصادي للمرأة، أمر محمود على  
الطول والقصر، فإنه مائة بالمائة، وأن ما  
هزمه الغرب في هذا الشأن جدبير  
بالاقتداء من جانب مجتمعات العالم  
الثالث دون أدنى تحفظ.



والدهش في تجنب الأستاذ سن  
المير إلى أبعد من هذا في مناقشة  
قضية المرأة، الأمر لا ينطوي على  
مجرد تحقيق مكسب في ميدان الحرية  
وتحقيق ضمير الحسنة في ميدان أو  
مكتسب آخر، بل إنه ينطوي على مكسب  
وخاصة في ميدان الحرية نفسه، فالمرأة  
التي أصبحت مضطرة لسبب أو آخر إلى  
أن ترقى إلهاداً وحدها، لمصب أصاب  
الأمر من تصدع، في المرأة أكثر حرية  
من غيرها في جوانب، ولها أكثر حرية  
في جوانب أخرى. إن شخصاً إذا أراد  
أن يضع ما ترتب على تفكيك الاتحاد  
موضوعاً وابطاعه من آثار سلبية لا تغادر  
أفك ميدان الحرية الحبيب لدى الأستاذ  
سن، ومن كان الأمر به أن يلتفت هو  
أكثر من غيره إلى مناقشة هذه الآثار  
الأخرى التي تقيّد من حرية المرأة



يُعرض الأسباب المنطقية التي دفعها إلى تأييد اعتقاده، وإن لم تكن أسباباً حاسمة. إنهم ان لا نلاحظ أن كل الأمثلة التي تقيدها الأستاذ سن على غير المرأة أو العالم تتميز ضدها في أصلها من القرنين الماضيين، ما يخرج منه القارئ باطباع بالثقافتين، أو في قضية المرأة قد تم حلها، أو كاد يتم حلها، في البلاد الصناعية أو الغربية، أو الأفضل في ذلك باطباع يرجع إلى قوة وحركات تحرير المرأة في هذه البلاد وما أحرزته من نجاح.



ولكنني واحد من الناس الذين يختلفون مع الأستاذ عن أنه لم يميلوا مثله، كما يبدو في مواضيع كثيرة من كتابه، إلى الاعتقاد بأن الأشياء الطبيعية تأتي دائماً معاً، والأشياء المصنعة تأتي دائماً معاً أيضاً، والاعتقاد بأن التقدم الاقتصادي والتكنولوجي يصحبه في العادة تقدم في سائر الجوانب أيضاً الأخرى، بما في ذلك درجة الحرية التي يتمتع بها الناس، أو الاعتقاد بأن الديمقراطية دائماً تعادل النمو الاقتصادي، والعكس بالعكس. وفي مثلنا واحد من هؤلاء الذين يعترضون بعكس الأستاذ من حيث يبدو، بأن الحصول على مزيد من الحرية في ميدان معين قد يكون على حساب ما يتمتع به المرء من حرية في ميدان آخر. وقد رأينا بالفعل مثليين على هذا فيما سبق. فظلم حقوق الجارية في جانب ويتضح منها في الجوانب الأخرى، وانتفاخ خفافه من ثقاتها على الجانب الثالث على ثقافة الغرب، على النحو الذي يحدث به الآن، يوسع من حرية الاختيار أمام شعوب العالم الثالث على جانب ويعيقها في جانب آخر. هذه الضائقة التي تصاحب إتاحة المزيد من الحرية في بعض الميادين، قد تكون خسارة فادحة، ومن ثم لم أريد أن أتخذ في الاعتبار أن نقاش عند تناول موضوع نظام السوق وتدخل الدولة، على تناول قضية الحرية الثقافية والسياسية. فالتأثير الثالث هو ما يفعله الأستاذ من (إلى على نحو عارض جداً) تجاه التسرع، وكذلك لم يفعله عند إطلاع على قضية المرأة.

ذلك أن تحرير المرأة اقتصادياً، ورفع  
صور القهر المألوفة عنها، وإلقاء الصور  
الشائعة للتمييز ضدها، على النحو

والصكرية والدعائية التي تصاحب هذا الغزو من ثقافة لأخرى؛ ما هي يجوزي في القول من ثقافة الظروف إن تقتضي بدعوة الناس إلى ممارسة حرية الاختيار بين الثقافات متطاعين بأنهم يتصممون بفضائلهم الحرة، وإذا كان الأمر كذلك لا يذكر هذا الأمر الأستاذ سن ما يجري في ميدان الجاهل من عدم التكافؤ في قدرات، عدم التكافؤ في ثقافة، عدم التكافؤ في قدرة، وإن كان قد يوجهها التدخل لتصحيحه وإن كان قد يوجهها هذا التصرف بسرعة وقد تأييد عليه، فإماما لا يتقدم عدم التكافؤ في حالة غزو ثقافة أخرى، على هذا النحو، مبررا للتدخل الجاهل، ليس هذا هو، ولا يصورونه تدخلا من جانب الدولة، بل ربما تدخل المثقفين والمصلحين العاملين في النشاط المدني، ممن يثقهم بشدة ما يفتقد ثقافتهم المثلث من تصنع والهيأة في مواجهة حضرات أخرى من ثقافة ليست ولا يصورون رأي أو أكثر ممن في الناحية الأخلاقية أو الجمالية، ولكنها فقط بدعوة موجهة أكبر الاقتصادية وسياسية.

فنتظرن أيضاً إلى طريقة الأستات  
سليمية في مناقشة قضية المرأة، أو ما شاع  
تسميته بـ«تفكيك المرأة» (Women  
empowerment) هنا أيضاً كم يبدو  
أمر بسيطاً والحق سهل. فأقارن في  
العالم الثالث مقهورة ومختلطة باختلاف  
صور التمييز ضدّها، والمطلوب رفع  
تقهرتها والاضاءة على مختلف صور  
التمييز ضدّها، إنَّ النجاش على ذلك،  
كما يقول سن، يحقق مزايا كثيرة،  
فبفضلنا عن أن يلقى صورة مهمة من  
التمييز الاتماده على، الحرية، إنَّ يمكن  
المرأة على هذا النحو من شأنه تحقيق  
أهدافها، إضافة، تكثيف شعور  
الخصوة، رفع مستوى صحة ومعدل  
الأطفال، خاصة الإناث منهم، بل وقد  
يساهم في دعم الاقتصاد القصادي  
والسياسي والتمتع بصفة عامة، بما  
في ذلك حماية البيئة، إنَّ هناك بعض  
الدلائل على أن المرأة إذا أوكلت إليها  
المهام لا تقل كفاءتها في القيام بها من  
كفاءة الرجل إنَّ لم تزد عليه. من ذلك  
مثلاً ما عثر عليه الأستات سن من  
إحصاءات عن بعض الوظائف الهندسية،  
تدل على وجود علاقة بين ارتفاع نسبة  
النساء إلى الرجال، وانخفاض نسبة  
الحادث في العمل الهندسية.

لا نريد أن نناقش مدى قوة هذه الأدلة من الناحية الإحصائية، فهناك

يصل بأن الموضوع له بعض الخطورة، يستعاضر به بقدر رجاسة أو  
تفاهل من غير أن يقدّر شأنا العرب  
الثقافات الوطنية تختلف أهم العالم  
ذلك، بل ويرى بعض النشبة بين نتيجة  
هذا الغزو وما يتعرض له بعض الأحرار  
الحيوانات من خطر الاقراض، ولكن  
من الرسالة التي يخرج بها القارئ من  
الفصل؛ الرسالة هي أنه لا خطر  
لحلفك في الحقيقة ولا داعي اليقظة  
للثقافات تتعامل دائماً معها بغيره، ويستر  
نجد سمة من ملامة وحارة أو ثقافة  
مادة بالمتعة ولم تدخل في  
كونيتها عناصر من ثقافة أخرى، حتى  
الكولات الهندية غزت الطعام البريطانية  
والخليج الإنجليزي. كل القيم التي تعزّز  
كالصنام والجمهورية والتي هي  
بعضها عادة للعرب موجودة بدرجة أو  
آخرى في كثير من الثقافات الأخرى  
والهندية أو الإسلامية. هذا الذي  
يتخلص من هذا؟ يتخلص أن الهند  
تغزو الهند بغضاً شاملاً يغزو العرب  
الهند (وإن كان اللد الذي يضربه لغزو  
العرب تغرب دون خلق جراح المراسلا  
للطعام البريطانية)، والأمثلة والتاريخ  
بغزو بها العرب الهند كثيراً ما تكون  
ذات الهند ردت إليها، وما وجه الشكوى

٥٤

هناك رسالة أخرى يريد المؤلف أن ينقلها من خلال هذا الفصل، وهي أن الحل في هذه الأمور مثلما هي سائر حلول الكتاب ليس أن لا تترك للناس حرية الاختيار، فيها هي الشكائات المختلفة، معرضة على أهم العالمين، ثقافة العرب وفاتهم، الخاصة، وما على هذه الأمم إلا أن تختار من بينها ما يجدونه الأفضل، أو ما تجد مزاياه أكبر من مساوئه، أن لا يجروا في ميدان ثقافة أيضاً حساباً للضعف والنفقات، مثلما يجروا الاقتصاديون عند حسابها الخسارة، ويخشأوا ما كانت تبعه الصالة موبغة.

هل هذا كلام مقبول من مفكر اقتصادي كبير، اعتاد الجمع بين علم الاقتصاد والسياسة والفلسفة والأخلاق؟ هل يجوز مثل هذا المكنر أن يتجاهل تلك الحقيقة الصارخة، التي نصدنها يومًا، وهي حقيقة عدم التكافؤ الذي يجري في ظله هذا الصراع (أو هذا الفوز) بين ثقافة الغرب ومختلف ثقافات العالم الثالث، وهو عدم تكافؤ في القوة الاقتصادية والسياسية

## كتاب الزاوية



سندباد إلى الغرب

حسين فوزي

ولد الدكتور حسين فوزي «السندباد» بحى الحسين فى ١١ يوليو عام ١٩٠٠ لأب يهوى المعرفة وأم لا تعرف القراءة والكتابة، وتلقى أول دروسه فى كتاب الشيخ سليمان جويش. حصل على بكالوريوس الطب عام ١٩٢٢ وتخصص فى طب العيون وتم تعيينه طبيباً فى مصلحة الصحة فى وزارة الشعب الأولى، وزارة سعد باشا. وقد سافر حسين فوزي أول مرة عام ١٩٢٥، حين أرسلته الحكومة المصرية فى بعثة لدراسة الأحياء المائية ومصائد الأسماك. وكان يراسل المجلات المصرية من فرنسا، فنشر مقالاته بمجلة «السفور» ومجلة «الجريدة».

كان الدكتور حسين فوزي أول عميد لكلية العلوم بجامعة الإسكندرية حين تولى هذا المنصب عام ١٩٤٢. وفى عهد الثورة، شغل منصب وكيل وزارة الثقافة حين كان الدكتور ثروت عكاشة وزيرها، فساهم فى تأسيس العديد من المشروعات الثقافية المهمة مثل أوركسترا القاهرة السيمفونى وأكاديمية الفنون، كما كان صاحب الجهد الأساسى فى تأسيس إذاعة «البرنامج الثانى» التى أنشئت عام ١٩٥٨ بهدف الارتقاء بذوق الجماهير فى الأدب والفن والموسيقى الرفيعة.

تولى الدكتور حسين فوزي الصفحة الأدبية بجريدة «الأهرام» عام ١٩٦١ بعد أن ترك الوزارة، وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٦. له مؤلفات عديدة منها: سندباد عبرى، سندباد مصرى، سندباد فى رحلة الحياة، الموسيقى السيمفونية، وقد أوصى مكتبته الأدبية لجامعة القاهرة ومكتبته الفنية إلى أكاديمية الفنون قبل وفاته فى شهر أغسطس من عام ١٩٨٨.



إنى مثلاً واحد  
من هؤلاء  
الذين يهتقدون،  
أن الحصول  
على مزيد من الحرية  
فى ميدان معين  
قد يكون على  
حساب ما يتمتع  
به المرء من حرية  
فى ميدان آخر



والجزء المتخلف، إذ ليس أمام هذا الجزء المتخلف ما يخشاه من الجزء المتقدم، لا اقتصادياً ولا سياسياً ولا ثقافياً، فالعولة ليست فقط حماية بل هى التحليل الأخير فى مصالح الجميع، بشرط أن تحدث بعض التدخلات البسيطة لتحسين حال المهشين، وبشرط أن تمارس شعوب الجزر المتخلف من العالم حقها بحرية فى الاختيار بين مختلف الثقافات المعروضة عليهم، والتى ليست على أى

الحقيقى الذى أدى بالاستاذ سن إلى أن ينحو هذا المنحى فى كتابه، وأن يسلك هذا المسلك الذى يختلف بدرجة واضحة عن المسلك الذى كان يتخذه فى الستينيات والسبعينيات، عندما كان يعبر عن تعاطف أكبر بكثير مع تدخل الدولة، وعندما كان يولى اهتماماً أكبر بكثير بقضية عدالة التوزيع وللاعتبارات الأخلاقية التى قد تبرر التضحية ببعض الحريات الفردية فى سبيل تحقيق مصلحة أهم للمجتمع ككل. نحن الآن، وقد ودعنا القرن العشرين، ودخلنا قرناً جديداً، نعيش فى عالم مختلف تماماً، الفصل فى جوانب كثيرة مما كان عليه منذ مائة عام، ولكنه أيضاً أسوأ كثيراً فى جوانب أخرى. والمتوقع من متفكر كبير بحجم الاستاذ أمارتيا سن، يجمع فى اهتماماته بين عدة فروع مهمة من فروع المعرفة والعلوم الاجتماعية، أن يوجه أكبر قدر من جهده إلى التنبيه إلى أهم ما يواجهه العالم الثالث من أخطار، وينشغل بتحليلها وبيان آثارها. ولكن الذى فعله الأستاذ سن فى كتابه الأخير هذا «التنمية حرة، أو التنمية كحرية»، كان عكس هذا بالضبط.

نظر الأستاذ سن فوجد العالم كله يتكلم عن الحرية والديمقراطية، وعن انحصار نظام السوق الحر على كل ما عدا، وعن العولة وتحويل العالم الكبير إلى قرية كبيرة واحدة، وعن تمكين المرأة وتحريرها من سلطة الرجل، فما الذى يمكن أن يكون انصب للاقتصادى من أن يكتب كتاباً أو يلقى مجموعة من المحاضرات تحول فيها قضايا العالم الثالث كلها إلى قضية واحدة هى قضية «الحرية»؟ إذا فعل ذلك فإنه يكون قد ضرب عصافير كثيرة بجحر واحد: يكون قد دافع عن الديمقراطية السياسية، وعن نظام السوق، وعن العولة، وعن المرأة، وفى نفس الوقت، بين للعالم الثالث أنه لا تعارض بالمرّة بين هدف التنمية النابيل، وهذه الأهداف النبيلة الأخرى، فكلها تصب فى إناء واحد هو إناء الحرية. وهكذا يبدو للعالم جميلاً حقاً، أو على الأقل يبدو وكأن العالم رغم بعض الأشياء القليلة غير الجميلة الموجودة حالياً، يسير فى الاتجاه الصحيح: فى هذه المبادئ كلها: فى السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، بل وحتى فى العلاقات الدولية بين الجزء المتقدم من العالم





# «الإيمارة سيف ومنسفا»

## موازن النجباء

للاقتصاد المديني أو الصناعي أو التجاري، لكن الواقع التاريخي يقول أنها لم تنته لدى انتقالها من حالة اقتصادية إلى أخرى، فتمثل التنظيم القبلي بالاقتصاد الرعوي ليس عضواً أو حتمياً، فقد تغيرت أنماط الاقتصاد، وتغيرت أنماط التنظيم الاجتماعي والسياسي أيضاً؛ ولكن القبيلة كقنبلة بقيت على الأقل من ناحية الاسم والكيان والزعامات، فمن الملاحظ أن القبيلة في الاقتصاد الرعوي هي تقريبا دولة؛ لأن البصرة تحتمي على شجرة في خلية، تصير غصنا في خلية، تصير جذورا في خلية، وتصير جذعا، فالقبيلة لها قوتها العسكرية، وقانونها في المدن بالطبيع، وثقافتها الشفهية، ونطاقها الجغرافي (الأرض)، ومصادر مياهها؛ ولها أيضا تحالفاتها ومعاهداتها العسكرية، كما هي دولة مصغرة، سوى أن الزعامة السياسية غير موجودة فعلا كمؤسسات سياسية، وقد تطورت بعض القبائل إلى إمارات، كما حصل في إمارة شر في الجزيرة العربية أو كما حصل في حالة الدولة السعودية الأولى. كذلك نشأت بعض الإمارات الكبرى من اتحادات وزعامات قبيلية وهذا القبيل انخفضت مناطق وحدت الشكل الكلاسيكي انتهى، ولم يعد موجودا بسبب الاقتصاد الحديث والهجرة إلى المدن وغير ذلك.



لكن بقيت بعض الفرضيات حول هذا الموضوع، فهناك من يمتدح أن القبيلة ككل بقيت كثافة، بمعنى الارتباط بالقبيلة وجدانها، ودفع الديات نيابة عنها، والدفاع عنها، والاستجابة لحطاب ومباريات شيخ القبيلة. فهي علاقة تضامن متعوية أكثر منها علاقات مادية. وهناك من يرى أن ما بقى من القبائل هو البيوتات والأفخاذ الصغيرة والعشائر. ولكن السؤال الكبير وربما الفضاض والذي تتوزع إجابته في مختلف فصول الكتاب، هو لم سود وحدة القبيلة رغم قيام الدولة المركزية، هو بسبب قوتها الذاتية الداخلية أم هو بسبب فشل الشكل الجديد للدولة الحديثة في المنطقة العربية والشرق الأوسط في تحقيق هوية أو رابط أو انتماء يحل محل القبيلة؟

الشرق الأوسط ككل في محاولة للدراسة المقارنة مع المغرب والجزيرة العربية وكردستان تركيا وإيران والعراق. كما يقدم الكتاب دراسة لحالة إيران في إطار مقارنة بعموم البلاد العربية إضافة إلى بعض البلاد المجاورة، وإن لم يحالف التوفيق بعض هذه المقارنات. يبقى العامل السياسي محوريا وهما في دول الشرق الأوسط الحديثة، وخاصة في العراق، فمن هذه الناحية يتواصل الكتاب مع الأعمال الأثروبولوجية والسياسية عن القبائل، والتي كتبت عن منطقة العراق والأردن والجزيرة العربية، وهو إضافة مهمة لهذه الدراسات، وتبقى الرسالة الأصلية للكتاب هي استمرارية القبيلة، ولكن في نفس الوقت هناك أيضا تغير وتطور هائل بحيث إنها أصبحت وحدة اجتماعية تختلف تمام الاختلاف عما كانت عليه تاريخيا. فقد كانت القبيلة تاريخيا وحدة اجتماعية لها تركيب خاص، وكان تركيبها متعلقا بالاقتصاد، خاصة الاقتصاد الرعوي، وتربية الإبل. زال هذا التركيب الاقتصادي في العصر الحديث، فصار للقبيلة وظائف اجتماعية أخرى، تختلف تمام الاختلاف عما كانت عليه تاريخيا، وهي كخلفاء اجتماعية أيضا اختلفت تماما. ولكن كيف تطورت وتغيرت وحدة القبيلة في ظل الدولة المركزية مقارنة بما كانت عليه؟

يقتد الكتاب نظرية التطور التي ترى أن القبيلة تبدأ مع الاقتصاد الرعوي، وتقتت عندما تنتقل للاقتصاد الزراعي، وتلاشي عندما تنتقل

السياسة والسلطة، ويشهد اليوم صعودا متميزا للقبيلة وتعضوا جديدا لها في قلب المجتمع أو قلب السلطة. يطرح هذا الوضع أسئلة كثيرة: كيف حدث هذا؟ لماذا يرتد المجتمع والسياسة العربيان إلى عصبية إثنية وقبلية في عصر العولمة وانهار الحدود والولاءات الضيقة؟ هذه الأسئلة وتفرعاتها الكثيرة هي بعض ما يتطرق إليه الكتاب، غير أن السؤال المركزي الذي يطرحه الكتاب، ويتعكس على معظم مساهمات الباحثين المشاركين هو كيف استمر حضور القبيلة بشكل طاع في السياسة العربية؟ ولماذا؟

### دور القبيلة بعد قرن

### من نشوء الدولة الحديثة

تنتقل الفكرة الأساسية للكتاب من التجربة العراقية حيث أعيد إحياء القبائل في مطلع تسعينيات القرن العشرين، رغم أن العراق كان يعرف في القرن التاسع عشر بأنه مقبرة القبائل بينما كانت الجزيرة العربية تعتبر ملاذ أو جنة القبائل. فقد كانت هناك سلطة مركزية قوية في العراق، بينما كانت غالبية في الجزيرة العربية، حينما تقوى السلطة المركزية تضعف القبيلة، والعكس صحيح. ولكن بعد مرور حوالي قرن على نشوء الدولة المركزية، أعيد إنشاء القبائل بسهولة كبيرة في العراق. وهكذا ينطلق السؤال من العراق ليمتد إلى منطقة

هذا الكتاب هو في الأصل مجموعة مساهمات بحثية متكاملة، وإن لم تكن شاملة، لكن الأكاديميين (في أوروبا) من المهتمين بالتاريخ والسياسة والاجتماع في المشرق العربي الإسلامي. تقارب هذه المعالجات بين وظائف قبائل العراق وإيران وكردستان وليبيا والمغرب والمملكة العربية السعودية وأوضاعها وتطورات في القرن الماضي، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين القبيلة والسلطة، وخلفيات وحركات هذه العلاقة، كما تعالج مساهمات الباحثين أفراسيات والتنظيمات المركزية والكتابات الحديثة والاقتصاد السوق على أحوال القبائل، وما أحدثته من تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية. ومن خلال دراسة بعض الحالات، تستعرض المساهمات تعقيدات ببناء وعلاقات القرابة والنسب والثرها على تشكيل العصبية القبلية وقيام إمارات القبائل واندحارها.



تبنت المنطقة العربية، وجوارها شرق الأوسطي عمومها، هي حقبة ما بعد الاستقلال في أعقاب الحريين العالميتين، نموذج الدولة القومية (الحددية) بشكلها وحدها ومؤسساتها وبعض ألياتها. ومن خلال ذلك أرادت بعض النخب الحاكمة أن تسترجع على عملية التحديث متجاوزة الأشكال التقليدية للاجتماع السياسي، وفي مقدمتها وأهمها القبيلة. لكن بعد مرور عقود طويلة على تأسيس الدولة الحديثة في الشرق الأوسط، أثبتت القبيلة أنها عصبية على الاقتلاع، وأنها ما زالت حجر الأساس في كثير من البلدان. ذلك أنها لم تخف من المسرح السياسي العربي والشرق أوسطي، رغم ما بدا من غياب أو تغييب لها. فقد كانت القبيلة دوما هناك في خلفية المسرح تلعب أدواراً مركزية في



بعد مرور عقود طويلة على تأسيس الدولة الحديثة في الشرق الأوسط، أثبتت القبيلة أنها عصبية على الاقتلاع، وأنها ما زالت حجر الأساس في كثير من البلدان



Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East  
القبيلة والسلطة: القومية والإثنية في الشرق الأوسط  
Faleh A. Jabar, Hosham Dawod  
(Editors)  
London: Al Saqi Books, 2003;  
360 pp

# دولة القبيلة العربية

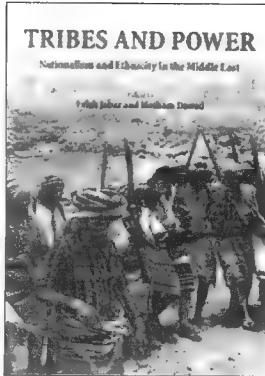
فخر الدين المعني الثاني في جبل لبنان. والدولة السعودية الأولى في نجد، وإمارة الشيخ صفوق من فارس الشمرى في عراق منتصف القرن التاسع عشر. وكانت آخرها إمارة الشيخ خزعل في الأهواز جنوب غرب إيران والتي انتهت بهزيمته أمام رضا شاه ونفيه من الأهواز.

كذلك، يتناول بيير بونت جانباً جديداً وهاماً. فالنارس لايس خلصون يحد تفسيرات لتماسك القبيلة وعدم تماسك المدينة. وكيف أن القبيلة تنتقل إلى المدينة وتسيطر عليها، ثم يبدأ الانحلال وبغيره من مناحي الضعف. غير أن بيير بونت يدرس البنية الهرمية التراتبية داخل القبيلة وفيما بين القبائل التي تنشأ منها الزعامة، فهي ليست بنية متباعدة، بل هي نية احتراق وصراع داخل القبيلة، لا يقل حدة عن الصراع بينه وبين القبائل الأخرى. وعلى الأخص الصراع بين البوئات القوية على الزعامة. وكذلك داخل البيت المترجم، لأنه لا يوجد نظام ثابت لتوارث الزعامة. فعندما يموت شيخ القبيلة يرثه إبنه أو إخوته أو أبناء إخوته، فالوراثة إما أن تكون أفقية أو عمودية. وهنا ينشأ الصراع بين خطوط الوراثة (بين الأبناء والأعمام) أو داخل كل خط (فيما بين الأبناء أو بين الإخوة). وهي مسألة مهمة يعالجها بيير بونت.

## الإدارة البريطانية والقبيلة

في الفصل الذي كتبه توبس دودج عن أثر الاستعمار البريطاني وعلاقته مع القبيلة، يفرض دودج لفتية حنكاً بطاطو حول أن الاستعمار البريطاني أنشد القبيلة من انحدار كان شبه حتمى، وأنه حاول استقلال شيوخ القبائل حتى يساعدوه في إدارة العراق كقوة إدارة محلية. وبهذه العملية هو أنقذها من انحلال كان متوقعا بسبب دخول الحداثة. وهمايات عملية التحديث. كانت رؤية حنكاً بطاطو حول علاقة الإدارة البريطانية بالقبائل قد لفتت قبولا أكاديميا واسعا لعقود طويلة. إلا أنه بعد صدور دراسات كثيرة حول التاريخ الاجتماعى للعراق، احتاجت هذه الرؤية إلى تعديل.

كان حنكاً بطاطو يعتقد أن العشمايين في عهد التتطيمات وفي سياق



قبل ذلك كان هناك استمرارية تاريخية لتوازن بين القبائل وبين الدولة، وتعرف هذه الحالة في المغرب بالدولة «الحزن». وقد لا حظت دولة الاجتماع الخلدونية أن قبائل البدو تتصامن وتكون كل ثلاثة أجيال قوة عسكرية عامة تتقسم المس تأسس دولة، تقوم بدورها ثلاثة أجيال، ثم تتحلل الأواصر بين الفزاة، لتضعف شوكتهم، ثم تتشكل تحت ضغط تحالف بوى (قبلى) جديد أكثر التحاما. لكن العشمايين كسروا المورة الخلدونية عندما دخلوا عصر البارود والدفعية، وغيروا علاقات القوى بين المدينة والقبيلة لصالح الدولة (الإمبراطورية). فالتحول الأهم في العهد العثماني هو انقطاع صيرورة الصراع بين البداوة والمدينة التي هي أساس التنظيم الخلدونية، واتسار المورة الخلدونية: إذ كانت أى مدينة محصنة بأسوارها وقلاعها ومهاجها الموجهة من فتحات الأسوار قادرة غالبا على صد هجمات البدو. يؤكد هذا الانكسار في الدولة الخلدونية إجماع عدد من محاولات الإصلاح من الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، وكانت تلك المحاولات قائمة على صصيات ومحاقت قبائل، كامرارة الشيخ ظاهر العمر في إقليم عكا، وإمارة

مكناها في دولة التدافع التي تابع الدوران.

يتفق ويختلف الباحثون المسامون في الكتاب مع ابن خلدون في بعض الجوانب من نظريته، لكنهم لا يستطيعون إغفالها، خصوصا في الفصل الذي كتبه بيير بونت حول «القبائل والدول: ابن خلدون والأنتروبولوجية المعاصرة»، فهو يدرس دورات قيام الدول والتحالفات القبلية والرها على القبيلة والدولة. ولكن ما هي دلالة فكر ابن خلدون فيما يخص دراسة القبيلة والسلطة؟ وهل يمكن لقراءات وتفسيرات الاجتماع البشرى في القرن الثالث عشر والرابع عشر أن تفسر واقع الاجتماع البشرى الحديث أو العاصر؟



دلالة النموذج التفسيرى الخلدونى هي الاستمرارية التاريخية لظواهر القبيلة كآح ظواهر الاجتماع البشرى. فالدولة الحديثة في المنطقة قد تنشأ إلا في بداية القرن العشرين مع الإصلاحات العثمانية، وإصلاحات محمد على باشا، والثورة العنصرية في إيران (المشروطية).

بيد أن المسألة ليست فشل الدولة الحديثة حصريا، لأنه من فحائل الدولة الحديثة إنشاء تماسك اجتماعى داعم للدولة، وهذا يقتضى أن تستخدم القبيلة في معطم الأحيان لأجل خلق هذا التماسك والدعم. فالقبيلة صار لها إستراتيجية تعنى لتواجد مختلفا لوحداث القبيلة، وهى خطة إستراتيجية مبنية على أيديولوجية القرابة والنسب. ولكن في نفس الوقت، يتم استعمال القرابة والنسب في سبيل مصالح زعماء والخاذ القبيلة. فالقبيلة كوحدة تغيرت، ورغم أن النسب والقرابة هما أيديولوجية القبيلة، الحصرت الوحدات الفعالة في القبيلة في تلك التي لها مصالح تتماشى مع بعضها البعض. وبإلصاح هناك في بعض الأحيان خلافات ونزاعات وصراعات بين مختلف الرئاسات في نفس القبيلة.

## النموذج التفسيرى الخلدونى

يكاد ابن خلدون أن يكون الحاصر الذي لا يبيح من فصول الكتاب، خاصة المولات والنظريات الخلدونية الشهيرة حول «النسب والعصبية والرياسة ودورات الملك». وترى بعض مساهمات الكتاب أن أهمية النظرية الخلدونية في فهم وتفسير مركزية العصبية (القبيلة) في التاريخ العربى لا تتوقف على تفسيراته التاريخية والأجتماعية للحقيقة التي عاشها وسبقها، بل بتد تطبيقاتها الهامة إلى التاريخ الحديث والمعاصر. لاحظ ابن خلدون أن صراع العصبيات القبلية العنصرية يتم حسمه لصالح عصبية غالبية، يؤول إليها الملك، وتعمل من خلاله على إعادة صياغة الأولات والعصبيات العنصرية بحيث تؤسس ولاء وروها جماعية بين عصبيات القبائل المتصارعة، مستندة إلى شريعة القدس المتمثل بدعوة دينية وما لها من فعاليات في التنظيم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى. لكن دينامية وحراك العصبيات العنصرية يخفت ويشتد بالتوازي مع منعة وقوة العصبية الغالبة التي تتعرض حتما في موة الملك الذي ما أن يصل ذروته حتى يبدأ بالهبوط والانحدار الناتج عن فساد يؤله الترف والذعة. في تلك الأثناء تكون عصبية أخرى ترطب الانحدار وتتلقف راية الانتصار، وتضعف وتتأخذ



## كان بريطانيون آخرون مثل جلوب باشا . ينظرون إلى القبيلة نظرة رومانسية؛ ويشعرون بالقلق إزاء تراجع الحياة القبلية، وما تنطوي من نقاء وعفوية، تفتقد لها الحياة الغربية الحديثة



الأوية، وما تنطوي من نقاء وعفوية،  
وقيه، تفتقد لها الحياة الغربية الحديثة.  
بيد أن السلطات الاستعمارية  
البريطانية لم تكن -على أي حال- تثق  
بالقوى السياسية الوطنية والقومية  
الحديثة، بل كانت تخشاهن، فوظفت  
القبائل كعامل توازن ضد القوى  
السياسية المهيمنة، ونشروا الدولة  
والقوى السياسية الحديثة. لم يقتصر  
هذا التوظيف لزعزعة القبائل على  
الإدارة الاستعمارية فقط، بل إن الدول  
والحكومات الوطنية فيما بعد  
استخدمت أيضا القبائل والعصبيات  
القبلية والإثنية ضد القوى السياسية  
الحديثة، واستمر ذلك إلى عهد البعث.  
لكن في عراق منتصف القرن العشرين،  
ثرى أن تطورت ونضج الحركات السياسية  
قلل من أهمية القبيلة والإثنية. وفي  
العهد الجمهوري (عهد عبد الكريم  
قاسم)، مثلا، أدى نظام الإصلاح الزراعي  
إلى إضعاف القبائل والقبلية بصورة  
عامة، ولكنها عادت بعد زوال نظام قاسم  
وصعود البعث إلى السلطة في ١٩٦٨، رغم  
أن الأيديولوجية القومية (الحديثة) في  
مرحلة المبكرة والتي اتبقت منها البعث  
كانت مضادة للقبيلة؛ فتماسك الولي  
والشعب والأمة يجب أن يكون على أساس  
الوطنية والانتماء العام، وليس على  
أساس القبيلة.

### الدولة العراقية الحديثة ومسألة السلطة والقبيلة

يتناول جزء الكتاب الذي هو بعنوان

سعيهم نحو بناء إدارة مركزية، كانوا  
يبدرون الرؤساء والزعامات، ويفتخون  
الفائل. وعلى العكس من السياسات  
العثمانية السامية على التنظيمات، كانت  
الآخيرة تعتمد الحكم المباشر. ولا تؤمن  
بتمويض وسطاء من القبائل والزعامة  
الحاليين للاعتماد عليهم في إدارة  
المناطق. ولهذا فقد كانت علاقاتهم  
عادية مع القبائل، بل تعرضت القبائل  
والقبيلة بشكل عام لانتكاسات متوالية  
في العهد العثماني بسبب مركزية  
السياسة والتحديث القسري والفقوى  
الذي فرضه الباب العالي على أكثر من  
مجال من مجالات الحياة.

لكن البريطانيين لم يوفقوا في إيجاد  
القبائل بل أوفوا بدميرون شيوخ القبائل.  
استخدمت الإدارة البريطانية في العراق  
الشيوخ الثلاثة أسباب، السبب الأول هو  
عدم ثقتهم بالمدن ورغبتهم في إيجاد توازن  
«بريطاني» بين القبيلة والمدنية. السبب  
الثاني أن السير بيرسي كوكس (المتعمد  
البريطاني في الخليج) أقام عام ١٩١٦  
نظام سماه «قانون فض المنازعات» الذي  
أسس شيوخ القبائل باعتبارهم شرعية  
وجهازا عدليا (قضائيا). ولأول مرة أصبح  
لشيوخ القبيلة قوة شرعية مسلحة خارج  
إطار القبيلة، وتضع القبيلة نفسها  
ضمني تحول شيوخ القبيلة إلى قضائي  
وإلى جهاز عدلي، فهددته كانت سيطرة  
قليلة التكلفة. السبب الثالث هو تحول  
شيوخ القبائل إلى إقطاعيين، واستمرت  
عملية تفتت القبائل، لم توفرها ترتيبات  
إعادة تأهيل الشيوخ التي لم تفضل  
القبائل فانتخبوا تحولوا إلى إقطاعيين  
وكبار ملاك، بينما تحول أبناء القبائل  
إلى فلاحين إفتان عندهم. أدى ذلك إلى  
هروب الملاحين من الأرض، وتغلغلتم  
بالتالي عملية تفتت القبائل؛ فلم توفرها  
إجراءات الإدارة البريطانية، بل عززتها.  
كان الاختلاف بين السياساتيين  
البريطانيين والعثمانيين هو أن بريطاني  
أمنحت شيوخ القبائل بتحويلهم إلى  
ملاك وإقطاعيين.

جاءت معالمة مطاط حول هذه  
المسألة من قياصة على الحالة الكردية،  
فقد كان الضباط البريطانيون يتصلون  
ببعض القري الكردية ويسألونهم إلى أي  
عشيرة ينتمون. فإذا أخبرهم الفلاحون  
أنهم لا ينتمون إلى عشائر، قال  
البريطانيون لا بد لكم من الانتماء إلى  
عشائر. لكن الحقيقة أن هناك نوعين من  
التنظيم الاجتماعي في المنطقة الكردية،  
مجتمعات زراعية (فلاحية) في القرى،

«التوليتارية والقبيلة» - علاقة السلطة  
البعثية بالقبائل في العراق تحديدا  
كحالة دراسية، وكيف تمت «بعثنة»  
القبيلة أو تحزيب القبيلة بعثيا، وفي  
الوقت ذاته اتخذت السلطة طابعا قبليا.  
وهذا الموضوع هو محور الكتاب دون شك  
لأنه يركز على علاقة القبيلة والسلطة  
في العراق الحديث.

ففي الفصل المنون «شيوخ  
وأبيدولوجيا»، ويتناول تمكين جزء منها  
تركيب القبائل العراقية تحت توليتارية  
البعث «الأوية»، يقدم طالع عبد الجبار  
تقسما وطنيا لأنماط القبيلة، فهناك  
«القبيلة الثقافية» Cultural Tribalism  
وتعبر عن شبكات قرابة قوية أو  
أبيدولوجيا قرابة قوية، وعن قيم  
ومعتقدات ثقافية دون أن يوجد وراءها  
تنظيم قبلي كلاسيكي كما هو في  
السابق، فهي قبيلة أصبح جزء منها  
مزارعين. وآخر لا زال في البدايت، وآخر  
انتقل إلى الاستقرار في المدن ولا  
يرتبطون ببنية قبلية محددة، بل يرتبطون  
بعض عهود وعلاقات تراحم وتكافل في  
أموال الزواج والولاءة والقضايا والوساطات.  
وهذه القبيلة لها هي التي تتباين  
وتتمايز بين حالة (قبيلة) وأخرى.

رغم أن المتناقض بين الخطاب  
القومي وهو بطبيعية يتسنع بتجاوز  
القبائل والإثنيات والمناطق وبين الخطاب  
القبلي الذي هو ضيق وحصري  
بمجموعة بشرية معينة، استعانت  
المجموعة البعثية الحاكمة منذ ١٩٦٨ -  
بسبب ضعف وضعها والأقلوي له المصالح  
حزب البعث بأفراد قبيلتها لملء المناصب  
الحصانية في الجيش والأجهزة الأمنية؛  
فسميت هذه الحالة «بقبيلة» الدولة  
Tribalized State أو قبليسية  
«حكومية» Etatized Tribalism أي أن  
الدولة صارت محاطة بشبكات من  
القبائل لصالحها. فعندما استخدمت  
الأحزاب الكردية القبائل الكردية القوية  
لأغراض عسكرية، سميت الحالة «قبيلة  
عسكرية» Military Tribalism بأن  
الأحزاب الكردية أشرت الخدمات  
العسكرية للقبائل من أجل سلطة  
القبيلة وليس فقط من أجل زعامة  
القبائل، وهؤلاء الزعماء تحولوا بدورهم  
إلى راسمالين كبار يمكنهم مشروعات  
صناعية وفنادق وعمارات بفضل هذه  
التحويلات.

أما القبيلة «الاجتماعية» في  
الجنوب، فهي تعبر عن حالة الحارون  
من الزيف للمدينة وما بينهم من تضامن



## ما لا يقل عن ثلث القيادات

**العسكرية الرفيعة، وتخب رجال الأعمال  
الذين أشرُوا خلال عهد البعث بالعراق، وقيادات بعض  
المؤسسات الأمنية الحساسة، تنتمي  
في معظمها إلى قبيلة أو قبيلتين**



ببعض خصائصها ووعالها التاريخية  
كتشافاتها التي تميزها عن غيرها من  
التشكيلات الاجتماعية، وتقاليدها التي  
تستطع ولأه أفرادها، وسدنتها لمامات  
بعض الأولياء، فإن قوتها السياسية قد  
اضمحلت إلى حد كبير.

يشكك براون في الرؤية التقليدية  
السايدة حول القبيلة باعتبارها وحدة  
إثنية وتاريخية، بل قد تكون وحدة قسرية  
جغوية أو جغرافية، حيث تضم روابط  
الجوار والسكنى للمواطنين في تلك  
المناطق أساساً للانتماء والرابطة  
القبيلة. وبناء على ذلك، تصبح القبيلة  
مركبة اجتماعية معقدة، تدخل فيه  
مكونات البشرية بشكل طوعي، وتبارس  
القبيلة سلطتها وتقاليدها على هذه  
المكونات كما تصنع عليها حمايتها.

يتفق براون مع ملاحظة إدوارد كوث  
(مؤلف الفصل الأول) أن القبيلة هناك  
ليست بالضرورة علاقة دم أو علاقة قرابة  
عن طريق الأب، إذ تخضع هذه المسألة  
لتداعلات وتباينات من ناحية النسب.  
وكثيراً ما ألت رعاة بعض القبائل إلى  
عائلات من الأشراف الهاشميين لا

تتمسك بمرآة الدم إلى القبائل ذاتها، بل  
إن شرعية العرش الخريفي نفسها تستمد  
من النسب الهاشمي الفاطمي للأسرة  
العلوية المغربية المالكة، الحقيقة أن هذه  
الملاحظة لا تصدق أيضاً في المشرق، فقد  
اختارت قبائل شعر في القرن السادس  
عشر الشيخ سالم بن الشريف محمد بن  
بركات (الحربا) زعيماً لها، وظلت كذلك  
شعر في ذريته إلى اليوم، ويقال كذلك  
إن رعاة قبيلة مطير من آل العنوش هم  
أصل من الأشراف الهاشميين. وهناك  
أمثلة أخرى على ذلك.

والواقع أن أيديولوجية القزلية لا  
تتشق دائماً وبالضرورة مع الأوضاع  
القائمة على الأرض. وكثيراً ما تكون  
القبائل رؤية استراتيكية وخط متربطة  
عليها، مما يتعكس في تقاليد ومرويات  
شعبية حول أصول وقرابات اقترابية  
(غير حقيقية)، لكنها ضرورية لترتيب  
الأوضاع الاستراتيجية والمعيشية للقبيلة.  
فهو إن حالة مرتبة تعبر عن أوضاع  
بنوية وإشكالات استراتيكية، ورغم تشابه  
ثورة القبيلة والأيديولوجية القبلية في  
المشرق والغرب، يختلف التشكيل  
الاجتماعي للقبيلة في العرب عن  
المشرق، خصوصاً من ناحية علاقة القبيلة  
بالمركز المؤسسية وهي مسألة موجودة في  
قبائل كردستان ولكن بترتيب  
مختلف.

النسب والقرابة، مع أن ساطع الحمصي  
وموشيل علق إماماً مفهوم الأمة بشكل  
أساسي على الرابط البشري والتاريخ  
المشترك وليس على رابطة المرق أو  
النسب.

## القبيلة في المغرب

في الفصل الذي كتبه كنيث براون  
حول «الولة والقبيلة في المغرب»، يتناول  
براون علاقة القبائل المغربية  
والصحرانية بالولة المغربية أو «المخزن»،  
كما في التسمية التاريخية المعروفة.  
كذلك، يرصد الباحث التحولات  
الديمقراطية المتسارعة بين الحرف  
والبلد، في مطلع القرن العشرين، بلغ  
سكان الريف والصحرى في المغرب ضعف  
سكان المدن تقريباً. لكن لدى الوصول إلى  
عقد التسعينيات الماضية، أصبحت نسبة  
سكان الريف والصحرى حوالي ٤٠٪ من  
عدد سكان البلاد. أم ذلك لا محالة إلى  
ضعف أوضاع القبائل في المغرب، ويسر  
للحكومة المركزية السيطرة على البلاد  
في عهد الاستقلال. لم تشهد مناطق  
القبائل أي تحركات أو انتفاضات ضد  
الدولة منذ نهاية السبعينيات الماضية،  
مما يؤثر على قدرة الدولة المركزية على  
إحكام السيطرة وتصميم مراكز القوى  
العربية التي يمكن أن تشكل تحدياً لها  
منذ بداية الثمانينيات الماضية. وإضافة  
إلى ذلك، تشكلت الولة من حيزاة كافة  
الأدوات والوسائل التي تكللها على تشكيل  
التوجهات والأوضاع القبلية، بما يضمن  
لها سيطرة شبه تامة على هذه الأوضاع.  
ورغم أن القبيلة المغربية لا زالت تحتفظ

بحو القبيلة، فمن ناحية، قامت حكومة  
الحزب بشطب اسم الأسرة أو العشيرة أو  
الناحية من أسماء الأشخاص ربما  
لصرف النظر عن الصعوبة القبلية للأفراد  
المنظم ذاته أو لصناعة الشؤون بالانتماء  
والقرابة والانتماء والتعارف بين أبناء  
القبائل الأخرى المتنافسة. من ناحية  
أخرى، أدت سياسات النظام إلى إنبات  
دور القبيلة في العراق بعد ذبول وإفكاه  
طويل، كما أدت إلى اعتماد الجيش  
للتشكيلات القبلية.



فما لا يقل عن ثلث القيادات  
العسكرية الرفيعة من مستوى قيادة  
الفرق فما فوق، وتخب رجال الأعمال  
الذين أشرُوا خلال عهد البعث، وقيادات  
بعض المؤسسات الأمنية الحساسة تنتمي  
في معظمها إلى قبيلة أو قبيلتين؛  
والسبب الأساسي وراء ذلك هو إضفاء  
عامل التلاحم على النخبة الحاكمة،  
تصميم السياسات القبلية للبعث،  
والانتقال من الخطاب القومي الموجه  
للأمة إلى الخطاب القبلي الضيق إلى  
مارق أيديولوجي حاول بعض  
أيديولوجيين في حزب البعث حله حلاً  
براجماتياً لتسويق القبيلة في المجتمع  
العراقي باعتبار أن القبيلة التي تتقوم  
بينها هي القرابة ونقاء النسب هي  
وحدة بنائية تمتد كلبنة أو مكون داخل  
العائلة العربية الكبرى. وبذلك لا يكون  
هناك تناقض بين أيديولوجية البعث  
القومية التي تقوم على فكرة الدولة وبين  
أيديولوجية القبيلة التي تقوم على

وتكامل. فنتيجة لتدمير أو إصعاف  
منظومات المجتمع الأهلي التي في شكل  
التصير عن انتماء الفرد إلى مجموعة  
أو أمة أو طبقة، نشأ فراغ بين الدولة  
والفرد. وهذا الفراغ مآله شبكات  
التضامن الأسرية ومنها القبلية فهي  
قبلية واجتماعية.

## الدور السياسي للقبائل العربية

شابت صورة القبيلة في بلدان عربية  
أخرى كاليمن والأردن عن الكتاب، وهذا  
أحد أوجه النقد الذي يوجه للكتاب؛  
فدراسة القبيلة في هذه البلاد تساعد  
على الوصول إلى مقارنات واكتشاف  
حصول التوازي والتباين مع ما حدث  
للقبيلة في العراق والجزيرة العربية  
والغرب، فاقبلية في اليمن والأردن لها  
أوضاع رسمية أكثر في السياسة وفي  
ترتيب الدولة، خاصة في اليمن وتطور  
المجتمع والاقتصاد والدولة في اليمن  
يختلف عنه في البلاد العربية الأخرى  
مثل مصر. لذلك استمرت أهمية  
القبيلة، كما استمر التنظيم الاقتصادي  
والتاريخي لبعض القبائل. ولأزال النظام  
العسكري للدولة يتدخل مع العصابات  
القبيلة. لذلك تتجاوز أهمية القبيلة  
والقبيلة في اليمن تلك الأهمية في بلاد  
العرب الأخرى. أما في الأردن، فالقبيلة  
لها دور سياسي مباشر يتعكس على أي  
النتخابات عامة والتي عادة ما تكون  
مسبوقة بانتخابات داخل القبيلة، والتي  
ترشح بدورها من يمثليها في الانتخابات  
البرلمانية أو البلدية. وهذا بدوره يكرس  
شرعية القبيلة أو الوضع الرسمي  
للقبيلة في الأردن، مع اختلاف الحالة  
هناك منها في اليمن. أما في العراق،  
فقد ضعفت القبيلة حاليًا ومتخففة  
القرن العشرين، بل قوتها واستمرار  
عافيتها مرة أخرى بعد توطينها من قبل  
حكومة البعث، وفي آخر عهد  
استخدمت حكومة البعث القبائل لتقوية  
السيطرة الاجتماعية للدولة، فقد  
ضعفت البعث الدولة في الأقاليم  
والمناطق مما فتح المجال لأنبعاث دور  
القبائل فيها.

في دراسته للقبيلة والدولة في  
العراق، يسجل كايكو ساكي ملاحظاته  
حول دور القبيلة في الجيش والوزارات  
والإيران في الحالة العراقية. ما يلفت  
النظر هو ذلك التناقض الذي يبدو  
أحياناً في توجهات حزب البعث الحاكم



تاريخية معاكسة تضاد أهداف وغايات القائلين عليه في المقام الأول.

وهي ظاهرة تاريخية عامة تطبيق على أكثر من بيئة وتجربة. فهناك عدد من الدول التي أطلقت مشروعات تعليم وتحديث واسعة أملاً في تسريع معدلات التقدم وفي كسب دعم الشعب، وس ثم الاستقرار السياسي، ولكن التعليم وما يستتبعه من تطوير وتوسع الأفاق العسكرية والتأهية للناس يطلق قدراً هائلاً من التوقعات العالية، ويؤدي إلى مناخ خصب لأفكار التغيير والمعارضة وتجاوز الأنظمة القائمة. وربما ينطبق هذا المثال على بعض دول الخليج العربية، فالطبيعة التعليلية ووفرة الموارد ورأس المال أتاحت الفرصة لإطلاق عمليات تعليم وتحديث كثيفة، علمت أجيال جديدة على نطاق واسع، وأزالت الحواجز بين هذه الأجيال وبين العالم الحديث، بكل ما ينطوي عليه ذلك من مؤثرات ومخاطر وشكوك. وعى الأجيال الجديدة واستأثرت فيها استجابات متعددة.



وقد نهدر هذه التجارب بعض ما تشهده منطقة الخليج من توجهات واديكالية وتسلط لوجية السلف ضد الغرب، وخاصة الولايات المتحدة. كذلك، تطرح هذه الظاهرة تساؤلات كبيرة حول الحقبة لدى قطاع من الأجيال الشابة في منطقة الخليج، والتي بلغت ذروتها بهجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١. فقد ظنت الرواية الأميركية الرسمية أن تلك الهجمات وما وراها من اضطراب وعنف هو نتاج لثقافة تعصب وإفلاق وعزلة عن قدر قيم الحداثة وواقع الحضارة العالمية المعاصرة. لذلك، قامت الإدارة الأميركية بترويج بعض المبادرات للإصلاح الديمقراطي والاجتماعي والثقافي في الشرق الأوسط، ولا تحصى نيبتها أو رغبتها في تغيير المناهج التعليمية. وحادث الانقطاع عن الموروث الديني والثقافي من مزيج من التحديث والمعاصرة، كما لا تحصى استعصامها لتغيير الأنظمة التقليدية في المنطقة، إذا أمكنها ذلك. الخلاف هنا في الموروث الثقافي والديني الذي يلقي عليه بالامعة

فالسيف هو رمز القوة، والمنسقف - الذي هو اللحم والثرير - رمز الكرم والمشاركة الاقتصادية.

وهذا التحليل يخسر أيضاً إلى نموذجين تفسيريين: النمط الخلدوني البسيط والنمط الخلدوني المركب، لفيلة تعتمد على أيديولوجيا القرابة، وإمارة تعرض الأمن كسلفة بين القبائل، فتصبح بدورها وسيطاً.

### الخبرة القبيلة

#### في إيران وكردستان

يرسم الفصل الذي كتبه هاريزان صياحاً حول برنامج الخيمة البيضاء في إيران، بعض الموازيات: إذ يتناول القبيلة في الحالة الإيرانية، ويتناقل برنامج تأهيل وتحضروا ما بين انهيار الميضاء ونقلهم من البداوة إلى التحضر. من المفارقات أن هؤلاء البدو الذين تعلموا وتحضروا ما بين انهيار حكومة مصدق عام ١٩٥٢ وسقوط نظام الشاه عام ١٩٧٩، التحق كثير منهم بثورة الخميني الإسلامية ضد النظام ذاته الذي قاد عملية تأهيل وتحضير البدو. كان هؤلاء من البدو المهاجرين للمدن، وهناك في المدينة تعلموا، واتسمت أفاقهم، وعلت توقعاتهم، ولكنهم لم يجدوا أعمالاً، فأقاموا إخوانيات أو تعاونيات لم تهتم بهم الدولة، واهتم بها رجال الدين الذين قدموا لها المساعدات المالية والاجتماعية، والتحقوا بهم. وفي غياب الأحزاب والإسماة الدينية الحديثة، أصبح هؤلاء المهاجرون موالين للقوى الدينية. فكانما هي صيرورة التحديث الذي يستتبع عمليات وتنازع

الرشيد الذين افترضوا الأيديولوجية الدينية. وهل أدى افتقاد آل الرشيد لنظام توريث مستقر - وهو إخفاق في تنظيم واستدامة العصبة القبيلة - إلى حدوث فراغ سياسي وقادى في إمارة آل الرشيد بحائل، فالقمة الصراع داخل آل الرشيد على زعامة الإمارة مما أتاح لأبن سعود فرصة الانقضاض عليها وإنهاء ملك آل الرشيد؟

تؤشر هذه الدراسة وغيرها إلى أنه من رحم القبيلة نشأ الدولة، إلى الدولة السالاية (الوراثية) بالتحديد، وليست الدولة الحديثة، بدليل نشوء إمارة شمر في جبل شمر ونشوء إمارة آل سعود في الدرعية وجوارها قبل أن تتوسع لتصبح مملكة فيما بعد. وهي تشير إلى قانون الانتخاب العنصري داخل القبيلة: فأقوى شخص في أقوى بيت لأقوى فخذ أقوى عشيرة هو الذي يؤسس إمارة. وعندما نشأ أكثر من إمارة، فإن أقوى إمارة هي التي تصنع دولة حديثة. وهي تلاحظ بحق أن الفرق بين تنظيم القبيلة التقليدية وتنظيم القبيلة التي تتحول إلى إمارة يتجلى في تشكيل وتنظيم القوى المسلحة، فالانخراط في القوة العسكرية للقبيلة هو حالة طوعية، لكنها لم تعد مسألة طوعية في القبيلة التي تحولت إلى إمارة. بل تصبح القوة العسكرية للإمارة منفصلة عن القبيلة، ويضاف إليها عبيد كالمجنين استحصرها من بلاد الحبشة وبلاد القوقاز إلى إمارة آل الرشيد، وبعض هؤلاء العبيد يرضونهم مع أبناء الشيخ حتى يصبحوا أخوة لأولاده بالزراعة، أخوة رمزية بالخطب، ويصبحون قوة مسلحة لإخضاع القبائل الأخرى وإخضاع قبيلتهم. لذلك، تقول الخبرة العربية (القبيلية) أن «الإمارة سيف ومنسقف»

### قانون الانتخاب العنصري

في الفصل الذي كتبه مصاوي الرشيد حول «الكونفدراليات والإمارات القبلية في الجزيرة العربية»، تحاول المؤلمة أن ترصد تطور علاقة السلطة والقبيلة في الجزيرة العربية، وتتابع نشوء إمارات آل الرشيد وآل سعود وعلاقة كل منهما بالقبائل الأخرى فقد سيطرت تحادات القبائل العربية على القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على مناطق البدو الرحل الشاسعة بينما سيطرت إمارات صغيرة على الواحات ومناطق استقرار القبائل في نجد والحجاز والإحساء وعسير. أدت التغيرات المستمرة في ولايات وتحالفات القبائل وتبديل المصالح والأصاغل الاقتصاد إلى تغيرات مقابلة (مناظرة) في سلطة وفوق الإمارات المستقلة. ومن ناحية أخرى، كان ازدياد قوة ونمو تلك الإمارات تنعكس على قدرتها على المناوئة والتغلب بالتمسك بالسلطات والاتحادات القائمة بين القبائل. استمرت هذه الحركية كأحد أهم العوامل المؤثرة في العلاقة بين القبيلة والسلطة في الجزيرة العربية حتى قيام المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢.



وكثيراً ما تستدعي الباحثة مقولات ابن خلدون، فتناقشه وتخالفه في مسألة الأيديولوجية والعصبة البدنية. فهي لا ترى أن ثنائية العصبة القبيلة والشرعية (الدعوة) البدنية شرعاً حتمياً لقيام الملك أو الرياسة في حالة إمارات الجزيرة العربية. فقد قامت إمارات تتمتع بأحد طرفي الثنائية دون الآخر، كإمارة آل الرشيد - التي تحققت للعصبة البدنية دون الدعوة الدينية - في حائل (١٨٣٥-١٩٧٩) أو إمارة آل سعود في الدرعية (١٧٤٤-١٨١٨) - والتي غلبت شرعيتها الدينية على عصبيتها القبيلة.

ولكن تشكيلة العصبة القبيلة والدعوة الدينية تبقى ذات دلالة في فهم أليات وحركيات قيام الإمارات ذات الأساس القبلي واندخارها. فهل كان لدعوة إلى العهد الميسية دور في رفع قدرته على الحشد وإيقاع الهزيمة بال

**تقول الخبرة العربية (القبيلة)**  
**أن «الإمارة سيف ومنسقف».**  
**فالسيف هو رمز القوة، والمنسقف -**  
**الذي هو اللحم والثرير - رمز الكرم**  
**والمشاركة الاقتصادية**



# كتاب الزاوية



سندباد إلى الغرب

## جولة في باريس ما بعد الحرب

كل ما رأيته في فرنسا لم أتوقعه. والذنب في هذا واقع على الصحافة الماعلة التي تعيش بمال المنتصرين، وبأغراض الطامعين في ثرات أم الحضارة وزينة الحضارة.

توقعت أن أرى فرنسا غافلة عن أمسها الذليل في ظل الصليب المقوق، لتتسج لنفسها لبوساً من البطولة الزائفة والمجعة الفارغة. فوجدت الفرنسيين يواجهون الحقائق المرة بشجاعة، ويمترفون في أحاديثهم وحياتهم بسنوات الضمة والانكسار. لهم في ذلك قولة مشهورة: سنوات الاحتلال النازي هي أيضاً من تاريخ فرنسا العريق. وفي هذا التاريخ صفحات المجد والذلة والفقار والاندحار.

توقعت أن أرى فرنسا فرحة بتحريها فحسب، فوجدتها مطاوعة الرأس واجمة، تبعث في شباب نفسها عن طريق الخلاص من أسباب نكبتها، تسائل التاريخ والاجتماع والاقتصاد والعلم عن منهج جديد في حياتها. توقعت أن أرى فرنسا مهدمة فقيرة قذرة تقتحمها العين. فأريت شعباً جريحاً يضمج جراحه. أتبعاً يترق ثيابه، نشيطاً إلى البناء، متحفزاً إلى النهوض من كبوته، أكثر ما يكره الوقوف بالأطلال والبكاء على الزمن.

دخلت المعارض وقاعات الصور والمسارح، وارتدت المكاتب العامة وبيوت النشر، والمعامل ودور الحكم، وطالمت وراء سطور الصحف السياسية والأدبية والفنية، فإذا الشعوب لا تعيش بالخبز والرزق وحدهما ولا تموت بالحديد والنار فحسب.

هنا عرفت للمرة الأولى بعد المائتين سر رقى الشعوب، وهو في فكر الفيلسوف ومعمل العالم، وريشة الصور وقلم الكاتب والموسيقي.

## خاتمة

وبعد قرن من الخاض الذي شهده المشرق العربي الإسلامي، وما سر على المنطقة من تيارات وأوضاع ومتغيرات سياسية واجتماعية وأيدولوجية، أخفقت الدولة القومية الحديثة في خلق بديل عن القبيلة وما تمثله من قيم تقليدية في الانتماء والعصبية والتضامن، ونسيج اجتماعي كثيف، وفضاء للحراك والتفاعل الاجتماعي، وهي الوسائط التي لا يستطيع الفرد أن يعيش أو يتفاعل خارجها مجرداً من معنى الهوية وقاعدة الإنسان. فأساس البناء الاجتماعي الذي تستند إليه الدولة الحديثة هو مبدأ المواطنة الذي يفترض فيه أن يقيم هوية وانتماء وطنياً يعلو على ما سواه من انتماءات جهوية أو إثنية أو ثقافية أو غيرها. لكن القهر والقمع والتسلط الذي جأت به الدولة الشمولية المتسلطة (الحديثة) يبدد أبدأ أوهام حول إمكانية أن يسود مفهوم المواطنة بدلاً من غيره من الانتماءات، أو أن تصبح الدولة الحديثة هي المشترك الذي يجمع الإثنيات والهويات المختلفة. بل إن التسلط والقمع قد أدى إلى اضمحلال المجتمع الأهلي (القبلي) من أوقاف ونقابات وطرق صوفية ومؤسسات ثقافية وأدبية ومشروعات خيرية وروابط اجتماعية، فلم يبق من ملاد للأفراد والمجموعات أمام تقوى الدولة إلا العودة إلى أكفان القبيلة أو العصرية أو العائلة، وما توفره هذه الكيانات من حماية وعصبية وانتماء. فممارسات الدولة الشمولية هي التي أدت بشكل غير مباشر إلى إعادة الحيوية للقبيلة. وإذا كان للكانتات العصرية دوراً حياً تبدأ بالميلاد وتنشئ بالوفاة مروراً بالمتوسطة والشباب والهرم، فإن الكيانات والتشكلات والظواهر الإثنية والاجتماعية والثقافية هي حالة تاريخية لا تموت عصويًا. وهي قد تضعف أو تنو أو تنكف مع بعض الظروف غير الواتية أو تصبح في حالة كمون بانتظار انعراج تاريخي يعيد لها حيويتها وسيورتها، ويمتدحها دورها وصيرورتها. تبقى القبيلة وكأنها الثابت الوحيد الذي يظل المتغيرات السياسية والايدولوجية والأنظمة والنخب والظواهر في المشرق العربي الإسلامي.

العنف والتطرف استمر سائداً عقوداً أو قروناً، قبل برامج التعليم وعمليات التحديث الواسعة التي شهدتها المنطقة في العقدين الماضيين، بدون أن يصب أي توجهات إيديكالية أو يولد عنفاً، خاصة إزاء الحرب. لذلك قد لا تؤدي إزاحة الموروث القديم ورفع وتيرة ومسددات التحديث وإسقاط منظومة القيم والأفكار المحافظة إلا إلى مزيد من الراديكالية والرفض والعنف العدمي!

مسألة السلطة والقبيلة في كردستان يتناولها مارتن هان برونيس في فصل حول «الأكرد والدول والقبائل، ويركز على صلاية القبيلة الكردية التي تعرضت لحالات قذرت مختلفة في تركيا وإيران والعراق. ومع ذلك تعيد القبيلة الكردية إنتاج نفسها وإثبات فعاليتها. تستظيم القبيلة الكردية يختلف في بعض جوانبها عن تنظيم القبيلة العربية التي لا يجمع فيها شيخ القبيلة بين وظيفة دينية وأخرى دنيوية، كما هو الحال في كردستان. كما تحولت قبائل كردية بأكملها إلى زعماء (أغوات)، فهم يسيطرون على إقليم من أمثاله فريه ويتقاسمون عائلاتها، فليس هناك مجتمع زراعي خارج نطاق القبائل في كردستان. وهذا ليس له نظير في القبائل العربية إلا في حالة شيوخ جنوب العراق الذين تحولوا إلى إقطاعيين وأصبح أفراد قبيلتهم فلاحين في الأرض. ويسبب هذه المنطقة الجبلية في كردستان، لم تتمكن الطرق الحديثة ونظم الاتصال من اختراق المنطقة بسرعة، مما تسبب في عزل قبائل كردستان عن مؤثرات وأفكار وتيارات المجال الحديث بهم. لذلك، كانت هناك مناطق عديدة في كردستان لم يطبق فيها الإصلاح الزراعي الذي قوض سلطة شيوخ القبائل الإقطاعيين في جنوب ووسط العراق، لكنه بالكاد من هذه الطبيعة في كردستان. فقد كان الأغوات الإقطاعيون في كردستان أقوياء ومتفانين جداً، لا يجرؤ أحد على التقدم لأخذ أراضيهم، أو كانوا دعاء جداً إذ وظفوا مبدأ التفاوض. فتفاوضوا مع فلاحيهم ومع أحزاب يسارية في المنطقة، وعطلوا الإصلاح الزراعي من خلال عملية التفاوض وتقديم بعض التنازلات وتوزيع بعض المكاسب.







## تزييف العقول العربية

بأسلوب، تسليم مفتاح turn key، تهدى الدول النامية في المجال صاصلتها المعلوماتية بنقص الأسلوب، وفي أحيان كثيرة يزور المهاجر بلده بعد مغادرته لها بقليل كخبر لشركة الأجنبية التي انتفى إليها، لتجانبها عليه الشركة الأجنبية مثله مثل أي خبير أجنبي آخر، بالرغم من كون هذا المهاجر لم يكتسب بعد خبرة تفوق بكثير ما هاجر حاملا إياها، إنها بحق عملية (إعادة تصدير) في صياغة عولية.

(ج) العمل في المكاتب المحلية والإقليمية للشركات المتعددة الجنسيات، وهو توجه ينمو بسرعة مع انتشار العولمة وتفيد اتفاقيات منظمة التجارة العالمية، وتعمل هذه المكاتب عادة على ضيق الأفق من المخصصين المحليين لتسحب من السلطة التطوير الرئيسية في مراكز إدارة هذه الشركات، وهنا يبرز اختلاف جوهرى آخر متعلق بتكنولوجيا المعلومات، مرجعه هذه المرة إلى تنامي التوجه الثقافي والاجتماعي لتطبيقات المعلومات الحديثة، ومن أمثلتها البرمجيات التعليمية والثقافية ونظم الحكومة الإلكترونية وما شابه، وهو توجه، يحكم التصريف، يعطى ثقل أكبر للجوانب المحلية، وهكذا تصبح المكاتب المحلية لتكبر شركات البرمجيات بمثابة شبكة مؤطرة تقوم بتجميع الشق المحلي من مناطق شتى حاملا معه عصارة فكر أصحاب العقول المحليين وخلاصة خبراتهم المحلية، ليؤول كل هذا في نهاية المطاف إلى مراكز التطوير الرئيسية لهذه الشركات لتقوم بوضع عمل صوري لهذه برمجية عامة universal software packages يقدمه مطوروها أنها ذات عمومية على المستوى العالي تسهلها صلاحية لجميع الأسواق محلية طابع كل محلي وخاص، وعلى المستهلك في كل مكان أن يدفع أعباء هذه العمومية، وما أكثر الحالات التي تعجز فيها عن تلبية مطالبها الخاصة، وإن كانت هذه الحزم البرمجية قد حققت، حتى الآن، نجاحا، تسويقيا رغم ارتفاع ثمنها إلا أن الكثيرين يتفوقون على تصديرها مع تزايد ثقل الشق المحلي في تطبيقاتها التعليمية وتوجه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات صوب المجال وصوب الجامعات.

(د) استخدام الإنترنت لاجتناب عمالة الدول النامية وهم قايمون في أوطانهم دون حاجة إلى هجرة، دالة كانت أم مؤقتة، حيث يمكن لهذه العمالة المحلية أن تشارك في الإنترنت مع فريق العمل الجماعي للشركات الأجنبية، وما يمكن أن تطلق عليه "تزييف العقول عن بعد"، ومن المتوقع أن تتوسع المؤسسات الأجنبية في هذا التوجه

الدائمة تجريبيا لظهور بدائل أسرع واقل كلفة كما سنوضح أدناه.

(ب) الهجرة المؤقتة للعمل، وكما نذكر على معدل تزايد ملحوظ الهجرة ووضوح الجدول أدناه عدد فيزات الإقامة التي استصدرتها بعض كبرى الشركات الأمريكية في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لاستضافة العمالة الأجنبية وذلك خلال الفترة من أكتوبر ١٩٩٩ إلى فبراير ٢٠٠٠.

وفي هذا الصدد تتميز تكنولوجيا المعلومات، خاصة البرمجيات، باختلاف جوهرى عن غيرها. وهو فانية عمالتها الشديدة للرقن كما بين أماكن العمل job mobility، يترجع ذلك إلى التوسيع القياسي لبيئة عمل المخصصين المعلوماتيين، فهم يستخدمون، بعض النظر عن مؤهلهم المعرفي، نفس المعدات، ويرجعون إلى نفس الوثائق

ميكروسوفت، وهي الاحتكارية التي تالت تشكو منها كبرى شركات البرمجيات في الولايات المتحدة نفسها، إنها بحق الاحتكارية في صورتها التقصوي، احتكارية اقتصاد المعرفة القائمة على احتكار للعقول الصاعدة تهده المعرفة، وقد أظهرت، على عكس المتوقع، منتجات صناعات المعرفة، كصناعات البرمجيات والدواء على سبيل المثال، قابلية غير مسبوقه للاحتكار وذلك بفعل القوى السياسية والاقتصادية التي توجه حركة التقدم العلمى والتكنولوجى.

### ثالثا، قنوات امتصاص

عقول الدول النامية

هناك عدة قنوات لامتصاص العقول،



منها ما هو تقليدى، سابق على انتشار تكنولوجيا المعلومات، ومنها ما هو مستحدث ويمتكن نتيجة لانتشارها، خاصة فيما يتعلق بالإنترنت، ولوروا فيها إلى قائمة بهذه القنوات التي تمتص العقول غير مسالكتها، مفضل، مصححة، هائلة، لتصب في النهاية في عدد محدود من مراكز الاحتكار المعرفى، للعلمى والتكنولوجى والإبداعى، الهجرة الدائمة لعمالة المهارات العليا، ومن أكبر مصادرها استبقاء المبعوثين، ولا تختلف عمالة المعلوماتية هنا عن غيرها من عمالة التكنولوجيا المتقدمة، وقد أخذت تتوازى الهجرة

ورفضت الدول الكبرى المساهمة في إنشاء صندوق عالمي للتسليم المعلوماتية في العالم النامي، فقد حصلوا، على ما يبدو، أن يتركز نهجا لاطمام مورديهم وجيش معاولهم، يعانى من قصور الموارد واتساع كلفة هذه التهيئة، سواء من حيث إنشاء البنى التحتية، أو تطوير نظم المعلومات التي تبس عليها. وهل للمرء أن يعمل هنا عن موقف منظمة التجارة العالمية WTO، فينبينا نطعن أقصى درجات الأولوية لموضوع الملكية الفكرية وتبسي، ما وسعها الحدود، لتوسيع نطاق الحماية ليشمل أيضا الاكتشافات العلمية، بينما تعمل دول لحماية مصالح الكبار، مراعاة لنهزم الصمت الشام حيال هذه العقول التي تساهم في عمالة فعالة فيما تسمى الملكية الفكرية لحمايته

أما معنى الكبار فيما يخص تصنيف المجهود الرقمية بين العالم المتقدم والعالم النامي فلا يتعدى كونه شعرا فارغا، ولا يبالغ إن قلنا إنه يعطى قناعة الكثيرين من اعنياء عائلنا سياسة، قارب النجاة الذي لا يتسع للجميع، وما على شعوب العالم المتحلمة إلا الرضا بمصيرها المحتوم، ومازال في الجملة الكثير، فمن ما يمكنه أن يتقن فيما أعلنه الولايات المتحدة على لسان آل جور، نائب الرئيس الأمريكى السابق، من ضرورة تصنيف المجهود الرقمية عالميا، وكيف يتسبب هذا مع ما يتروء من أصوات أمريكية تنادى تحت دعوى محاربة الإزهاق، بالتحول من مبدأ الحق في المعرفة right-to-know إلى توفير المعرفة بغير الحاجة إليها need-to-know، وغالبا ما سيؤول ذلك في النهاية إلى نمل المعرفة إلى الدول النامية ما لقدم الذي يكفى استيعاب مسئوليتها لتتخاض صناعة المعلومات كشية المعرفة، فنول آخر معرفة من أجل تنمية الأسواق لا تنمية العقول.

ومشكلة تزييف العقول ليست مقصورة على الدول النامية بل تشكو منها أيضا بعض البلدان المتقدمة، فهي في دول الاتحاد الأوروبي تظهر قلقا شديدا، من هجرة عقولها، خاصة في مجال التكنولوجيا المعلوماتية والتكنولوجيا الحيوية. إلى الولايات المتحدة سحنا عن فرص أكثر للإبداع العلمى والتكنولوجى، وهو الأمر الذي يؤكد مدى نوحش النزعة الاحتكارية لراسمالية أيماننا، راسمالية التكنولوجيا المتقدمة، كما سيبدو البعض، حيث لا تتوانى قصة المسكر الراسمالي عن احتكار موارد خلائها من داخل المسكر ذاته، وقد طورت سواد التدمير من هذه الاحتكارية المفرطة في سوق تكنولوجيا المعلومات فيما قام به الاتحاد الأوروبى مؤخرًا من التصدي لاحتكارية شركة

عدد الفيزات	التخصص الفالبي	شركة إينتل
٣١٧	صناعة الشرائح الإلكترونية	شركة موتورولا
٦١٨	صناعة الشرائح الإلكترونية	شركة ميكروسوفت
٣١٧	تطوير برمجيات	شركة أوراكل
٤٥٥	تطوير برمجيات	شركة سيسكو للنظم
٣٩٨	اتصالات	

القليل الكلفة، والذي يحس ديموغرافية بلدانهم من هجرة العمالة الوافدة إليها من العالم النامي والتي يرى فيها البعض لديهم نوعاً من «الثقوت» السكاني، إن جاز التعبير.

(هـ) المشاريع المشتركة في مجال التكنولوجيا المتقدمة بين مؤسسات الدول الكبرى ومؤسسات الدول النامية، هي وسيلة أخرى لاستعصاف رحيق عقول الدول النامية، والتي غالباً ما يمثل فيها الشريك المحلي الجانب الأضعف وصاحب النصيب الأقل في العوائد المادية والمزايا الفنية، بالرغم من كونه، في كثير من الأحيان، هو صاحب المساهمة الأكبر في إنجاز المشروع.

(و) تقوم الجامعات الأمريكية والبريطانية والكندية بعمليات تسويق لا يجتذب أكبر عدد ممكن من الطلبة الأجانب، وقد تحققوا نجاحاً بعض من الجامعات الأوروبية، وهكذا تستنزف عملية تفرير العقول مع دوافع الاستحواذ عليها من المنبع، حيث تسعى كثير من الجامعات المستضيفة إلى استبقاء خيرة خريجيها من الطلبة الأجانب، وتشير الإحصائيات إلى أن ٥٠٪ من الطلبة من الحاصلين على الدكتوراه في الولايات المتحدة يرجعون إلى بلادهم في حين تبلغ هذه النسبة في بريطانيا ٨٠٪.

(ز) وأخيراً وليس آخراً، فقد قيل إن الإنترنت قد ساهمت في زيادة عدد البحوث العلمية التي يقوم بها باحثون أمريكيون بالمشاركة مع باحثين من الدول النامية، ورغم كونه لوجهة حميدة لا شك إلا أنه هو الآخر يورث استنزافاً فيما يخص نزيف العقول، سواء من هو المستفيد النهائي من هذه الإنجازات العلمية المشتركة، فالمستفيد، بحكم المنطق، هو الدول المتقدمة التي تمتلك القاعدة التكنولوجية التي تستطيع من خلالها تحويل الإنجاز العلمي إلى تطبيقات عملية ذات فائدة استثمارية، علاوة على ذلك فالشريك الأثري، الأمريكي في حالتنا، غالباً هو الذي يحدد مجالات العمل المشترك وفقاً لحاجات مجتمعه، والتي يقبلها باحثو الدول النامية عن طيب خاطر لفتحهم على النشر العلمي في الدوريات العلمية المحلية وتعزيز مكانتهم الأكاديمية.

رغم أن يرى البعض في حديثنا أرقاماً أننا نكاد نسد جميع السبل أمام فرض التعاون العلمي التكنولوجي بين العالم المتقدم والعالم النامي، وهذا، بالطبع، ليس هدفنا بالمرّة، فنحن نؤمن بأهمية هذا التعاون بل ضروريته، ونذكر تماماً أن كل تكنولوجيا لها مخاطرها، وكما زاد سطوة هذه التكنولوجيا، كما هو

الحال في تكنولوجيا المعلومات، كلما زادت هذه المخاطر، وهذا يعني أن عملية تقديم التكنولوجيا واقتنائها لا بد أن يتوازى معها جهد جاد للكشف عن أثارها الجانبية على المدى البعيد والقريب، وإن يجيد مخططوها ومنفذوها في الدول النامية كيفية الموازنة بين منافعها ومضارها، ومزاياها وأوجه قصورها، وكيفية وضع السياسات التي تترصد استخدام الموارد والاختيار الأمثل ما بين الدلائل التكنولوجية المتاحة، خلاصة القول، نحن مع التعاون العلمي والتكنولوجي إلى آخر مدى طالما كان ذلك تحسب لصالح السد الذي رفحه مناهضو العولمة في سيال، «تجارة عادية، fair trade not free trade» علمياً وهو ما يعني في حالتنا تعاوناً علمياً تكنولوجياً مثمراً ومنصفاً لجميع الأطراف.



## رأبوا مراحل المشهد العربي

### فيما يخص نزيف العقول

كل ما قيل حتى الآن من حديث نزيف العقول في العالم النامي ينطبق، بداهة، على وطننا العربي كونه جزءاً من هذا العالم، وسنركز في هذه الفقرة على بعض الملامح الخاصة بالشهد العربي، وقد ضمنت الفقرة أيضاً بعض الجوانب التي أرجأنا تناولها في الشق العام حيث فصلنا طرحها في السباق العربي لإبراز مغزاها الخاص بنا.

(أ) تختلف هجرة الأدمغة العربية عن تلك الهجرة التي تشكو منها بعض دول أوروبا بل وبعض دول جنوب شرق آسيا، فمعظم مقولنا العربية المهاجرة فرحل من بلا تذكارة عودة، وبذلك الإحصائيات مدى تدنى نسبة عودة «طيارين النازية» مقارنة بالصين والهند وإيطاليا وإلى وحتى تركيا. (ب) لا أمل في إحداث تنمية عربية مستدامة دون توفر أهم عناصر بنيتها التحتية (أ) وهو العنصر البشري، خاصة

عمالة المهارات العليا، ويتطلب تصحيح الفجوة الرقمية بين البلدان العربية والعالم المتقدم، أول ما يتطلبه صفلاً عربياً قادراً على قيادة ركب التنمية التكنولوجية، وقد أثبت الجميع تعذر إحداث هذه التنمية المستدامة باستيراد الحلول الجاهزة واستدعاء الخبراء الأجانب، وذلك على ظم ما سبق أن أشرنا إليه بخصوص تناسي التوجه الثقافي والاجتماعي لتطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي تفترض القدرة على الجمع بين المحلي والعولمي، وعلى تطويع التكنولوجيا وتوطينها في التربة العربية.

ومن المفارقة أنه بينما تسعى الدول المتقدمة إلى استيراد عمالة المعلومات ذات المهارات العالية تسعى بعض الدول العربية، غير النشطة، مثل مصر والاردن وسوريا، إلى تصدير هذه العمالة النادرة بحجة

توفير فرص العمل أو توفير العملة الصعبة، وسرمان ما سكتشف أننا نقاضى كنزاً البشرية بأبخص الأسعار، ويسود ذلك في نهاية الأمر الترخيص التمييزية التكنولوجية في مجال التنمية المعلوماتية، وذلك بالرغم من كل ما عايناه فيما مضى من هذه التمييزية التي كانت وراء إهمال معظم مشاريع التنمية الصناعية العربية، ولا جوار ألبوها وعلى مضض في الماضي، إلا سليل لنا لتخليق التنمية التكنولوجية إلا بالتخلص من هذه التمييزية التمييزية: إما أبيض، فكلتها المادية وغير المادية، ويجب أن يتفلسف مسماناً في هذا الشأن أن إدراكنا الدقيق للفروق الجوهرية بين تكنولوجيا المعلومات وما سبقها من تكنولوجيا، ومن أهم هذه الفروق، بالتمسك لسياساتنا الحالية، اعتمداً على الموارد البشرية في المقام الأول، وكون موارد المعلومات تنمو، لا تنضب. مع زيادة استهلاكها على خلاف النفط والمياه والطبيعة حيث تنضب المرفة على نفسها، لذا فنزيف العقول يعني استهلاك أقل، وبالتالي تقليلاً لهذه الميزة التضاعفية.

(ج) يفرض التحدي المعلوماتية الإسرائيلية والفجوة الرقمية بينها وبين البلدان العربية خزيماً من الاعتصام بقضية نزيف العقول، وذلك لعدة أسباب من أمثالها:

• إسرائيل من أعلى دول العالم من حيث نسبة العلماء والمهندسين إلى إجمالي عدد السكان. • تركيز إسرائيل على التكنولوجيا المتقدمة خاصة في مجال المعلوماتية والتكنولوجية الحيوية. وقد حصنت موقعها على الخريطة الجيو. معلوماتية سواء على مستوى العتاد hardware أو البرمجيات أو الاتصالات. • شبكة العلاقات الوثيقة التي أقامتها إسرائيل مع عملائها في الخارج، وكثير الحصانات incubators خاصة لتنجيع العلماء والمهندسين المهاجرين إليها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. • هناك العديد من مشاريع التطوير المشترك والاتفاقيات والتحالفات مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وكثير من مؤسسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتقدمة الجسدية.

(د) تسعى كبرى شركات البرمجيات الأمريكية إلى احتكار تكنولوجيا اللغات عالمياً، ومن أهمها اللغة العربية، وتشمل تكنولوجيا اللغات حالياً واحدة من أهم فروع المعلوماتية وهي تشمل، على سبيل المثال لا الحصر، نظم الترجمة الآلية، وتحليل مضمون النصوص، وتدريب الوثائق وتصنيفها وتخليصها أوتوماتيكياً، ونطق الكلام وتبنيته آلياً، وينظر البعض إلى تكنولوجيا اللغات بمثابة نقطة نوعية في تطوير البرمجيات وإكسابها خاصية الذكاء الاصطناعي ومقلدة لتفكيرنا، وهو الأمر الذي أدى بهذه الشركات إلى اجتذاب كثير من المتخصصين المتميزين للعمل في مراكز تطويعها الرئيسية في الولايات المتحدة أو في أحد فروعها الرئيسية في أوروبا، المشكلة هنا أن معظم شركات البرمجيات هذه تضع اللغات السامية العربية والعبرية تحديداً، في سلة واحدة (أمة)، ميكروسوفت، سياتل، فرع شركة أمريكا، أون. لايس AOL في (دبلن)، وهو ما يتيح لخبراء العربية فرصة النفاذ إلى أقد التفاضيل فيما يخص تكنولوجيا اللغة العربية، والتي تستجد طريقها، إن عاجلاً أو آجلاً، إلى إسرائيل، وكما هو معروف تتمتع إسرائيل بميزة تنافسية عالية من حيث قدرتها على اختراق مجال تكنولوجيا المعلوماتية وذلك بالاستفادة من الكتلة السكانية العربية الكبيرة داخل الكيان الإسرائيلي.

(هـ) من الفرص المتاحة لسد الفجوة الرقمية وتقليل



الجوانب أفرزتها عوامل عدة، الاقتصادية وسياسية واجتماعية وعلمية وتكنولوجية، ولا يعني ذلك أن نقف مكتوفي الأيدي تجاهها، بل يجب أن نحظى بأبكر قدر من الاهتمام من قبل واضعي الإستراتيجيات العربية على المستوى الإقليمي والعطري، وسنكتفى هنا ببعض منطلقات مقترحة للتصدي لهذه المشكلة:

• دفع حركة التنمية التكنولوجية عموماً والتنمية المعلوماتية خصوصاً، أسوة بما فعلته الصين من أجل استعادة عقوقها المهجرة.

• نشر الوعي بحطورة القضية على مستوى القيادات السياسية والاقتصادية والإعلامية من منظور ضرورة تضيق المسجوة الترقية بين الوطن العربي والعالم المتقدم.

• وضع استراتيجية عربية للتنمية المعلوماتية تقوم على أساس مبدأ المشاركة في الموارد وتوفير الحوافز المادية اللازمة لاستبقاء قوى المهارات العالية.

• إنشاء أكبر عدد من العضادات في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية وذلك لتشجيع العلماء والمهندسين على استثمار أفكارهم علمياً، وتجربة الجامعات التطويرية في هذا الصدد جديرة بالدراسة.

• تشجيع الاستثمار في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومازال القسطاع الخاص المصري عاجلاً عن الاستثمار في هذا المجال إلا أنه تلوح في الأفق حالياً بوارد مشجعة تشير إلى تحول في هذا الموقف.

• زيادة مساهمة القطاع الخاص في تشريب عمالته وربط ذلك بمقدور عمل مرنة تضمن الاستفادة من ماله الاستثمار في التدريب.

• اقتزاع الحصر في صياغة البشود المرحية لمشاريع التطوير المعلوماتية التي تكلف بها أو تساهم فيها شركات أجنبية بحيث تلزم هذه الشركات بعدم محاباة الاستيلاء على العمالة المحلية. ■

هـامش:

(\*) جميع البيانات والإحصائيات الواردة في هذه الدراسة مستقاة من عرض POWER POINT للتكوير صلاح سليمان الأستاذ بكلية الزراعة، جامعة الإسكندرية، وقد ساهم هذا العرض في إثارة كثير من الأفكار التي وردت في الدراسة الحالية.

## كتاب الزاوية

سندباد إلى الغرب

### مادية الغرب وروحانية الشرق

أنا خائن لوطني، افاق متناقض، جبان إذا ترددت لحظة في أن أبوح بما تجيش به نفسي في هذه السنوات الأخيرة، وهو: إذا فقدت مصر إيمانها بقومات الحضارة الحديثة، فإن ذلك نذير بأن ترد مصر إلى أظلم عهودها.

ويجئ الحمقى منا فيشيرون إلى أوروبا المريضة، ثم إلى أوروبا الصريمة ليتيجها قائلين: أهذه هي الحضارة التي دافعتم وتدافعون عنها؟ أين هذا من... روحانية الشرق؟ الكلمة الأخرى التي أخشأها، لا لكنيتها، فهي صادقة، ولكن لأنها، هي أيضاً، من الكلمات الخطيرة التي تلقى ظلها خارج النفس، فينقلها الجهلاء من حقيقة داخلية فلسفية إلى الواقع، ثم يتخذون هذا الواقع دليلاً على... مادية العرب!

وما هي هذه الحضارة التي لا تبدو تليين في صورها المادية؟ ففي صميم حضارات الشرق والغرب والشمال والجنوب ناحية روحية، هي فكر الفيلسوف والعالم، وإلهام رجل الفن والأدب، ولكن هذه الحضارات تبدو أكثر ما تبدو في مظاهرها المادية.

قال المفكر اللبناني، فيلسوف وادي الفريكة: «أنا الشرق، عندي فلسفات، فمن يبيمن بها طيارات»، وأسف للعودة مرة أخرى. وبعد وفاة ذلك الرجل الكبير - إلى هذه الكلمة الخطيرة التي ظلت تسري في ناحيتنا من العالم حتى تأثر بها بعض رجال الفكر عندنا.

أغلب ظني أن إجابة صاحب الطيارات على هذا العرض الكريم هي: يفتح الله! فصاحب الطيارة لن يرضى بيعها مقابل فلسفات العالم مجتمعة..

الكلفة المتصاعدة لاستيراد البرمجيات اللجوء إلى البرمجيات ذات المصدر المفتوح OSS: Open Source Software، التي توزع مجاناً مصحوبة بكل التفاصيل الدقيقة لكود لغة البرمجة التي صيغت بها، وهو ما يسمح بتطويرها للمطالب المحلية، ومداومة تطويرها وإمكانية إدماجها ضمن نظم أخرى، وذلك على عكس البرمجيات التي يتم شرائها بثمن غالٍ من شركات البرمجيات التجارية والتي تتبعها كمناديق سوداء منطلقة المصدر على طريقة: خذها كما هي أو تركها - take it or leave it، والتي لا تسمح بأي منفذ إلى تفاصيلها الداخلية مما يتعذر معه إدخال التعديلات ومداومة التحديث.

وكما هو معروف، يتطلب استخدام البرمجيات ذات المصدر المفتوح مهارات محلية عالية حيث عادة ما تأتي دون دعم فني من مacherها، ودون ضمان باستمرارية تطويرها، لذا فإن هجرة العقول العربية في مجال البرمجيات ستحرم العرب من استغلال هذا المورد المعلوماتي الهام؛ المورد الذي ينظر إليه الكثيرون على أنه مناهل الأمل في كسر احتكارية شركات البرمجيات الكبرى لسوق المعلوماتية العالي.

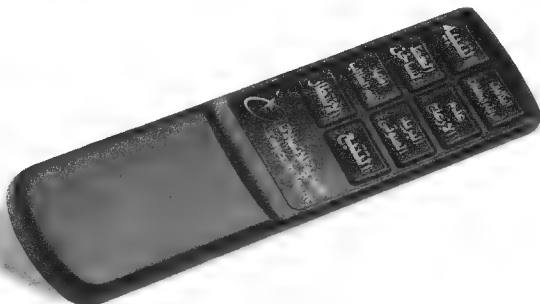
(و) أخيراً وليس آخراً، فإننا هجرة لمعالجة المعلومات ذات المهارات العالية ما بين البلدان العربية، وفي رأينا أن هجرة العقول ما بين البلدان العربية سلاح ذو حدين فهي - بلا شك، تحرم البلدان المصدرة من نوعية عمالة هي في أمس الحاجة إليها، وقد أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول (٢٠٠٢) إلى وجود فجوة رقمية ما بين دول الخليج وباقي البلدان الأخرى، وفي المقابل فإن البلدان العربية المستوردة توفر - علاوة على الزاوية المالية - إمكانات فنية عالية، وبيئات عمل متقدمة، لا تتطور عادة في الدول المصدرة، وهو ما يكسب العمالة الوافدة خبرات يصعب الحصول عليها في بلدانهم. من جانب آخر فإن العمالة الوافدة في البلدان العربية غالباً ما تعود إلى أوطانها، خاصة في ظل القيود الصارمة التي تعرضها معظم الدول العربية على منح جنسيتها للوافدين.

خاصة، منطلقات

مقترحة لمواجهة المشكلة

إن تضيق جديداً بقولنا إن مشكلة نزيف العقول العربية هي مشكلة متعددة

# وڪله بالريموت سنترال



بالرقم السري

## خدمات السنترال من غير ماتروج السنترال

## الآن بزيارة واحدة لبعض السنترالات

تحصل مجاًناً وبسهولة على رقم سري خاص بك يمكنك من الإشتراك في أي من الخدمات الإضافية مع الإحتفاظ بالسرية التامة لبياناتك الشخصية ومعلومات فاتورة تلفونك

**لمزيد من المعلومات اتصل برقم ١١١**



**المصرية للاتصالات**  
**Telecom Egypt**

شبكة واحدة .. يتقربنا كلنا

مهاك الرقم السري !

【١】 كان القرن العشرون بامتياز قرن

التخصص الدقيق والعصر الذهبي للخبراء الفنيين في جميع مجالات المعرفة الإنسانية. وهو ما اعتبره المؤرخون فترة هائلة للأمام نحو إحكام سيطرة الإنسان على ظروفه الطبيعية والاجتماعية، وتحولاً هائلاً في اليات صنع واتخاذ القرار، يقللها من الارتعاش لرغبات الأمير وتقلباته المزاجية، إلى الاستناد على رصانة الخبير وحساباته العلمية.

غير أنه كان أيضاً القرن الذي اكتشف فيه الإنسان أن ثمة قضايا مصيرية من الخطورة والأهمية بحيث لا يمكن معها أن تترك للخبراء الفنيين بمفردهم دون مشاركة من أوسع قطاعات ممكنة من المجتمع في مناقشتها، والاستعداد لها، واتخاذ القرارات بشأنها، باعتبار أن المجتمع بأسره سيتحمل نتائج هذه القرارات بحلها ومرفها.

فقد أبررت تجربة حربين عالميتين حقيقة أن الحرب بتكاليفها البشرية والمادية الباهظة أخطر من أن تترك للجنرالات، فعمل هؤلاء يجب أن يأتي تحقيقاً لغايات يضمنها المجتمع -عبر ممثلين سياسيين منتخبين، هم أقدر من غيرهم على تحديد الهدف والأولويات، وتقدير مدى استعداد الجماهير لدفع الثمن اللازم لتحقيقها- وتحت رقابته الصارمة. وكانت هذه فترة ثانية للأمام، تنتقل بموجبها القرارات المصيرية التي تؤثر في حياة الملايين إلى يد الجماهير، والتي يعمل تحت إشرافها كل خبير أو أمير يشاط به اتخاذ وتنفيذ هذه القرارات.

وما يمكن قوله عن الحرب الأخطر من أن تترك للجنرالات، يمكن أيضاً أن يقال عن الاقتصاد والقرارات الاقتصادية. فالقرار الاقتصادي في الكثير من الأحيان يكون أوسع تأثيراً من القرار العسكري، ومن ثم فإن قرارات السياسة الاقتصادية يفترض أيضاً أن تكون أخطر من أن تترك للاقتصاديين

**Enter Economism, Exit Politics:**  
Experts, Economic Policy, and  
the Damage to Democracy

(لبدخل الاقتصاد ولتخرج السياسة:  
الخبراء، والسياسة الاقتصادية، والفساد  
الديمقراطية)

Teivo Tervanen  
London: Zed Books, 2000.

**Rule of Experts: Egypt, Techno-  
Politics, Modernity**

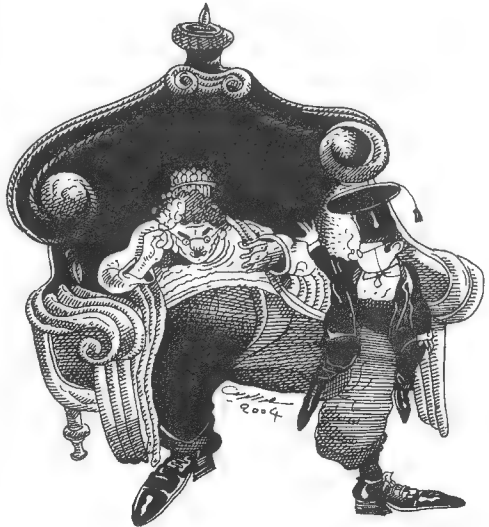
(حكم الخبراء: مصر والسياسات الفنية  
والحدثة)

Timothy Mitchell.  
Berkley: University of California  
Press, 2000.

العدد السابع والستون - أغسطس ٢٠٠٤ م

# من الأسيـر إلى الخـبير؟

ياسر عـلوى



والخبراء الفنيين، إلا أن المفارقة المدهلة التي شهدها القرن العشرين هي أن الاقتصاديين نجحوا فيما يبدو فيما أحقق فيه الجنرالات، فما أن يأتي الحديث عن قضايا التنمية أو إدارة أي شأن اقتصادي حتى تتم الإحالة الفورية إلى رأي الفنيين، بل إن تطورات عديدة في العقود الماضية أدت إلى إخراج القرارات الفنية - في المسائل الاقتصادية - من دائرة الإشراف السياسي (مثال، التوجه نحو زيادة استقلالية البنوك المركزية، أو نقل عملية صنع القرارات الاقتصادية في العديد من الدول النامية من البركرات إلى الأجهزة التنفيذية المتخصصة)، ووصل الأمر في بعض الحالات إلى إخصام العمل السياسي وكافة شئون المجتمع إلى اعتبارات الكفاءة الاقتصادية بالمعنى الضيق (بلغ ذلك في بعض الأحيان مستويات فجة في بعض دول أمريكا اللاتينية عندما كان يتم حل برناتات بدوي أنها تتخذ قرارات غير رشيدة اقتصاديا، على نحو ما سنرى لاحقا).

ويثير ذلك بطبيعة الحال أسئلة من نوعية: كيف تم ذلك؟ وما هي تداعيات هذا الانتصار للخبراء الفنيين في مجال السياسة الاقتصادية؟ غير أن السؤال الأخطى، والذي ينبغي أن نجيب عنه أولا هو، وما الضرر في هذا النجاح للخبراء الاقتصاديين؟ ليس الأولى أن نعطي الجذب لعلنا نرى نحو ما يجري المثل المأزوق؟ ثم هل يمكن أن ينجم الحاسمة في تحقيق ما فشل فيه الخبراء؟ بل هل يمكن أن يفشل الخبراء أصلا؟

والواقع أن إجابة الفكر الاقتصادي والتئوي خلال العقود الخمسة الأخيرة عن السؤال الأخير كانت بالنفي القاطع. فالاستعانة بأهل الخبرة، هي أول ما ينصح به كل من يتصدى لتسليم العام وبالنات في قضايا الاقتصادية، وفيما به أهل الخبرة، هو التمشيد الذي تعلق عليه مادة أسباب الفشل، فيقال عندئذ، لا بد أن الحكومة اختارت أهل الخبرة، وخابتهم، ونسيت دور أهل الخبرة، ومن البدهي أن هذا المنطق يفترض أن الاستعانة بأهل الخبرة مسألة مضمونة النجاح. فالحل «العلمي» الذي يعرفه الخبراء بالصورة أكثر من غيرهم هو الحل الأمثل لمشاكل المجتمع، والتأمل لتجربة التنمية في مصر خلال العقود الخمسة الماضية على سبيل المثال، يلحظ هنا الإلحاح على فكرة وجود حل «علمي»، أي جميع مشاكل المجتمع، ويصرف النظر عن توجهات الدولة الاقتصادية والتنموية. فتفسير «الاشتراكية العلمية» الذي استخدم في مصر الستينيات، لم يكن يشير إلى المعنى الماركسي للمفهوم، وإنما المعنى الآخر يفترض أن الاشتراكية تمثل اختيارا، أكثر كفاءة وعلمية لإدارة شئون المجتمع، وينس المنطق أن يقال أن مشكلة مصر هي مشكلة إدارة، وأنه لا توجد إدارة

اشتراكية وإدارة رأسمالية، وإنما إدارة ناجحة وأخرى فاشلة. وفي الستينيات، تم طرح سياسة الانفتاح الاقتصادي باعتبارها ضرورة فنية لحل مشكلات المجتمع التي لم تعد تجدى معه الأساليب القديمة. ويمكن أن يقال نص الشيء عن الخطاب المفسر للمؤسسات الاقتصادية القديمة في ظل برنامج الإصلاح الاقتصادي منذ عام 1991، والذي يتحدث بفخر عن «تجاوز عمليات تسييس الاقتصاد وتهميشه الأيديولوجيات، وأن الاقتصاد لا يدار اليوم وفقا لاعتبارات أيديولوجية أو مواقف سياسية وإنما وفقا لمقتضيات العلم، ولصالح الخبراء».

ولأسف فإننا في دول عديدة - في أفريقيا وإفريقيا اللاتينية، وبدرجة أقل في آسيا - لم يكن نصيب «الحلول الفنية» التي يضعها الخبراء لمشاكل هذه الدول التنموية من النجاح أفضل من الحال في مصر. وقيل في تفسير ذلك العديد من المبررات التي تصور في مجملها حول عدم كفاءة الخبراء التي تمت الاستعانة بها، أو عن الكيفية التي تسلم بها الحاسمة ليتدخلوا في عمل الخبراء الذين نجحوا - بشكل يحسدون عليه - في إقناعي تحمل أي مسئولية عن فشل السياسات الاقتصادية التي تصبو باتجاهها.

وتكمن قيمة التساكين لهذا المنع يعرض لها هذا المقال في الفهم طرحا السؤال، متى يمكن أن يفشل الخبراء؟ وهل «الحل الفني لمشاكل المجتمع» مجرد أسطورة لا وجود لها في الواقع؟ وهل من الأولى لتخصيص الخبراء الاقتصاديين لما سبق أن خضع له الجنرالات وبعبارة أخرى، هل حان الوقت لكي ندرك أن النجاح في مواجهة تحدي التنمية لا يحتاج فقط إلى نقل القرار الاقتصادي من الأسير إلى الخبراء، وإنما أيضا «ويا لأسير» إلى أن يضعف كلاهما لقرار وإرادة الجماهير؟



يقدم كتاب تيفو تيفينين قصة مشروقة - وبعبارة تكاد تضايل الروايات البوليسية - لتجارب بيرو المتكررة خلال القرن العشرين مع وصفت الإصلاح التي يقدمها الخبراء، وكيف ساء الوضع في كل مرة أسفرت فيها هذه التجارب عن نتائج كارثية عن الاقتصاد ومجتمع بيرو، وأدت لخروج الخبراء طردا من بيرو، ليعود هو -أو خبير آخر- بعد أعوام قليلة بوصفته تكاد تكون متماثلة وتكرر التجربة من جديد. أما كتاب تيموتش فيشر فيضم مجموعة من الدراسات - يمثل أغلبها من قبل هي صورة مقالات أو فصول في كتب محررة - تتناول الأزمات السياسية والاجتماعية لقضايا في تاريخ مصر الحديث تبدو

فنية صرفة، من مواجهة ولاء الملايا إلى ظهور الملكية الفردية للأراضي في مصر، وصولا إلى برنامج التكيف الهيكلي المتبع منذ بداية التسعينيات.

وما يجمع هؤلاء هو هم واحد يتمثل في محاولة استخلاص عبر أصم وأوسع نطاقا من دراسات الحالة التي يتناولونها، والإجابة عن ثلاثة أسئلة أساسية هي: هل هناك فعلا حلول فنية - محالية سياسيا - للمشاكل الاقتصادية التي تواجهها الدول النامية؟ كيف نشأ وتكمن هذا الإيمان الأصم بالخبراء الفنيين؟ وما هي الخصائص المشتركة للخصائص الفنية التي تقدم للحلول النامية؟

وبينما يركز كتاب تيفينين على تفاصيل التجربة البيروانية، ويتشغل يبحث تأثير هيمنة الخبراء والحلول الفنية على التطور الاقتصادي في بيرو، ودول العالم النامي بشكل عام، فإن كتاب ميتشيل يبدو أكثر إدراكا للأسس الفلسفية التي يستند إليها الخبراء الفنيين لحل المشاكل الاقتصادية والسياسية، وإن كان أقل قراء من حيث التفاصيل التاريخية. فالأول يروي تفصيل وإحكام واحدة، أما الثاني فيضم حصولا متفرقة يجمعها هم التأسيس لا طروحة نظرية موحدة تعيد النظر في المشروع الحضائي ككل، وهما معهما يتكاملان ويحيكان أطرافا من قصة ممتدة قد تكون هي جوهر مسألة التنمية في دول العالم الثالث، ويطرحان السؤال المشير، هل هناك حلول فنية تشكل دول العالم الثالث؟

ظهرت فكرة الخبير المحايد القادر على مساعدة الدول على مواجهة إزماتها الاقتصادية في أوائل القرن الماضي، وكانت البداية مع الاقتصادي الأمريكي شوير من جامعة برينستون هو إدوين ولش كيرمر Edwin Walter Kemmerer، والذي كان يعرف باسم «طبيب الأموال» the money doctor، المقار على حل الأزمات المالية للدول. وكان كيرمر يؤكد دائما أن لا شأن له بالسياسة ويقدم نفسه باعتباره حاملا بوصفة علمية لحل مشاكل موارد الموهوبات للدول النامية. ولن يتدخّل القارئ عندما يعلم أن الوصفة كانت الكشافية (على غرار وصفات صندوق النقد الدولي في أيامنا هذه) على أي اعتبارات أخرى. حتى أن تيفينين أسماء في دراسته «رجل واحد يقوم بعمل صندوق النقد IMF One-man» - ويقتل كيرمر خلال العقود الأولى من القرن العشرين على عدد من دول أمريكا اللاتينية - من بينها بيرو - مقدما وصفته التشفية. وبلغ إيمان كيرمر بعلمية وصفته، وصلاحيته لكل دولة وفي كل وقت، أنه قدم ذات المناصيح الاتكاشية لدول أمريكا اللاتينية في

مواجهة الكساد الكبير في نهاية العشرينيات من القرن



## ميتشيل يتحدى التصور الشائع عن تراجع مستويات الدعم في مصر خلال التسعينيات ويدفع بأن ما حدث فقط هو تغير الشرائح الاجتماعية المتلقية للدعم



الماضي. وليس من الصعب تخيل النتائج الكارثية لهذه النصائح، حيث أظهرت كل دول أمريكا اللاتينية والوسطى - باستثناء هاييتي - إفلاسها بحلول عام ١٩٩٣، وتم بطبيعة الحال - الاستغناء عن خدمات السيد كيمبر.

غير أن هزيمة كيمبر الشخصية لم تزد إلى التشكيك في فكرة الحلول الفنية التي لا يقرها سوى الخبراء. فيبرو تعطل مثالا غريبا للإصرار على تكرار ذات الخطأ. فبعد عقدين على تجربتها مع كيمبر أخضعت بيرو نفسها لصندوق النقد، وكانت أول دولة لاتينية توقع اتفاقا لتثبيت مع المنظمة عام ١٩٩٤، ومنذ ذلك الوقت يمكن رصد نمط متكرر تقوم به دول لاتينية أخرى بتوقيع اتفاقات انكماشية بإرشاد من خبراء صندوق النقد الدولي، واقتصاديين محافظين (من جامعة شيكاغو والأمريكية في أغلب الأحيان)، مما يؤدي إلى زيادة تضامم الأزمة الاقتصادية وارتفاع درجة الاحتياج الاجتماعي، وفسقوت الحكومة التي لا تلتزم بغيرها أن تدخل في نفس الدورة مجددا.

ولا يمكن تفسير هذا الخطأ المتكرر، بمجرد افترضنا حفاقة صناعة الخبراء الاقتصادي، وإصرارهم على تكرار الخطأ، فالحقيقة، كما يقول استاذ العلوم السياسية الأمريكي الشهير ستيفن كرازان، ليست حكمة تحليلية صحيحة Stupidity is not a valid analytic category. ومن هنا يحاول تجميعين أن يفسر لنا هذه الحلقة الخبيثة عن طريق البحث في المصالح السياسية الكامنة وراء هذه الوصفات المحايدة التي قدمها الخبراء واتبعها كل إحصاء السياسيين، ويخلص من خلال تحليل التغيير في توزيع الدخول للضرائح الاجتماعية المختلفة إلى نتيجة في متوحي الأمية، فبرامج الخبراء الانكماشية والخاتمة إلى الانسحاب المستمر للدول الاقتصادية للدول لم تؤثر بالسلب على الجميع. وإنما أدت لخدمة شرائح اجتماعية معينة كانت في تحالف مستمر مع الحكومات المتعاقبة، ومن هنا فالأسوأ من تكن مجرد خطأ في الحساب الفني، أو إصرار أحقق على تكرار الأخطاء، وإنما كانت خيارا اجتماعيا وسياسيا وضعا بخدمة مصالح معينة واستبعاد مصالح أخرى.

ونفس النتيجة تظهر بشكل متكرر في العصور المختلفة المتضمنة دراسات يمثل عن التاريخ الاقتصادي لعصر، والتي يسوق خلالها أمثلة عديدة من حقب مختلفة، لم أذكرها طرفة ذلك الخاص بتقسيمية الدعم الحكومي، والناشطرة حول المدرسة - جود جود الاقتصادية. فميتشل يتحدى التصور

من الأضرار التي تلحق بالخبير



**إن كل قرار فني هو بالضرورة قرار سياسي يدعم مصالح معينة ويهشم مصالح أخرى. وبالتالي، فإن المفاضلة بين البدائل المختلفة لصنع القرار ينبغي أن تقوم على حسم الخيارات الاجتماعية المضمرة في كل قرار فني. فلا يوجد حل فني بلا تكلفة اجتماعية**

الشائع عن تراجع مستويات الدعم في مصر خلال عقد التسعينيات في ظل برنامج الإصلاح الهيكلي، ويذيع بأن ما حدث فقد هو تغير الشرائح الاجتماعية المتلقية للدعم. وهنا تكمن معارضة تقسيمية في الخطاب الإعلامي حول موضوع الدعم، فالدعم الذي يتم الحديث عنه عادة هو الدعم المتقدم للقطاع، بينما تسقط منه كافة أشكال الدعم المقتضية للائتمار. ويشير كتاب ميتشل منها إلى الإعصاء الضريبية، أو منع عقود مجزية من الحكومة من مشروع الموانئ الأمريكية لبحر رجايل الأعمال، أو فتح طريق سريع موصل لشروق سكاني يرتبط النجاح في بيع وحيدته الحكومي بقريرها من العاصمة... إلخ. ولذا فإن الكاتب يرى أن الجدول الفنى حول حكمة الإبقاء على الدعم الحكومي أو تقليمه يصعب هرب ذي دلالة، إذ إن ما يحدث ليس مناظرة فنية حول الدعم، وإنما خيار اجتماعي بتغيير الشرائح المتلقية له، والخلاصة التي يؤكد عليها الكتابان هي أنه لا توجد حلول مدرسية textbook solutions لشكائنا البتعم، فكل قرار فني يعبر بالضرورة عن خيار سياسي واجتماعي ينحاز لصالح معينة ويستبعد مصالح أخرى.

ولكن إذا كان لكل قرار فني أساس سياسي، فكيف نشأ هذا الإيمان العميق بشيعة وجود حلول فنية؟ تطرح المراسنات ثلاثة أسباب لتفسير هذه الظاهرة: سببان سياسيان، وأما السبب الثالث فهو فلسفي يتعلق بمقولات وأطروحات فلسفة الحدثة في أكثر اشكالها تطرفا.



على الصعيد السياسي، كانت هذه الفكرة ملازمة لمصالح أطراف عديدة. فالخطاب الفني يتجسد عادة إخفاء التحييزات الاجتماعية للقرارات والسياسات الاقتصادية المختلفة، ما دام يصعد بلغة تقنية بعيدا لغة الحضرات الجوية، على حد التعبير الشهير ليويجن بلاك، رئيس البنك الدولي الأسبق، والذي لا أشك أن القارئ يتذكر موره الشهير في أزمة تمويل البند العالي وتأميم قناة السويس، حين دفع بأن بكته في مصر في البداية، وأن سحب تمويل المد كان لأسباب اقتصادية بحتة، وشبهه الرئيس السابق جمال عبد الناصر في خطاب التأميم الشهير بغريذالاند ديسيس. ومن ناحية أخرى، الدافع باعتبارات فنية يمثل الفصل سبيل التمثل من الوعود الانتخابية بتحسين الأوضاع المعيشية. ففي بيرو مثلا، جاء الرئيس فوجيموري بحملة انتخابية ذات صبغة يسارية، ولكنه تبني أكثر البرامج الاقتصادية محافظة، مبررا

هذا التحول بوجود ضرورات فنية لإصلاح الاقتصاد الهيرارشي ومطالبا الفايحين بتحمل التضحيات التي لابد منها، وظل يتمسك بهذا البرنامج المحافظ، والخطاب الفني لتبريره، حتى اضطررت وطاة الاحتجاج الشعبي إلى الاستقالة والهروب إلى اليابان - موطن أسلافه الأوائل - عام ٢٠٠٠.

أما أخطر الأسباب فهو الذي يشير إليه ميتشل في دراسته، فهو أسطورة الحل الفني في رايه مرتبط بأكثر صور الفكر الحدائي تطرفا، والتي ترى أن التاريخ الإنساني ما هو إلا عملية سيطرة متنامية للإنسان على المادة، وتعرفه على القوانين العلمية التي تتبع هذه الصيغة للفكر الحدائي لتاريخ المجتمعات بشكل خطي linear يفترض أن هناك مسارا «علميا» واحدا لتطور جميع المجتمعات، ومن ثم فإن نقل خبرة التحديت التي شهدها الغرب إلى المجتمعات «المختلفة» ممكن وضروري، باعتبار أن هذه الخبرة هي ثمة قوانين «علمية» صالحة لكل زمان ومكان. وهذه هي الواقع في مهمة الخبراء الفنيين.

ويذهب ميتشل خطوة أبعد، فبلغت نظره قارله إلى أنه وفترات تاريخية طويلة كانت ثنائية الخبراء والتحديث الخطي هي جوهر أيديولوجية الاستعمار المعروفة باسم عبء الرجل الأبيض، فيمثل عن أحد رجال الإدارة البريطانية في الهند قوله لا أحد سببا للاعتقاد بأن المبادئ التي لا شك في صحتها في كل مكان، لا يمكن تطبيقها في البنغال! ولا شك في أن القارئ الآن يسمع أصداه تلك الأفكار لتبرير «العبء الجديد للرجل الأبيض» لإصلاح وتحديث المنطقة العربية ودمجها في شرق أوسط كبير أو موسع أو متضخم... إلى آخر ما تجود به قريحة «الخبراء» الغربيين وينقله عنهم الألسن الشديدة الكثير من باحثينا بلا تدقيق.

وإذا كان الراحل العظيم إدوارد سعيد قد كشف وجود ما هو أخطر أوجه الاستشراق، باعتباره خطايا أسطورية عن المجتمع التقليدي، في الشرق، ومكونا أصيلا لأيديولوجية عبء الرجل الأبيض، (وهو ما تجد أصداه له في الفصل الخاص بتاريخ الملكية الزراعية «الخبير الفني المحافظ» الذي سيتناول القوانين العلمية، الصالحة لكل زمان ومكان، باعتبارها الوجه الثاني لنفس الأيديولوجية. يردد الكتابان ثلاث قواعد أساسية يقوم عليها عمل الخبراء الفنيين، هي: أولا، تصوير الظروف الاجتماعية في المجتمعات التقليدية، على أن لها وجودا طبيعيا وأزليا. فالتفاوت في



[illegible]

وعودة الانتخابية ويتبنى برنامجا محافظا يدعوى أن هذه هي متطلبات الإصلاح الاقتصادي، كما يدّعي أن قضايا الاقتصاد هي قضايا فنية لا ينبغي أن يتحدّث فيها غير المتخصصين، وعندما اعترض السياسات المتخذة على هذه السياسات، قام فوجيمورى بحل البرلمان عام 1992 بدعوى أنه يعوق الإصلاحات؛ وهكذا فإن ما بدأ بإخراج السياسات الاقتصادية من نطاق إشراف البرلمان، المتخذة انتهى بأن تصبح القرارات الاقتصادية «الفنية» معيارا لتحديد صلاحية البرلمان للاستمرار في الحكم»<sup>١١</sup>

لنقرأ عدده إن سأل، هل هذا المقام - والكتب التي يعرض لها - دعوة لإحالة السلطة لملء أكل الخبرة والتكامل؟ فأوافق أن هذا الثنائية على ما بها من أوجه ضعف منهجية عديدة، لا تزال هيمنة على الواقع السياسي، فالحديث مستمر عن الحلول الفنية التي يصفها الخبراء، وإلى تشكيل هيكل جديد لمواجهة مشاكل المجتمع يصور وكأنه دعوة لشمولية تقديم أهل الثقة والولا»<sup>١٢</sup>

وحتى الكلمات القليلة التي شككت في هذه الثنائية التسييسية كانت تنحصر عادة منحنى اعتبارها، كما يقال أن تنحصر ما أكل الثقة ما أهل خبره (أضرب صلا)،

ملكية الأراضي مثلا جديده اصوله في  
ظاهرة الملكية الفريديلة لأراضي التي  
تعد ظاهرة طبيعية موروثة من قدم  
التاريخ، والمجتمع الريفي في مصر مثلا  
لم تغير أوضاعه منذ آلاف السنين، ولا  
تغير لها أن تغيرا لا يتبدل على  
الزرع قوانين التحديث في هذا المكان  
المستعصم على التحديث، فيصور  
ميشال في أحد أكثر صولات كتابته  
الكيفية التي يتم بها كتابة تاريخ  
الأساطير إلى المجتمع الريفي في  
مصر، يتجهال أن هذا المجتمع مر  
بتحولات هائلة أطرها إدخال نظام  
الملكية الفريديلة لأراضي الزراعية في  
القرن الثامن من القرن التاسع عشر،  
وأن كثيرا من ظروفه ومشاكله ليست  
مما تعتقدهه وإنما لطرف تاريخية  
صغيرة، في أحبال كثيرة، لأنماط  
تحديث مشوهة.

ثانيا: تحديد، بناء على فنية أمية،  
يختص بها الخبراء، ويحكم ولا يماثل  
أن يتطرق إليها الساسة.

ثالثا: التأكي على ضرورة، الواقعية،  
وقول أي ما شاكل ناجمة عن تطبيق  
سياسات الخبراء (كتضامم الخلل) في  
توزيع الثروة، أو إفساح لمدل البطالة)،  
وتأثيرها كلف إلتزام لا مد منها  
تؤتي (السياسات العلمية، ثمارها، وليست  
نتيجة لأعمال اجتماعية) كما في هذه  
السياسات اجتماعية.

الطعم والهضم

من أجل الثقة (مثال: المشفراء الأمريكيون المقيمون سياسياً من خارج السلك الدبلوماسي).  
ومشكلة هذا النوع من التقه هو أنه يفسد سمعة أهل الخبرة خارج نطاق البلد، دون أن يلحظ المراقبون المصالح وهو، هل هناك خبرة فنية محايدة؟ أو هل حتى الخبرة السياسية؟  
فليت الخفية هنا دعوة - لا يمكن أن يقبلها ذو عقل - لتضييل أهل الولاية على أهل العلم، بل على العكس، بل بقوله المثل الكائن بين الذين عرضنا لهم هنا هو أن تأسيس رأيي على عشي نهموا سليم يتجسس أدراك أنه لا توجد حلول مرسومة تشكل مجتمعهم معقدة، وأن كل قرار في هو بالضرورة قرار سياسي يخدم مصالح معينة، وبما أني، وبالتالي، المصالح بين المبادئ المختلفة لعدم القرار ينبغي أن تقوم على حجم الخيارات الاجتماعية الضمرة في كل قرار في، بالإضافة هنا في كل مجتمع اجتماعية، ولا جد هنا في كل مجتمع من يتحمل هذه التكلفة، وفي إشراك هذا الطرف الضمني في اتخاذ القرار الذي نطلبه أن يتم تكليفه. هو الصورة إذن لأن يخضع كل من الأمير والخبير لرقابة الجماهير، وهذا هو بيت التصديق.

وبين المطالبة بالواقعية، وبناء المناطق الخلفية الأمنة، تتحقق هذه المتتالية المأسوية التي عاشها كثير من الدول النامية، فهي أبداً لم تفسل الحيز الاقتصادي من أية اعتبارات سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية، باعتبار أن المسائل الاقتصادية ذات طبيعة متفانية بالأساس، بل يتم إعادة تعريف الاقتصاد، بحيث لا ينظر إليه كأحد جوانب الحياة، وإنما - كما أكد تعبير الاقتصادى الشهير جارى جيك الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٩٢ - كمفصل على التفكير ونسب الجودى كمنطق تطبيقي، مثل أبداً لم تجل مناطق، ومن ثمّ لم يسطع على سائر قضايا المجتمع لتتضمن جميعها حسابات الربح والخسارة (هل يخطر مثلا على بال القارئ الحديث المسجوع من عدم الاستفادة، مصر من التزامها العربى وضحاياها من أجل القضية الفلسطينية)، تتكلم التلازمة القسرية لإخراج الاقتصاد من دائرة الرقابة المجتمع، وتنتهى بعودة الهيمنة على كل مقدرات المجتمع. وتضرب تلك التجربة البيرونية في عهد الرئيس أيرتو فوجيمورى (١٩٩٠-٢٠٠٠) مثلاً بالغ الدلالة لهذه الحالة السيئة، ففي بادئ الأمر تولى الرئيس فوجيمورى من

# اللمب على أوتار الوطنية

يأمل بإصلاحه بالإقلال من الظلم على سبيل المثال وتوفير رعاية صحية شاملة وزيادة الاستثمار في التعليم الجيد. وهو يصرح في نفس السياق بأن أمريكا التي يحياها تؤكد على أن «كلا منا مدِين للآخرين، باعتبار أننا أعضاء في نفس المجتمع».

لعلنا جادل الليبراليون أمثال «رايش» بأن أهم التقاليد الأمريكية تأتي من الدستور والضمانات التي يوفرها للمعارضة، والتي تؤدي بالتالي إلى الإصلاح والتغيير البناء. ول سوء الحظ فليس من المرجح أن تلقى محاولات الوصول إلى وطنية نافذة وثاكرة للذات

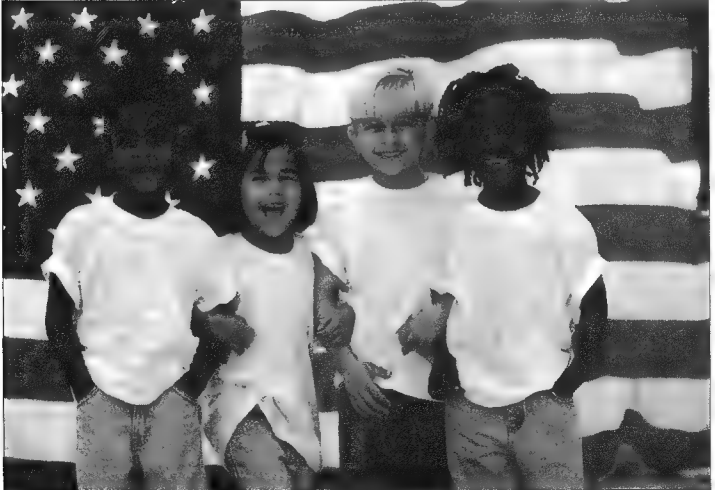
Reich، أن يصنف أيضا ضمن الوطنيين. ولكنه يؤكد أن وطنيته من النوع «الإيجابي» الذي يختلف عن «الوطنية السلبية» المستبعدة. وهو يصف بأن الكثير من الليبراليين «التزموا الصمت تجاه الوطنية، أو - على الأقل - شعروا بالارتباك نحوها». ولا يشير الدهشة أن مظاهر الحياة الأمريكية التي يكن لها «رايش» أسمى درجات التقدير ليست لها نفس الأولوية في قائمة المحافظين. وهو عندما ينادي بـ «حقنا الديمقراطية في المعارضة» يتبع ذلك بتوجيه قدر كبير من الانتقاد إلى الظلم الفادح الناتج عن اقتصاد السوق الذي

الاستعداد الكامل للتجاوز عن الظلم الناتج عن ذلك، وسطوة عسكرية يرهبها العالم كله، مع التشديد على أهمية العقيدة الدينية بكل ما يتبعها من قيود. ومع ذلك يحذو المحافظون نهج «وليام بينيت Wilham Bennett»، في الترويج لـ «المنافاة المتسوقفة لأسلوب الحياة الأمريكي». وعلى ذلك فكون المرء وطنيا يلزمه بالضرورة أن يؤمن بأن الولايات المتحدة تتفوق على كافة المجتمعات الأخرى (وإياك أن تحاول الجدل بأن الفنلنديين مثلا يؤمنون ببعض الأشياء بطريقة أفضل)

ويود «روبرت ب. رايش» Robert B.

يستهل «سامويل ب هانتنجتون Samuel P. Huntington»، كتابه بإعلان أنه يكتب من منطلق «وطنى»، وهو ما يحمله في شدة القلق على وحدة وقوة وطنه. وهو يخشى أيضا من أن «الوطنية» أصبحت عاطفة مهددة بالانقراض. ويرى «هانتنجتون» أن «حب الوطن» كان دوما من أسمى الفضائل. وينزع إلى المحافظون. أكثر من الليبراليين - إلى تعليق الشارات على يافاتهم ووضع أيديهم على قلوبهم عند عزف النشيد الوطنى. ومع ذلك فإن أمريكا التي يحبوها لها شكل محدد، اقتصاد يضع الأولوية دائما لكسب المادى مع

## ... من أمريكا؟



## أندروه أكر

اليوم حوالي ٦٢ مليون أمريكي ذوي أصول مختلطة، وقرابة ٤١ مليون بدون أصول على الإطلاق، وكذلك هناك ٢١ مليون تقريبا يعتبرون أنفسهم ببساطة «مواطنين أمريكيين» ومجموع كل هؤلاء يساوي تقريبا رقم ١٤٣ مليون أمريكي الذين صاروا يهاجرون بالانتساب إلى دولة واحدة أو أصل وحيد، ولكن لماذا تعتبر الأصول «البروتستانتية» عنصرا رئيسيا في الهوية الأمريكية اليوم؟ من الصحيح أن البروتستانتية كانت ديانة كل المستكشفين تقريبا. ومع ذلك فإن «حركة الإصلاح الديني» كانت موجودة لأكثر من قرنين من الزمان قبل

الأمريكيين اليوم يدعون أن أسلافهم هم في الأساس أو الغالب الأعم من البريطانيين أو الإسكتلنديين أو من ويلز، أو إيرلنديين، إسكتلنديين، ورغم عدم توافر إحصائيات موثوقة حول العقيدة فمن الواضح أن وصول الكاثوليك واليهود وكذلك الأفارقة والآسيويين قد أعاد تشكيل الجنية الثقافية بطرق عديدة ومختلفة. وفي الحقيقة فإن البروتستانت الأنجلو-ساكنون البيض قد اضمحلوا في أمريكا منذ زمن طويل ولم يعد لهم ذكر سوى في مسرحيات «آر. ج. جوردن A.R. Gurney» وروايات «جون شيفر John

و.د. هانتجتون»، وقد اختار «هانتجتون»، سؤال من تكون؟ عنوانا لكتابه. ورغم أنه قام بطرح السؤال، إلا أنه فرض إجابة لا تقبل الشك، فهو يرى أن هوية الأمة قد تشكلت يوم أن اكتشفها المستعمرون الأنجلو-الذين جلبوا معهم ثقافة مميزة تتضمن اللغة الإنجليزية والقيم البروتستانتية والنزعة الفردية والالتزام الديني واحترام القانون. وفي كل صفحات الكتاب تقريبا نجد تلميحات إلى الفطرة «الأنجلو-بروتستانتية»، والتي يسبغ عليها «هانتجتون»، كل الفضائل عما الفرعية الدستورية، وذلك رغم الاستبداد الكامل

لطيفا لتوصيات «رايش»، فبولا لدى من نصموا أنفسهم حماة «المتنقيات» «هانتجتون»، وسواء وضعنا ذلك أم لا، فقد أصبح الكسب المادي والقوة العسكرية والورع الديني من السمات الثابتة للشخصية الأمريكية شبه الرسمية. أما الاستبداد الذي يترك «رايش»، فقد انتشر داخل أمريكا وخارجها على السواء. ولا يتورع المحافظون عن اتهام منتقديهم ذوي الميول «شبه-اليسارية» بـ «معاداة أمريكا» وبأنهم يفتشرون إلى بعض الخصائص الأمريكية الخالصة، والتي لم يتجشم المحافظون عناء وضع تعريف لها.

**أمريكا التي يحبها المحافظون لها شكل محدد، اقتصاد يضع الأولوية دائما للكسب المادي مع الاستعداد الكامل للتجاوز عن الظلم الناتج عن ذلك، وسطوة عسكرية يرهبها العالم كله، مع التشديد على أهمية العقيدة الدينية بكل ما يتبعها من قيود**

اكتشاف أمريكا، وكانت قيمها الددمجت تماما في الحياة الأوروبية والأمريكية بحلول ذلك الوقت. وعلى ذلك فإن فرض عنصر ديني محدد على ثقافتنا السياسية الأمريكية يصيبنا بالصدمة، ليس فقط لأنه لا لزوم له، وإنما أيضا لأنه يأت على الفقرة. ورغم كل شيء، فالذي وقع إعلان الاستقلال (عام ١٧٧٦) كان كاثوليكيًا، والمؤتمر الدستوري (١٧٨٧) كان يضم بين أعضائه التسعة والثلاثين اثنين من الكاثوليك، وفي جميع الأحوال فإن «هانتجتون»، نفسه لم يحاول في كتابه أن يعزل على وجه الخصوص العناصر البروتستانتية للهوية الأمريكية.

وأكثر ما يفتق «هانتجتون»، هو مايسميه بـ «الأسبنة»، (نسبة إلى معظم سكان أمريكا اللاتينية والوسطى والجنوبية والذين ينحدرون من أصول إسبانية)، والتي يعتقد أنها تلتحق أجزاء كبيرة من أمريكا. وعلى النقيض من ذلك فليست لديه مخاوف مماثلة تجاه المهاجرين الآسيويين، لأنهم، حسب قوله، «يزدادون أبيضاضا»، ولا «يقيمهم» تتسجم مع القيم الأمريكية، ويسبب «المستوى المرتفع لتعليمهم وإلزامهم الوظيفية». واعتقد أن الكسبيون سيقلون أن خلفيتهم الآسيوية ساعدتهم في اكتساب قيمهم الحالية. بل إن «هانتجتون» يفر أن «لون جلدهم يتحول

Cheever»، وبالتالي لم تعد لهم السيادة في مجالات مثل البنوك والقضاء أو جامعة «هارفارد». ومع ذلك فلي «هانتجتون»، حجة قوية بأنه إلى وقت قريب على الأقل فإن «الأخريين» من غير البيض البروتستانت الأنجلو-ساكنون لم يصيروا أمريكيين إلا بعد أن اعتنقوا القيم الثقافية والسياسية الأنجلو-بروتستانتية الأمريكية. وفي الحقيقة فإن من وصلوا إلى أمريكا بعد ذلك لم يتكيفوا تماما فقط، بل وتخلوا بمرور الوقت عن كثير من سماتهم المميزة. فزعم أن الألمان مثلا هم أكبر الجماعات المهاجرة من أوروبا، فمن الصعب اليوم أن نجد لهم أثر يذكر، حتى في مدن مثل «ميلوسكي»، و«سينسيناتي»، وفي «نيويورك»، كانت الأعداد الكبيرة لأيرلنديين-الإسكتلنديين تفسر لسمير في موكب «الرجال البرتقاليين» (منظمة سرية بروتستانتية إيرلندية) ولكنهم الآن الصهروا وثابوا أيضا. ويسبب الزواج المختلط العلاقات الأخرى وجدنا في الأجناس المتعاقبة أعدادا متزايدة من الأمريكيين ينحدرون من أصول مختلطة. بل إن نجاح التفسير في الزواج أو حتى تجاهله، تماما سمح للأمريكيين الشباب باختيار شركائهم بدون وصاية من الأهل. ويرى «هانتجتون»، في الأمريكيين من أصل أوروبي «نهاية للعرقية». هناك

للاندماج والانصهار والذي أيداه المهاجرون من أصول أخرى. وقد يجادل المؤرخون بأن تاريخنا قد تغير كثيرا منذ أن استوطن أول المستعمرين في خليج «ماساتشوستس»، وفي الحقيقة، فكما تظهر الأرقام، فإن أقل من ٢٥ بالمائة من

والليبراليون من جهتهم تنصهم فعلا مثل هذه الصفات، وحتى لو ترك لهم الخيار ما كانت لتتوفر لديهم رغبة كبيرة في اتحائها. ويشرح «رايش»، إلى أن الكلمة التي اختارها عنوانا لكتابه «Reason»، تتضمن سبب هذا المزوف.

### The Two Americas: Our Current Political Deadlock and How to Break It

(أمريكتان، الجمود السياسي الحالي وكيف تكسره)  
Stanley B. Greenberg  
St. Martin's Press, 2004, 400pp., \$25.95

### The Working Poor: Invisible in America

(العمال الفقراء: الذين لا يراهم أحد في أمريكا)  
David K. Shupler  
Knopf, 2004, 319pp., \$25.00

عن مجلة:

New York Review of Book

ترجمة: عادل فتحي

### Who Are We? The Challenges to America's National Identity

(من نكون؟ التحديات التي تواجه الهوية القومية الأمريكية)  
Samuel P. Huntington  
Simon & Schuster, 2004, 428pp., \$27.00

### Reason: Why Liberals Will Win the Battle for America

(العقل، لماذا سيكسب الليبراليون معركة أمريكا)  
Robert B. Reich  
Knopf, 2004, 257pp., \$24.00

### On Paradise Drive: How We Live Now (And Always Have) in the Future Tense

(سعيًا نحو الفردوس، كيف نعيش الآن -كما نشأنا دوما- في صيغة الزمن المستقبل)  
David Brooks  
Simon & Schuster, 2004, 304pp., \$25.00

للبياص، رغم أنه لا يذكر مصدرا لهذا التأكيد. وفي الواقع أن مجموع الأمريكيين الآسيويين يزداد «اسمرا» بـ ١٠٠٪. بعض الشيء نظرا للانخفاض الإجمالي لأعداد المهاجرين الصينيين واليابانيين والكوريين منذ منتصف التسعينيات، بينما زادت أعداد القادمين من باكستان والهند. والدين لا يعود تراهم بالسياديين إلى التراجع البروتستانتى واليهود الأخلاقي، الذي وصفه ماكس ووبر Max Weber ، (عالم اجتماع واقتصاد ألماني، ١٨٦٤-١٩٢٠).

وفي التعداد السكاني لعام ١٩٧٠، شكل الأمريكيون الآسيان الذين ترجع أصولهم العائلية إلى دول أمريكا اللاتينية نسبة ٥ ٪ من السكان. أما في تعداد عام ٢٠٠٠ فقد ارتفعت نسبتهم إلى ١٥ ٪ بالإنجليزية. وجاء ٥٨ ٪ من الآسيان في أصلهم مكسيكي. بينما جاء مواطنو بورتوريكو في المرتبة الثانية بنسبة ٩ ٪ بالإنجليزية.

منهم يحتفظون بالآسيانية كلفتهم الأم، ويحافظون بفصول دراسية ثنائية اللغة لأبنائهم، ويختارون العيش في أحياء خاصة بهم، وكثيرا ما يصفون أجازاتهم الطويلة في المكسيك ودول أمريكا اللاتينية الأخرى، وهو يشير كمعيار جوهري إلى أن ٣٣ ٪ من سكان المهاجرين المكسيكيين يصحون مواطنين مقابل ٧١ ٪ بالإنجليزية من الكوريين و٦٧ ٪ بالإنجليزية من الفلبينيين. ولا ينكر هانتجتون، هنا أن ٤ ٪ بالإنجليزية من المهاجرين الكنديين يصحون مواطنين أمريكيين، هانتجتون، هانتجتون، أيضا على مايمتره احتلالا كوبيلا «. ميامي» والذي يزعم أنه أدى إلى نزوح ١٤٠ ألف أمريكي أبيض منها فيما بين عامي ١٩٨٣ و ١٩٩٣، وهو يستشهد بمصادر على إحدى السيارات هناك يقول «نرجو من أحرار الأمريكيين الغادرين أن يقوم بإنجاز العلم قبل أن يرحل، (في الحقيقة أن رقم ١٤٠ ألف رقم غير صحيح بالمرّة، فالإحصاءات تكشف عن أن عدد السكان



إلى الأمريكيين الأقدم عهدا؟ إن أرباب العمل يقولون - في معظم الحالات - بتفشي المكسيكيين لأنهم يقبلون العمل بأجور متدنية مما يؤدي بالتالي إلى خفض التكلفة وتوفير السلع والخدمات للمستهلكين بأسعار أقل. فإذا ما قامت محال غسل وكى الملابس والمطاعم ومواقف انتظار السيارات بتوظيف عمال أمريكيين فالأجر المعتاد فإن رواد هذه المرافق سيتوجب عليهم دفع مبالغ أكبر مقابل تلك الخدمات، مما سيؤدي في معظم الأحوال إلى انخفاض الطلب من غيرهم مما يقلل من عدد الوظائف المتاحة. ومن المعروف فعلا أن الأمريكيين يفضلون شراء الأجهزة الكهربائية والإلكترونية المستوردة من الخارج عوضا عن المصنعة محليا. وكما يشير «دايفيد شيلر David Shiller» في كتابه، «العمال الفقراء»، فإن المهاجرين الذين يقصون العطب ويفصلون السيارات هم في واقع الأمر قوة عاملة تابعة للعالم الثالث ولكنها تعيش بين ظهرانيها.

وقد كتب، لويس ميناند Louis Menand، في معرض مراجعته النقدية لكتاب هانتجتون، المنشورة في مجلة «نيو يوركر New Yorker» بتاريخ ١٧ مايو ٢٠٠٤، أن هانتجتون، لا يبدو على وحي بالتخلي عن الخرجي من تولد إليها عالم الاجتماع «ريتشارد ألبيا Richard Alba» ، «فيكتور نبي» ، «والتي تشير إلى أنه في عام ١٩٩٠، كان ٩٥ ٪ من الأمريكيين المكسيكيين الذين تتراوح

## لا يوجد حلم أمريكي/مكسيكي، بل فقط حلم أمريكي/أنجلو بروتستانتى»، وعلى الأمريكيين المكسيكيين أن أرادوا المشاركة في هذا الحلم أن يحملوا بالغة الإنجليزية



أما الأمريكيين في كتاب «دايفيد بروكس David Brooks» سعيًا نحو الفروس، فقد نالوا أكثر مما يستحقون من الاهتمام والتحليل. لقد قام براساتهم بعناية في كتابه السابق الذي نعتهم فيه بالبرجوازية الجديدة والذين تأثرت رفاهيتهم سلبا بسبب الصراعات البرهيمية المتواصلة من حقبة الستينيات (كتاب «البوهيميون البورجوازيون في الفروس، إلى عتبات العلياء الجديدة» وبوبس Bobos in Paradise: How The New Upper Class and How They Got There)، (يهم في العادة خروج جامعات ولديهم وطفلك والرعة ويعيشون في ضواحي أمانة وسط جيرار يشابهونهم إلى حد كبير. وأكثر ما نفتت اقتباها بروكس، فهم هو ولهم الشدبت بتسلق أحدث ما وصل إليه العلم واكتساب مهارات جديدة مثل حضور ندوة أو الطهي في «سيناء» وإيطاليا أو الاشتراك في معامرة مراقبة النور في الهند أو قضاء أسبوع بين كروم العنب في بورجو، برنشا.

في واقع الأمر إننا لا نعرف الكثير من أحوال الأمريكيين الآسيانيين فيما عدا أنهم غير متعلقين بحزب معين أو عقيدة سياسية واضحة. ويحسب التعامل الدخيل لإيوامهم السياسية من قبل «بروكس» بأنه لم يدرهم جيدا أو

أعماهم ما بين الخامسة والعشرين والأربعين والمولودين في الولايات المتحدة يجيدون التحدث باللغة الإنجليزية. وقد استخلص «البا» ، وفي، أن الاستيعاب اللغوي لأسباب كان «واسع الانتشار» (راجع كتابهما، «ريادة توجبه المسار الأمريكي الانصهار والهجرة المعاصرة Remaking the American Mainstream: Assimilation and Immigration»)، «ووبس» ساعد على ذلك أن ٧٨.٣ ٪ منهم مقترنون بأزواج من أصول أخرى. ومما يشير من قريب أو بعيد إلى علاقة وثيقة لا يأحد من أولئك الأسباب أو أنه على استعداد لزيارة ملائحة والاسماع إلى وجهة نظرهم حول مفهوم «الوطنية» أو أي موضوع آخر. من الواضح أن هانتجتون، يكتب عن أداس لا يعلم عنهم الكثير، وربما كان ذلك هو السبب في الإحساس بوجود شيء من التوحش لديه عند تناوله إياهم بالمراسة.

يقول هانتجتون، في كتابه أنه إذا ما توقفت هجرة المكسيكيين فجأة فإن أجور الأمريكيين ذوي الدخل المنخفض سوف تتحسن. لا يمكن إثبات هذه المقولة بسهولة رغم أنها تبدو كترديد. فإذا ما توقفت الهجرة، فكم من الوظائف التي يحتلها الآن المواطنون الجند ستؤول

اليبيض في ميامي قد انخفض بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٠ من ٦٧,٢٩٩ نسمة إلى ٤٠,٠٩١ نسمة. وكان عدهم بحلول عام ٢٠٠٠ هو ٤٣ ١٩٥ وهو تقريبا نفس العدد الذي كان موجودا قبل عقد من الزمان).

ويش هانتجتون، في كتابه حيلة شواء على الأمريكيين المكسيكيين الذين يمثلون الآن ٧١ ٪ بالإنجليزية من المواليد الآسيان، فهي ضوء اتساع مساحة وطهم الأم والسهولة النسبية للولاء الولايات المتحدة، فمن المرجح وصول المزيد منهم. ويرى هانتجتون، أن «السياسة المكسيكية سوف تؤدي إلى تحولات سكانية عميقة في المناطق التي استولت عليها أمريكا من المكسيك بالبقوة في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر. وهو لا يعني بذلك أن يصل الأمر إلى انفصال مساحات كبيرة في جنوب غرب الولايات المتحدة بعد أن تتحول إلى مستعمرات محلية لنبلاء الضلال. وهو يرفض مقولة أن القيم الأمريكية قادرة على استيعاب التقاليد والثقافة اللاتينية، ويؤكد أنه لا يوجد حلم «أمريكي/مكسيكي»، بل فقط حلم «أمريكي/أنجلو بروتستانتى»، كما علم الأمريكيون المكسيكيين أن أرادوا المشاركة في هذا الحلم أن يحملوا بالغة الإنجليزية.

إن ذلك يبدو من قبيل التسطيط. ألم

الكويون بنسبة ٣ ٥ ٪ من الآسيان، ثم خليط من أمريكا الوسطى بنسبة ٤ ٨ ٪ بالإنجليزية. وأمريكا الجنوبية بنسبة ٣.٨ ٪ بالإنجليزية. وخلال تلك الفترة انخفضت نسبة الأمريكيين البنيين من ٨٣.٣ ٪ بالإنجليزية إلى ١٩.١ ٪ بالإنجليزية. ولنسبة للمستقبل، فإن العائلات الآسيانية لديها ٢.٧ ٪ من الأطفال المتوسطين بينما يدور الرقم عند عطلات الأمريكية البيضاء حول ١.٨ ٪ طفل والذي يشل حتى عن الحد المطلوب للحفاظ على معدل الإحلال.



ويختلف دفع المهاجرين الآسيان عن غيره نظرا لقرب الولايات المتحدة جغرافيا من المكسيك والدول الأخرى المتحدة بالآسيانية مثل جمهورية المونيكسان وغيرها. فمن الواضح أن هذا القرب الجغرافي يسهل الهجرة إلى الولايات المتحدة، وخاصة غير الشريفة، والتي تمثل، كما يقول هانتجتون، - ما يقرب من ٤٥ ٪ بالإنجليزية من الآسيان الموجودين على الأرض الأمريكية فكل من كثر قريب من أوطانهم الأصلية يملك أيضا أن يضعف من ولائهم الوطني لأمريكا عند الجبل الثاني والثالث. ويزعم هانتجتون، أن العديد

يعترف إليهم عن قرب، ويبدأ من قصص آرائهم حول القوة العظمى لأمريكا وفاتها الاجتماعية والأحزاب السياسية والزعماء السياسيين بها، يأخذنا ببروكس، في رحلة مثيرة لدراسة المجتمعات البشرية. يقول بروكس، في كتابه الذي تتسم في فهم سكان الضواحي بصورة صحيحة ما لم نغدر حق قدره، ليس لأن الجميع هناك يعلون تلك اللعبة، وإنما لأن الجولف يرمز لـ «النموذج الفردي» حيث ملاعب الجولف، قطع مسددة من الجمال الشامع، بينما ضربات اللاعبين هي الحالة المثالية القصوى من السعادة والراحة والألفة.

يتبنى بروكس، في البداية نهجة متسامحة حيث ينادي بالانقسام على الواقفين الجدد الذين يسمون لنش طريقتهم في الحياة، ولكن مع كل فصل من فصول الكتاب، يصع بروكس، مياراً أعلى لقطاع من المجتمع متميز نسبياً.

الأساس الذي بنى عليه هذا العمل، هرقم رحلته العديدة إلى الضواحي فهو لا يستطيع أن يتكرر لنا محتويات مثل والرؤى التي وجهها في قلب الضواحي، ويرى بروكس، أن سكان فروسة قد يكونون محبين للتملك، ولكن الغرض ما يمكن أن يصنعهم به هو أنهم لا يابهون كثيراً بالمكانة الاجتماعية ولا يطمحون للتوصل إليها.



يقول بروكس، أن أمريكا ليست مكاناً كهنتياً. وهذا صحيح إلى درجة ما إذا كان المقصود من ذلك أننا لم نشهد طبقات اجتماعية أو حاجز صارمة بعد، من الحرية. ولكن ما أن أواجه بروكس، ذلك حتى يتبدى في الخلق أن هنالك كهنة من نوع جديد بين الآن في صورة نظام طائفة ليبي متوارث، والصبي



فيينا ينحدر لأسفل المجتمع بعض أبناء غير القادرين، تجد مواهب جديده نفس الطبقة تصعد للأعلى (أجرى Thomas Hertz، مؤرخاً دراسة عن أطفال العائلات المرحبة في شريحة الشرائح المائلة الأعلى من حيث الدخل. وعندما وصلت تلك الدراسة إلى سر الرشد لم يبق منهم في نفس الشريحة سوى ٣٧.٤ بالمائة. راجع فصل أسماط وثروات وسباق، في كتابه، فرص غير متكافئة: الخلفية العائلية والنجاح الاقتصادي: Unequal Chances: Family Background and Economic Success)، وحتى بعض النشرة الحديثة الوارثية، فإننا نجد النشرة المتعمد في رفاة الجيل الثاني أقل استعداداً لاجتياز نفس الجهد الذي كان على أديمهم أن يفهموه. ومن هنا نقاط القوة في كتاب، سميا عن الفرص، العلاقات العائلية المتدنية أجزاها الخلف من أناس خفيفين، رغم أن إصراره على اختياره لأسئلة معينة أمر

## إن فكرة وجود جين وراثي خاص بالنجاح هي فكرة قديمة تعود إلى أفلاطون Plato، ويبدو أن التفكير في تحسين نسل الجنس البشري لا ينتهي أبداً

الديمقراطيين والجمهوريين، لنمد أولئك الانتخابات العام ٢٠٠٠ الأمة في «مازق سياسي تاريخي»، كانت نتيجة الأصوات العامة ٨٩٧ ٥٠٠ ٩٩٠ صوتاً لصالح آل جور Al Gore، مقابل ٤٩٦ ٥٠٠ ٥٠٢ صوتاً ج. جورج دبليو بوش (بوش)، هناك الأقل عام ١٨٧١ عندما فاز جورج W. Bush، بمارك نصف مائة صوتاً للرئيس، هانس Hayes ١٨٥، صوتاً مقابل ١٨٤، تيلدين Tilden. ومع ذلك فالقول بأننا في مارك تاريخي ليس مجرد محصلة حسابية ففارق الأصوات لصالح جون كينيدي John Kennedy، عام ١٩٦٠ كان أقل من ذلك، فهو لم يضر على «ريتشارد نيكسون Richard Nixon، سوى بفارق سدس من واحد بالمائة ومع ذلك فإن الصراعات في ذلك العام (١٩٦٠) لم تكن عسيرة أو طويلة الأمد في الآن هناك مند بعض الوقت تلميحات

لانتقام البلاد ولقد شطرت الانتخابات المتفرقة لعام ٢٠٠٠ البلاد إلى ما أطلق عليه المعلقون السياسيون ولايات «حمر» وأخرى «زرقاء». ومن المصغرة أن اللون الأحمر كان من نصيب الجمهوريين، وهو أمر كان يمكن أن يؤدي منذ جيل مضى إلى رفع قضية تشهير كما أصبح لدينا أيضاً الليبراليون مقابل المحافظين، والصقور مقابل الحمامة، وكان هناك أيضاً انقسام حول بعض المسائل مثل حقوق الشواذ والجناس وحتى الموقف تجاه الأمم المتحدة، وقد كتب بروكس، التفرع لكل هذه الموضوعات، ويرى جرينبرج، أن من بين المستجدين أن الحزبين الرئيسيين، قسمان الآن بشدة دون ما كان في السابق مجموعات متنازلة من القضايا. وهو يقول أن المتحيزين أصبحوا أكثر حزمية، والحيادية السياسية أكثر استقطاباً، ومع أنه لا يزال هناك هدم الواسعين الأقل تشدداً، إلا أنه يصعب الوصول إليهم، كما أنهم عادة ما يقررون في البقاء في منازلهم في نوفمبر، فأقل من ٤٠ بالمائة من مجموع الأمريكيين الذين لهم حق الانتخاب يتقدمون لمتنابدين الاقتراع في الانتخابات التكميلية، بينما يتقدم أكثر قليلاً من النصف إلى الانتخابات الرئيسية. وبالنسبة لـ «جرينبرج»

غير مفهوم على الإطلاق، أما استأثنته بالمراجع المطبوعة فكانت مضللة أحياناً. فهو يتكرر على سبيل المثال أن دائرة الإحصاء اكتشفت أن ٢٥ بالمائة فقط من المراهقين يتوقعون الاستمرار بالعيش في المدن التي نشأوا فيها. قد يكون ذلك هو شعورهم، ولكن لا يمكن أن يرد ذلك إلى إحصاء رسمي أو دولر الإحصاء لا يمكن أن تصال مثل هذه الأسئلة، ويقول بروكس، أيضاً، بوجود أدلة بالمعيار الأقل من ثلاثة عشر طالباً مقابل كل مدرس، وهذا القول أيضاً باطل لأن الرقم الحقيقي يقترب من ستة عشر طالبا لكل مدرس، ويدخل ضمن ذلك أيضاً فصول الطلبة المعلقين التي لا يزيد عدد فيها على خمسة أو ستة. أما الفصول العادية فتتراوح عدد الطلاب بها بين واحد وعشرين طالبا في المرحلة الابتدائية وأربعة وعشرين في المرحلة الثانوية.



كتب ستانلي جرينبرج Stanley Greenberg، صاحب استطلاعات الرأي الذي يعمل عادة لصالح الديمقراطيين، كتب يقول، إن الآن لا تتأين الأمريكية انقسم الآن بالمتساوي تقريبا بين

الرئيسي لهذا التغيير هو انتقاء المدارس والميز القمارة التي يكون معيار التوظيف والترفية فيها هو الجدارة التي تحقق المساواة بين الجنسين، وعلى ضوء المواجه والطابع المتشابهة فليس من غير المألوف أن يفوزون بتلك الوظائف أو يلتقوا ويترنوا ببعضهم البعض، «إن الأبناء والأمهات الناجحين يتزوجون ويرون أطفالاً يصبحون بمرور زمان ناجحة ويصبحون الكثير من المال وآتيون هم أيضاً بأطفال على شاكلتهم يتحولون إلى قوالب ناجحة».

إن فكرة وجود جين وراثي خاص بالنجاح هي فكرة قديمة تعود إلى أفلاطون Plato، ويبدو أن التفكير في تحسين نسل الجنس البشري لا ينتهي أبداً. وحسب رأي بروكس، فلو كان كلا الوالدين يملك القوميات المؤهلة لدخول جامعة «برنستون Princeton»، مثلاً، فإن احتمالات تولد جيلاً نيراً يرت نسلم تلك القدرات، المشكلة الوحيدة هنا أن التجارب السابقة نادراً ما تؤكد صحة هذه الفرضية. فبينما يوجد أحياناً أطفال موهوبون لأزواج موهوبين، فإن معظم أطفال العائلات الموهوبة لا يصلون إلى إمكانات نفسية الوالدين ولا إليها أبداً وهم أمهاتهم، ويصغر ذلك ما يسميه خبراء الإحصاء بـ «اختناكة للوراثة». وبالنسبة لهذا عرف ساد في المجتمعات المفتوحة:

وبنهاية الكتاب يكون بروكس، قد قدم لنا صورة بعيدة تماماً عن الجمالة، فهو يستشهد على مثال بمقالات نشرت بمناسبة احتفالات لم الشمل الجامعية كتب فيها الخريجون الأوائل فقرات تدين مثل تعصب القاري بالذهول لفرح تلبدها، وفي بعض الأحيان يلقى بروكس، بتعليقات شبه ماركسية عندما يصر مثلاً أنهم لا يهين الأمريكي، فيقول: «تتحول الشخصية إلى وسيلة بيع، والصدقات تصبح معاملات، والحافز للتطوير ينحدر إلى مجرد شبع، ويصبح المال هو معيار النجاح، وتوظف معظم المبالغات الفكرية لأبحاث السوق الخارجية فلا يبقى منها شيء لتعامل الداخلي، وتطحن في التجارة على المهرات الأخلاقية».

لو كان الكتاب قد توقف هنا لأعتبرنا مجرد تحديث لكتاب دافيد ريزمان David Riesman، الحشد الموحش، الذي يؤكد فيه أن نصف القرن الماضي لم يشهد تغييراً يذكر. ولكن بروكس، ينهب إلى أبعد من ذلك، فهو يواصل التأكيد بأن التطواف فوق المروج والمنزهات البادية إنما هو رؤى غيبية سامية، ويقول بروكس، «ألم لا نأشعنا ما كنا نضرب كل بقعة في أمريكا، ولكن بروكس، لا يتكرر لنا أبداً

فإن الرؤساء الأمريكيين يتم اختيارهم بواسطة الحملات التسويقية، فهناك الملايين من الريلينج-الناخبين المحببين، والحدى هنا هو أن تتمكن من جعل المنتج المرشح للتراسة أكثر جاذبية من المنتج المرشح للناسخ، استطاعه أن الناخبين كثيرون جدا ومتنوعون (أكثر من مائة مليون الآن) ولا يمكن لأسلوب واحد أن يتنجح في جميعها، ويقسم «جرينج، جرينج» الناخبين إلى فئات يجب مراعاة كل منها باستراتيجية مختلفة. فهناك سبع فئات للحمويين، بما في ذلك سكان الريف، وسكان الضواحي الفاخرة، والشباب الصاميون المتزوجون غير الحاميين، ولديهم أيضا ست مجموعات الديمقراطية، مثل «النساء ذوات التعليم المعتاد» والناخبين العلمانية (الذين لا ينضمون أبدا إلى الكنيسة ولا يحملون الأسلحة النارية) والعائلات، والحادية.

وكما جاء في كتاب «أمريكتان»، فإن

الجمهوري. اعتبار الحزب الديمقراطي «فعلا»، فالمرشحون الديمقراطيون يترشحون على نفقتهم الخاصة بدون مسانعة تذكر من أي منظمة قومية، ويجب عليهم إعادة حشد الجماهير بأنفسهم عند كل انتخابات، وفي الوقت نفسه فإن الاعتماد على الوطنية وحدها قد يصعب مشكلة بالنسبة للجمهوريين. فحتمًا بدأت تسوء أحوال الحزب في فيتنام السحب بعض القوى مؤيديهم خلسة من الميدان. وهناك ما نلصق من الدلائل ما يشير إلى أن ذلك هو ما أصبح ما يحدث الآن في العراق.



إن كتاب «أمريكتان» يقدم نفسه ككتاب «إعدادي» حافل بالنتائج الموجهة لكلا الحزبين. وهو يفترض أنه إذا ما صيغت الرسائل الموجهة إلى جماعات بعينها بدقة فمن المرجح أن تسترعى



معظم من أدلوا بأصواتهم في الانتخابات الرئيسية هم من ذوي الدخل المنخفض، وحتى لو لم يكتفوا من الأغنياء، فهم ما زالوا يعتبرون أنفسهم أعضاء في الطبقة المتوسطة المحترمة. فالقليل منهم عاطلون عن العمل أو يخشون فقدان وظائفهم، والناخبون من كلا الحزبين يشترون السيارات الرياضية متعمدة الأغراض ويتناولون عشاءهم خارج المنزل ويخططون لرحلات تكلف الآلاف الدولارات. والحقبة أن غياب أو قللة المتابع المالية قد يفسد لذا يأخذ الناخبون أموال من محمل الحد لصياها عقائدية مثل الإيجاز، ناهيك عن مستقبل الحرب، في دول أجنبية. وقد استلحق أسعار الدواء مشكلة كبيرة في الأخرى، فقد دفعت لتوي مائة دولار ثمنًا لأربع عشرة كبسولة مضاد حيوي لا يشمها ثمانية الصبحى، فهاذا عن الملايين العديدة من العمال الأمريكيين الذين ليس لديهم أي تأمين صحى على الإطلاق؟

ويوضح كتاب «جرينج، جرينج» أيضا إحدى الخصائص التي يتمتع بها الجمهوريون. فمن بين مؤيديهم يعمل الكثير من شديدي اليمين لا لقبول جورج بوش، «فهاذا عن كما هو وعلى العكس من ذلك يواصل الديمقراطيون تقطيع أوصال مرشحهم كما لو أنه لم يستطع تمثيل نفسه بحمارة، ومن الصعب مقارنة بالحزب

حياتهم العائلية. ومعظم من التقاهم «شيلبر» هم من الأمهات الوحيدات اللواتي يعلن أطفالا. ويفضل ما يطلق عليه «تحرير الرجال» يمكن لأي رجل أن ينجب أطفالا ثم يختص من حياتهم هجة دون التعرض للوم وقيليل من الكلفة المالية في العادة أو حتى بدون كلفة على الإطلاق (راجع كتاب الاقتصاد الأمريكي: الدخل والثروة والرفاهية Lebergett). ونتيجة لذلك يتوجب على النساء وحدهن تحمل مسؤولية تربية الأطفال، وبسبب البالغ التي إقتطعها «كلينتون Clinton» من برامج الخدمة الاجتماعية فإن عليها أن تدوم لو عمل. ويحكى الكتاب عن امرأة كانت في بحيرة من العيش وكان من المفسر لأحوالها المالية الجيدة أن تدوم لو يفضل زوجها. ورغم أن زوجها السابق لديه دخل جيد فإنه لم يدفع لها أية

عشرين ألف دولار سنويا، وهو ما يقارب إغارة البطالة. ولكن ما لا نذكره الإحصائيات دائما هو كم منهم لديه أطفال، أو هل كل الزوجين أطفالا، أو هل غير المتزوجين يعيشون مع شركاء من نفس الجنس من أجل الأمن. لقد كان باستطاعة أرباب المال دائما العثور على من يقولون أجورا أقل نتيجة لأن العديد من الناس. أكثر من أي وقت مضى أصبحوا لا يقولون سوى أنفسهم على يعيشون مع شركاء قادرين بدورهم على الكسب فالمتقدمون الصغار الدين نكتفيهم مع صلات «بارنس Barnes & Noble» عادة ما يشترون تكاليف الحياة مع شركائهم في السكن. بينما النساء الأكبر سنا العاملات في «ولمارت Wal-Mart» يكون لهن في العادة أزواج عاطلون متقاعدون.

سرهان ما يتضح عند أسباب الفشل لدى هؤلاء العمال ليست دائما الاقتصادية. يحكى شيلبر عن رجل في

## بنظرة إلى قائمة «فوربس» للمليارديرات نجد أن الفائزين في أمريكا يصلون إلى القمة أسرع من أي بلد آخر. أما الخاسرون فيستقلون أيضا بمعدل أكبر

لثقة، ولكل قط يدفع عشرة آلاف دولار سنويا كلفة لتطعيم انتهت حال وصل أصغرهما لسن الثامنة عشرة. وحيث إن الأم لديها موهب ولكن بدون مهارت، فقد فقت بوظيفة في مطبخة جامعية تدّر عليها ثلاثة وعشرين ألف دولار سنويا. ويعنى آخر فإنها قبلت بوظيفة تناسب شخصيا بدون أعباء وفي مستقبل حياته العملية وليس امرأة في منتصف العمر وتعمل مطبخين.



ويتوقف «شيلبر» متسائلا، لماذا يتوجب على هؤلاء النساء المكافآت أن يلدن الأطفال ويحتفظن بهم؟ فما دام إيجاب الأطفال يتطلب طرفين منذ البداية، فمن الظلم إلقاء التبعة كلها على النساء وحدهن. في الواقع أنهن في حالات كثيرة قد أنجبن الأطفال في وقت كانوا يظنون أنهن على الترقية لن تخصص. عادة ما تكون النساء ضحايا التسميات بالنالوق. ولكن ذلك لا يكون سهلا خاصة مع احتمال انخفاض الدخل نتيجة لذلك. ويضئ الأرقام قد توضح الكثير، فوسطم الدخل السنوي ٩.٤ مليون عائلة تعولها أمهات وحيدات ٢٠١٣. ٢٢.١٣ دولار بما في ذلك أي إتاوات مالية من أي جهة. أما تلك العائلة لكالات

ولاية نيو إنجلاند يعمل بإصلاح الأسفل ويصل دخله في الأعوام الجيدة إلى ثلاثين ألف دولار، بينما زوجته لا تعمل، ولديهما ثلاثة أطفال. وهو مضطرب لقيادة سيارته خمس ساعات يوميا للذهب للعمل والعودة منه، وهكذا يلتهم الوفود عدة مئات من الدولارات شهريا. كما ترى كلا الزوجين عاجزين تماما عن تنظيم حياتهم، ناهيك عن التقيد بميزانية معينة. وتتضمن أوجه الصرف الشهرية لديهم «مالتى دولار لفسمل المراسل بسبب تعطل سالتهم، ومالتى دولار أخرى لتناول طعام بالخارج لأن شركة العازر قطعت عنهم إمدادات العازر حين دفع أربعة آلاف دولار قيمة فواتير متأخرة، كما أنها يدفعان أثمان السجائر ومقابل استئجار الأعلام وشراء ملابس لحضور حفل زفاف، وتذاكر لحضور الحفلات الموسيقية. وعندما يذهب أحد أفراد الأسرة إلى غرف الاستقبال بالمستشفيات للراحة الطبي تصمم الفواتير وترتكب مع غيرها من المتأخرات. يقول أحد الأصحابيين الاجتماعيين «شيلبر»، يجب إخبار هذين الزوجين على طلب الصمم إلى مستشار لتخطيط الميزانية، ولكن لا وجود لئلا هذا المستشار وفيه هناك من ضمان أنهما سيعملان بنصيحتي لو كان موجودا. ولجد العديد من الباحثين غير قادرين لأسباب مختلفة. على كل شتات



# المشروع الزنجي.. خطة

■ ■ ■ قد جعلت في أمانك الحياة والموت.  
البركة واللطف. فأختر الحياة لتحيا أنت  
ونسلك. (سفر التثنية ١٩:٣٠)

في يوم شمس وشمس من أيام فصل  
الخريف أثناء الاحتفال بيوم كولومبوس  
عام ١٩٩٩، أثيرت منظمو مسيرة «قوة  
القرار» من ستم المحكمة الأمريكية العليا،  
وأوقف المتظاهرون الذين كانوا في الغالب  
من القساوسة السود والعامية مظاهرتهم  
التي دامت ثلاثة أيام عند نصيب تذكاريين  
هما مدرسة براون ضد مجلس التعليم،  
المناهضة للتمييز العرقي (١٩٥٤) وأنتى  
ضد الإخصاب، المؤيدة للإجهاض (١٩٧٣).  
تركزت أهمية هذين التخصيب - الأول  
يتعلق بالمساواة في الحقوق لكل  
الأمريكيين والثاني بـ «حقوق» الإجهاض  
- في إعلان النفس جوني م. هنتر وهو راعي  
المظاهرة والدير القومي لشبكة حق الحياة  
والتعليم والمواز (LEARN) وهي أكبر  
منظمات السود المؤيدة لحق الحياة حيث  
إله، ليس للحقوق المدنية معنى يذكر بدون  
الحق في الحياة.

جاء احتجاج هنتر وغيره من  
المتظاهرين على النسبة العالية وغير  
المتكافئة من حالات الإجهاض بين  
جماعات السود، فهذه النسبة العالية ليست  
من قبيل الصدفة أما الأمر الذي لم يكن  
كثير من الأمريكيين من السود والبيض  
على السواء يدركونه فهو مشروع مارجريت  
سانجر لتنظيم الإنجاب بين الزوج. دشنت  
سانجر هذا المشروع عام ١٩٣٩ بعد أن غيرت  
المنظمة اسمها من الجمعية الأمريكية  
لتنظيم النسل (ABCL) إلى اتحاد  
أمريكا لتنظيم النسل (BCFA).

كان الهدف من هذا البرنامج هو الحد  
من النمو السكاني للسود بل يرى الكثيرون  
أن الهدف هو القضاء على هؤلاء السكان  
تماماً. عيّنت سانجر إلى تنفيذ خطتها  
بمساعدة تحت دعوى «الصحة الأفضل»  
وتنظيم الأسرة، وما يثير الشبهة أكثر  
خداة سانجر وتضليلها للنخبة السوداء في  
أمريكا - وهي التوعية ذات النفوذ والمتعة  
بقسم وآخر من التعليم والتراء - لجمالهم  
على تنفيذ خطتها: فكان من بين أوساط  
النخبة السوداء من يؤمن بتنظيم النسل  
كوسيلة للوصول للتمكين الاقتصادي  
والرفع من مستوى السود واكتساب احترام  
البيض. لقد ترك هذا المشروع الزنجي آثاراً

من،

Concerned Women for America -  
www.cwfa.org

ترجمة علاء الدين محمود

العدد السابع والستون، أغسطس ٢٠٠٤ م

لم يكن السؤال حول من هو الأمريكي؟  
أو من يحسب له أن يكون كذلك  
غائباً عن التاريخ الأمريكي بطوله. ولم يكن  
صمويل هانتنجتون في كتابه الأخير  
أول من طرح القضية





# القضاء على الأمريكيان السود

## تانيال جرين

بعنوان: لايد أن دريس عرقاً من العرطز الأول،

طرحت سانجر في هذا البحث رأيها بضرورة إنشاء عيادات أو مكاتب تنظيم التسلل، حيث يتعلم الرجال والنساء علم الإيجاب، وعلم تربية الأطفال، لأن ذلك هو الطريق، للتخلص العرقي من أفات الأمراض العديدة والخلل العقلي والخش ومخاطبة الشائون والحريمة... نظراً لتناقص أعداد هذه الفئات من البشر بدلاً من تولدها ونموها كالأعشاب الطارة.

ودعا ذلك البرنامج النساء إلى العمل على استشارة تنظيم التسلل في الحالات والمواقف المختلفة التي تتضمن ما يلي: (إصابة الرجل أو المرأة بعرض، معد، مثل الجنون والبله والصرع والزهرى، الخ، ألا يكون الأطفال الموليد، أسوياء، أو في حالة إصابتهم بالبله... ألا يكون دخل الأب، كافياً... لأن يعول أطفالاً آخرين.

وتكررت سانجر أن، هذه الحطة من شأنها... أن تقلل عدد المواليد بين المرضى والضعفاء والحيثيات شديدة الضعف والمباعدة للنظام الاجتماعي القائم وتلك العناصر العاجزة على التكيف بنمساها. وبالتالي ذلك البصير الذي انشغل جميعاً لتحمله، لقد اعتنقت سانجر يوجينيا ماتوس عائلية ودون مواربة، تلك العقيدة التي شكلت سلوكها في السنوات القادمة

### عيادة هازلزم

في عام ١٩٢٩، وقبل عشر سنوات من تأسيس سانجر لمشروعها الرجعي، وضعت الجمعية الأمريكية لتنظيم التسلل حجر الأساس لإنشاء عيادات في هارلم، وهو حي مكدنيديوروك معظم ساكنيه من السود كان ذلك في بداية الكساد العظيم الذي كان يضي مضاعفة البرول والاعادة والتسبة للسود، واجه السود طريقاً من الكساد الاقتصادي والحرمان أكثر قسوة نظراً لسيادة التمييز العنصري. ووفقاً لرؤية الجمعية الأمريكية لتنظيم التسلل، شكل حي هارلم (الحيطة الشالية) لهذه العيادة التحريية، التي افتتحت رسمياً في ٢١ نوفمبر عام ١٩٣٠، وسمى الكثير من السود إلى الهرب من ظروفهم الصعبة وبالتالي لم يدركوا الهدف اليوجيني الخفي من الميادة اعتمدت العيادة على ما تقدمه عليها المؤسسات الخاصة من أموال لتقلد قائدة، بالإضافة إلى اعتبار السود العرق الأدنى، الذي لا تستحق الطبقة الدنيا بشكل مناسب

حد ذاتها إلا عرساً تُعرض اجتماعياً حيث هنالك الخنثى الضخمة والمحفدة والمشاركة فيما بينها الهامة إلى الحد من اليوس والعوز وكل الشور التابعة من هذه القرية المحصية بالفساد هي أكبر دليل على أن حضارتنا الهربت ولا تزال تمرز بل وتعمل بشكل مستمر على زيادة أعداد المختلين عقلياً والمتحرشين ومهم من عائلة على غيرهم.

وفي فقرة أخرى، تصف سانجر عبء، النفايات البشرية، على المجتمع، فهي (أي الأعمال الخيرية) تشجع القطاعات الأكثر صراحة ومثالية في العالم على تحمل عبء وزيات الآخرين التي لا يحكمها تفكير أو تمييز مما يؤدي إلى حمل ثقل من النفايات البشرية، فهذا من تقوم الأعمال الخيرية بتقليل الفئات الأشد ضرراً على مستقبل الجنس البشري والعالم والعمل على التخلص منها، فإنها تجعلها مسيطرة بصورة تشر بالخطر.

وتتمت سانجر كلامها بالقول بأن، أخطر تهمة يمكن أن توجه إلى وجهه العمل (الخيري)، في العصر الحديث هي تسميته على استمرار المحتجين عقلياً والمحرقين ومن هم حالة على غيرهم، هؤلاء من أخطر العناصر على أمن المجتمع العالي، وأشد تهمة على التقدم والتعبير الإنساني، وطبيعة العنصرية مقطوعاً من كلمة اقتها سانجر عام ١٩٣٦ حيث تقول:

من يبق أمام الحكومة الأمريكية الآن سوى أن تعبر مثلاً حياً للعالم بمنع مكافأة أو معاش سنوي للمزجعين اللذين يتضح عدم صلاحيتهم للإيجاب ويقررون أن يعقما أنفسهم باستخدام الوسائل العلمية وغير العاصرة، وتلك الطريقة لن يكون لأفسيها والمرتضى نسل يورثونه تعاستهم وشقايم، سيقل عدد البلهاء ومن سي برقع على شغل عى كاهل الصالحين للإيجاب، وأصاحت أن، المكافأة المالية، ستكون عقابانية وعقيدة، كما أنها طريق الخلاص للحدود الأمريكية، عرضت سانجر أفكارها على ميسر. س. هارولد، سبت (من صحيفة، نيويورك إيجنس وورك)، بخصوص لجنة الرفاه، نيويورك، وقالت، إنه بدلاً من مساعدة الآخرين حتى يستطيعوا مساعدة أنفسهم؛ فأى خطة أو برنامج يجعل من هؤلاء الناس، مثالة على الإعانات الحكومية والصداقات والأعمال الخيرية، هو برنامج من لحرارة والمساوات، وبالتالي لن يكون إلى أية قيمة له، وضمت سانجر بحثاً (وهو ما أسمته برنامج الرفاه العام)،

ويرى نقاد ماتوس أن تلك الجماعة، أنتجت مجموعة من مفردات لغة جديدة مبهمة بشكل مقصود: فجميعها مفردات واقعية وعلمية وقاسية، بالإضافة إلى أن الحقائق التاريخية أثبتت عدم دقة نظرية ماتوس الحاصية بخصوص الانفجار السكاني، رغم أن الكثيرين لا يزالون يؤمنون بها.

ورغم فساد دعاوى ماتوس بشأن الانفجار السكاني، فإن سانجر تممعت في يوجينيا ماتوس، وكتب جرات أنها دعت إلى تنظيم التسلل مستعينة بالبحجة (المؤكدة علمياً، من تهديد الفقر والمريض والتوتر العرقي والأصناف السكاسي كعالية لاحتها، وظلت مجلة سانجر دورية تنظيم التسلل، التي تأسست عام ١٩١٧) تنشر بانتظام مقالات مؤيدة للتطهير الجيني كتبها يوجينيين من أمثال إرنست رودن، وزعم توفيت سانجر عن إصدا دورية تنظيم التسلل، عام ١٩٢٩، فلنت اليوجينية الأمريكية لتنظيم التسلل ظلت تمشين بها كمعبر للأفكار اليوجينية.

أسست سانجر الجمعية الأمريكية لتنظيم التسلل وأخيراً منظمة لتنظيم الانجاب على أساس الفئات العرقية اليوجينية وموارها، ويراف جرات قائلة: «كل أعضاء مجلس إدارة المنظمة كانوا من اليوجينيين، وسؤل اليوجينيين المشروحات الأولى للمنظمة بدءاً من فتح عيادات تنظيم التسلل إلى نشر المطبوعات، الثورية».



عمل اليوجينيين كمحتدثي في القشرات أو أداء، أو مقدم خدمات بدلاً استثناء تقريباً، واحتضنت مكاتب جمعية اليوجينيين العمل الدولي لبرنامج تنظيم الانجاب منذ البداية، وتضافرت جهود المنظمات لعدة سنوات.

أصبحت الجمعية الأمريكية لتنظيم التسلل هيئة قانونية يوم ٢٢ أبريل ١٩٢٢ في نيويورك، ولقد وللت أدات سانجر عيادة تنظيم التسلل يشكل غير قانوني على اكتوبر ١٩٢٦ في قسم براونزفون يحي بروكلين في نيويورك، وأغلقت تلك العيادة في النهاية، بعد هذه العيادة كاتير المهاجرين الذين اكتظت بهم المنظمة - أي أولئك الذين اعتبروا غير صالحين أو مؤهلين، للإيجاب.

وتعكس كتابات سانجر الأولى تأثير ماتوس بوضوح، فقد كتبت: ليست الأعمال الخيرية المنظمة في

عميقة في مجتمع السود، وهو ما عبر عنه هنتر بهافه في ميسورة: قوة القرار، قائلاً: لقد أصبحنا ضحايا التطهير العرقي بأبدينا.

أخارت مارجريت سانجر إلى صف العلماء اليوجينيين الذين ساءت أيدولوجيتهم في أوائل القرن العشرين، يريده هؤلاء العلماء فكرة التمسق والثناء، العرقي بشدة لاسيما العرق (الأري)، كما كانوا يأملون في نشية روابط الدم وتحسين العرق بتشجيع (الأصلح، على الانجاب ووضع القيود على نسل، غير الصالح، والمسمى لاحتواء العناصر أو الأعراق الأدنى، عن طريق العزل العرقي والتعقيم والتسلل إلى الأجهاص

وقد اعتنقت سانجر، يوجينيا ماتوس، وكان توماس هوريت ماتوس الذي عمل كاهناً وأستاذاً في الاقتصاد السياسي في القرن التاسع عشر يؤك أن قبيلة السكان الموقوفة تهدد وجود الجنس البشري. نظر ماتوس إلى المشكلات الاجتماعية كالفقر والحرمان والوجع كدليل على هذه الأزمة السكانية، ووفقاً للكتابته جبرائيل، أدان ماتوس الأعمال العاجزة وغيرهما من صور الإحسان لأنها حسب رأي الأخير لا تزيد من حداء المشكلات، وكان الحل من وجهة نظره يكمن في وضع حد للنمو السكاني فاختار معينة من البشر، وأصعب نظرائه من النمو السكاني والاستقرار الاقتصادي أساس السياسة الاجتماعية قومية ودولياً، ويستشهد جرات بواحد من أهم ماتوس وهو بحث في مبدأ السكاني، الذي نُشر في ست طبعات من عام ١٩٢٩ إلى ١٩٣٦، يقول فيه:

لا بد أن يهلك بالضرورة كل المواليد الذين تزيد أعدادهم عن الحد المطلوب لوصول السكان إلى المستوى المرغوب فيه مما يتوقف لهم مكان بدوة النبا لعين ينطبق عليها العمل على تسويل عمليات الطبعة في الوصول إلى هذا العدد من الوفيات بدلاً من المحاولات الحفشاء والباسية لحد منها. ويعتقد ثلاثة ماتوس بأن بقاء الحضارة الغربية رهنً بقتع وعزل بل وأحياناً التخلص من العالقين أو غير المؤهلين جسدياً والعطراء، مادي، والمرضى نفسياً أو جدياً والأدنى عرقياً، وأعمال الكفاة عقلياً. كما أحس هؤلاء التلامذة أن مناهج التعليم الأكثر صرامة، ودقة ومنهج العمل والتعقيم والأجهاص، هي الوسائل أكثر فعالية وقوة، للتخفيف من صعود ما يطلق عليه اسم الانفجار السكاني.



## يعتقد

تلازمة مالتوس بأن  
بقاء الحضارة  
الغربية رهن بقمع  
وعزل بلل  
وأحياناً التخلص من  
المعاقين أو غير  
المؤهلين جسدياً  
والفقراء مادياً،  
والمرضى نفسياً أو روحياً  
والأدنى عرقياً،  
وغير الأكفاء عقلياً

١٩٢٦

التصنف السود في هارلم وفقاً لملفات العيادة المستخدمة لتبوير عملها، بأنهم:

- معزولون في منطقة مكتظة بالسكان ١٧١.٧١٠ و ٢٢٢.٠٠٠ من سكان نيويورك من السود كانوا يعيشون في هارلم في أواخر العشرينيات والثلاثينيات.
- يشكلون نسبة ٢١٢ من عدد السكان بمدينة نيويورك، إلا أن هذه الأرقام قُوبل بالنقد من نسبة البطالة في مدينة نيويورك.
- يحصل معدل وفيات المواليد بينهم إلى ١٠١ حالة لكل ١٠٠٠ حالة ولادة مقارنة بـ ٥٦ حالة لكل ١٠٠٠ حالة ولادة بين البيض.
- يحصل معدل الوفاة بينهم بمسبب مرض السيل إلى ٢٣٧ حالة لكل ١٠٠٠ نسمة، وسجل أعلى معدل في وسط هارلم دون أي منطقة أخرى في نيويورك.

ورغم أن العيادة كانت تحصد البيض السود على حد سواء، فإنها تأسست لصالح الملوثين. هذا ما كتبه سانجر في رسالة يثبث بها إلى الدكتور دبليو. إيه. بيرجهارت دويو، أحد القضاة السود في تلك الفترة. وقد عمل الكاتب وعالم الاجتماع دويو على تأسيس الاتحاد الوطني لتقدم الملوثين (NAACP) عام ١٩٠٩ لتحسين الظروف المعيشية للأمريكان السود.

ويبدو أن معاناة السود من التمييز والشفقة شكل مفرد لما أسهم كثيراً في مستحتم جهاء ليهيرم ميسر العدد من يومهم المسائي، وراي الثوريون أن الحل المحسن في تقليل الإنجاب، كما أختل سانجر إلى أن حل مشكلتي الفقر والاحتياط لا يمثل في أعداد أقل من السود حيث أقيمت جماعات السود المدنية بهارلم بهمواد، تنظيم النسل تحت عباءة برنامجي: الصحة الأفضل، (أي الحد من وفيات الأمهات والمواليد وأخذ الوقت الكافي بين إنجاب طفل وآخر) وتنظيم الأمرة، وتبنت سانجر - بالتعاون مع تلك الجماعات وبدعم من صحيفة مستردام نيور، (وهي صحيفة مهمة من صحف السود) - من تأسيس فرع هارلم المتابع لكتب بحوث عبادة تنظيم النسل، وأكدت الجمعية الأمريكية لتنظيم النسل لجمعية السود أن تنظيم النسل هو الحل لحثتهم

استخدمت سانجر معارضة فائقة نفوذ السود البارزين في المجتمع كتمويل هذه الرسالة إلى الجماهير، فقد تمت دويو وعدة من القضاة مجتمع السود في هارلم من الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين ورجال الدين والمصممين لتشكيل مجلس استشاري مهمته المساعدة في توجيه العيادة، حتى يكون العمل في حق تنظيم النسل قوة بناء في المجتمع، كما أنها كانت على دراية بأهميته وجود المتخصصين في السود في كل من المجلس الاستشاري والعيادة، وذلك لعملها بأن السود سيتمكنون بطبيعة الحال في رؤية

هادي دويو، باتجاه أكثر ليبرالية، بين تكتل السود، وذكر أنها مفتوحة أمام العناية الطبية من أي نوع، كما أن على الجمعية الأمريكية تنظيم النسل وغيرها من الجمعيات إبعاد المتدخلين باسمها في المحافل الكنسية ونشر آرائهم في صحف الزنج.

وكتب تشارلز إس. جونسون - وهو أول رئيس زنجي لجامعة فيسك - أن التفرقة اليجونية، ضرورية بالنسبة للسود، كما قال إن المعدلات المرتفعة من وفيات الأمهات والمواليد إلى جانب الأمراض كالسل والتيفود واللازريا والقوى التناسلية المديية جعلت من إصابة الأسر كبيرة المند نفسها أمراً صعباً، وأضاف أن وضع الزواج كعمل عاملاً، واقتصرهم على قطاعات الصناعات الأقل أجراً، وضرورة عمالة الأمهات والأطفال لتحسين ميزانيتهم المالية كلها عوامل تلزم على الحاجة إلى تخفيف العبء عن أنفسهم

حسب بل وعن المجتمع الذي يضطر لتوفير الدعم الإضافي لهم على شكل إعانات، عمل جونسون فيما بعد في المجلس الاستشاري القومي لاتحاد أمريكا لتنظيم النسل الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من المشروع الزنجي.

ووصف الكاتب والناشط، تيرينينج إنجاب طفل زنجي في عالم من الكراهية بأنه أمر مشير للشقة، وكتب في مقاله "أطفال البر، اللال،

إن ولادة طفل ملون ولو كان أبوه قادرياً على رعاية الطفل بشكل الكافي، أمر مثير للشقة بسبب المعاملة المديية من مبادئ المسيحية والديمقراطية التي يحتفل أن يتعرض لها على يد الأغلبية من مجتمع البيض، ولا يمكن وصف الأقدام اختيار الإنجاب لدى هذه الطبقة من البرساء بأقل من أنه شيء دريوي.

نظر تيرينينج إلى تنظيم النسل بالنسبة للسود باعتباره "الظرف الأكثر إنسانية، والأكثر يوجينية، مما هو الحال بين البيض، وأسس بضرورة نشر معلومات تنظيم النسل أولاً بين السود أكثر من نشرها في أوساط الطبقة العليا البيضاء. لكن تيرينينج أخفق في ملاحظة التوجهات الإثنية وسلوك المجتمع وكيف عملت كل منها على قهر السود، كما أنه لم يترجم أية حلول لرفع الظلم والعنصرية البيضة التي يهاجم منها هؤلاء.

ومن الحزن أن تتحقق نبوءة دويو حينما كان أن تكتلس السود ستلتحق أمواها أمام الدعاية الذكية، وتمثل تلك في دعوة القسس من السود لمساجر للحدائق العامة التي المستقلة. كما عني بعض الأموات الخاصة بالسود مثل (الأفرو الأمريكي، والشعر، ويعتد، بكتابتها. وبدلاً من التفكير لاسباب الجهورية لوفيات الأمهات والمواليد وتتشى الأمراض والفقر والبطالة وغيرها من الأدواء الاجتماعية الأخرى - ليس أقل

البيض في تقليل عددهم، كما عملت لاحقاً على الاستفادة من هذه المعرفة لتنفيذ مشروعها الزنجي. ملغت قوة حجة سانجر في إشفاق المجتمع درجة جعلت الكنيسة المعمدانية الأرثوذكسية - وهي أكبر كتلت هارلم - تعقد اجتماعاً في القديس تحت فيه سانجر، إلا أن هذه الاجتماعات قُوبل بالنقد حيث قام أحد كبار رجال الدين الذي ينتمي لطائفة أخرى غير المعمدانية على الأقل بالنقد سانجر، وتلقى الدكتور آدم كلايتون باول الأب كاهن الكنيسة المعمدانية الأرثوذكسية نقداً لاذعاً، من قبل ذلك القس (الجهول) الذي أندش السماح لأول باصفائة تلك المرأة البيضة في كنيسة.

## تنظيم النسل هو الحل

فتحت عبادة هارلم وما تبعتها من منازرة تنظيم النسل أمام الحوار بين السود حول الوسيلة المثلى لتحسين وضعهم الشفري. فظهر البيض في تنظيم النسل كحل على القابل للتطبيق، لذا تعنى النسبة العالية من الإنجاب وفقاً لهؤلاء المزيد من الفقر والاحتياط، بينما بدأ آخرون شغوفين بالتغيير في تقييد منسق تنظيم النسل، واعتقل القليل فكرة اليجونية. وفي عدد شهر يوليو لعام ١٩٢٢ من دورية تنظيم النسل، المسمى بالعبادة الزنجية، نشرت سلسلة من المقالات تبنتها عدد من السود حول "فضائل تنظيم النسل.

وطرح رئيس تحرير العدد المذكور السؤال التالي: هل ما يريدونه هو الكم الكيف بالنسبة لأطفالهم؟ هل يأتون بالأطفال إلى العالم ليجعلوا أصحاب الأعمال والأطباء أكثر ثراء ويوفروا فرص عمل للإحصائيين الاجتماعيين وموظفي السجن. أن لهم ينجبون أطفالاً ليكونوا دعامة للتنمية الأمريكية، وجاءت الإجابة أن معظم (السود) لاسبام النساء سيقاؤون الكيف... لو عرفوا الطريق إليه.



أشار دويو في مقاله "السود وتنظيم النسل، إلى الصراع المثلل الحتمي بين هؤلاء الزوج السامعين إلى تحسين وضعهم الاقتصادي وأولئك الذين يرون من خلال إيصالهم بالدين أن تحديد عدد الأطفال خطئية، وانتقد دويو - جموع الزوج الجيلة، الذين يسمعون إلى إنجاب الأطفال بدلاً من محاولة ويشكل يندر بكثرة حيث أصبحت هذه الزيادة في أعدادهم... تتمثل في ذلك القضم من السكان الأقل ذكاءً وصلاحيه للإنجاب بل والأقل قدرة على تربية الأطفال بشكل صحيح.

## خضاء على الأمريكان السود

الجيني، معرض 'للالهاف، بينما يقبل أي شخص يملك مستودعا جينيا وأعدا بين أوساط النخبية، ولا تخشى الفرية الوجودية على أحد، حين عاق جرائت حق بقوله، 'القاعدة الأساسية هي أن برنامج تنظيم الإحباط نظم بشكل واع - لا تخشى وتغريز والتحول الأبيض... إنه برنامج عنصري صراحة وصمنا منذ البداية.

### وصية سانجر

من المجال فصل ماصس منظمة تنظيم، الإحباط هي حاضرا، فلا تزال سياسة الأكاذيب والدعاية تتسلل إلى مجتمع السود. بل إن السم الداء فكان أن تنظيم تنظيم الإحباط - إلى جانب تنظيم النسل - دعت إلى الإحباط كحل للمشكلات الاجتماعية، والإجماعية التي رزق المجتمع بها. فهي أعقاب إنشاء تلك المنظمة فقد مجتمع السود وحده أكثر من ١٢ مليون نسمة، وهذا ما عكسه سجلات منظمة نفسها. فهي سجل مثال، كشف تقرير عام ١٩٩٢ أن ٢٠,٢٣ من النساء اللاتي أحضرن في الأماكن الشائعة للمنظمة من السود - رغم أن السود يمثلون نسبة لا تزيد على ١٢٪ من إجمالي عدد السكان. وفي عام ١٩٩٦، ذكرت شبكة البحوث في منظمة تنظيم الإحباط أن 'السود الذين يشكلون نسبة ٢١٪ من إجمالي عدد السكان الحوامل، يحتلون نسبة ٨٢٪ من كل عدد حالات الإحباط، بينما تأتي تلك الحالات نسبة ٢١٪ بين البيض البالغ يمثلن ٨١٪ من إجمالي عدد السيدات في سن الحمل'. وذكر القس شتر من (LEARN) أن 'الإحباط هو السطاح رقم واحد بالنسبة للسود في أمريكا، إذ إننا نفقد من شعبنا ١,٤٤٢ نسمة في يوم، وهذا ليس إلا تطويرا عريضا مضحا. في حين يؤكد تأثير (سانجر) وكل الأراء المتحمدة التي طرحتها منظمة تنظيم الإحباط على مجتمع السود... على أنه لا بأس من تنظيم النسل بهدف تحقيق شعبكم. وقد انطلعت علينا هذه الأكاذيب وهذه الدعاية.



وصل الأمر ببعض السود بأن جعلوا 'حقوق' الإحباط عرافة للحقوق المدنية، وعلى أنه غير هنتر عن أسفه: 'إننا ندمر مصر ومستقبل غربنا مثل كان لا بد أن يكونوا مينا. من يعرف كم قد قُتلا من المويكويرين وكم من القادة المعطاء لجمع السود قتلوا؟ وكم من المقول بالنسبة للمعركة قتلنا في مجال الاقتصاد وكم من المعلمين الأفضل؟، ثم استشهد بمثل

أو عنصريته على الرغم من الدليل الواضح على العكس، ونظرا لتوقف سانجر عن تحرير دورية تقطيع النسل، عام ١٩٢٩، حاولت تلك المنظمة أو البرنامج الفصل بينها وبين القالب الوجودية التي أبتعت التي نشرت بالدورية بعد ذلك التاريخ. إلا أن ملخص إحدى الخطب التي ألقها سانجر في عام ١٩٢٢ والذي نُشر بالدورية في نفس العام كشف عن ميته المستمر نحو الوجودية. في مقالها، خطة من أجل السلام، اقترحت سانجر على الكونجرس إنشاء إدارة خاصة لدراسة المشكلات المسكانية وتعيين برلمان سكالي، أحد أهم أهداف هذا الكونجرس الوجودي، العمل على دفع مستوى الكونجرس وزارة القوى العام لديهم، مما يتحقق ذلك لا بتطبيق 'سياسة صارمة ومستندة من التقطيع والفصل الاجتماعي' (بالإضافة إلى تعيين قوانين الهجرة) على تلك الفئة من السكان التي ينتمى لها صفات غير مرغوب فيها، أو ممن لديهم القابلية لتزويج مثل تلك الصفات إلى الأجيال القادمة، ويمكننا أن نستنتج أن سانجر صاغها ليسا برنامج تنظيم الإحباط - حتى بعد عام ١٩٢٩ - لن تسمح بشرى الأفكار لا تخضع لتأييدها.



في مويوس سانجر أنها لم ترغب سوى في توعية السود بالوقائع الصحية، لتنظيم النسل، رغم أنها عدت الناس الذين أوردت، 'وعينهم، أين أولئك الذين المؤلمين، للإحباط ممن ينبغي تحقيق نومهم السكالي.

وقد باتت هذه التبريرات بالفضل أيضا بسبب ما أسماء جرائت، 'العنصرية العنصرية'، وبسبب هذا الشكل من العنصرية التي وجدت بدلا من كون الشرة أو الخطة - ووفقا لجرائت، ليست الماسة خاصة بدوني البشر، أو 'هجرة' الممان، بل بدون الحجة، وبناء على ذلك، 'ملا أن السود واليهود والأمريكيين من أصل إسباني يكسبون من مستودع جيني ذي نوعية جيدة - وهذا أنهم يمتصرون ويفكرون كالبيض - عندئذ يعكس اعتبارهم مساوون لغير الأري. ربما أنهم أفضل العناصر بين بني عرقهم، كما قالت جارجريت سانجر، يمكنها (استيعابهم) مؤتمنين جيدي - أهمية. ومن نفس المثل، ينبغي إضلل على 'البيض' الذين يتمتعون بنى أفضل جيني، بما يخصهم، بصورتهم، 'المسطرة إلى جانب غيرهم من الأعراق، 'الأدنى وغير المرغوب فيها'.

كتب جرائت - باختصار - أن 'العنصرية العنصرية نوع من التضرة العرقية مع تكافؤ الفرص. لذا فإن شخص يعاني من 'خلل في مستودعه

بولاية ساوث كارولينا تحت إشراف دكتور وورث إيه. سبيزلر، رئيس لجنة رعاية الأمومة في اتحاد ساوث كارولينا الطبي. وجاء اختيار أمريكا لتنظيم النسل لهذا الموضع، نظرا للاستعداد الذي أبدته القيادات في الولاية تجاه التجربة، فساوت كارولينا هي ثاني ولاية أمريكية سجلت تشجيع المسافة الزمنية المصالة بين طفل وآخر جزءا من برنامجها للصحة العامة بعد إجراء مسح إحصائي على وفيات الأمهات بالولاية أوضح أن ٢٥٪ منهن من بين النساء غير الإملات جنسيا لدخل. مرة أخرى تخرج لنا الرسالة التالية: تنظيم النسل - في ظل رعاية عادية قبل الولادة - قلل معدل وفيات الأطفال والأمهات. ورغم أن ٧٠٪ من سكان مقاطعة بركلي في السود، فإن العنصرية تعرضت للنقد بسبب انتماء أعضاء هذه العيادة (إلى الأغلبية الساحة)، وأكد سبيزلر لكونك بارثوليت أن هذا غير صحيح بقوله 'ببساطة... قمنا بتقديم يد المساعدة إلى من كان لديه الرغبة في تلقي مساعدتنا، و'لاأه' غالبا من الزوج.

وقد استطاعت سانجر بحلول عام ١٩٢٩ دفع أفضل وأغص العنصر بين السود الأمريكيين للاقتناع بوجاهة تنظيم النسل 'للمحافظة على العيادة، حيث فحمت فجأة ميهير في الإناح حيث كانت ماسات مسؤلات السود الاجتماعية والمهنية والأدوية بدعم منظمة تنظيم الإحباط الوجودية. ولم يكن نجاح سانجر في الخداع يعني أي شيء بل أن الأشكال أن السود كانوا سدا، فلاحظ أن 'الأمم كانوا يريدون تقليل معدل وفيات الأمهات والمواليد وحسين الصحة في المجتمع بوجه عام؛ وبالتالي تقبلا فكرة سانجر كاما لأنها بدت مباشرة بالرخاء والقبول الاجتماعي، كما أنها استقبلت فقامت بضمهم وجعلهم (يا صحتهم الخطة صمدا) لصحتهم. ونفس النظر عن تنظيم النسل، لم تقدم سانجر أي دليل حقيقي أو إحصائية أن لها يعاونه من مشكلات. من المؤكد أن السود لم يكونوا يقبلوا الخطة البشرية مشروعا بهذا الشكل إذ فطنوا إلى ذواهاها الحقيقية. وبالتالي إلى الدور الذي لعبته الوجودية في بداية حركة تنظيم النسل - واعتناق سانجر لهذه الابدولوجية - كان من الملام التمام بعزيز من الحرص من مفهوم تنظيم النسل باعتباره 'الحل' الوحيد، للمشكلات التي أصابت السود.

### العنصرية العنصرية

خفا برنامج تنظيم الإحباط، خطوات واسعة لرفض الاعتراف بأصول البرنامج الوجودية، مكررا بشدة الوجودية سانجر

منها العنصرية فإن سانجر اهتمت بتأييد تنظيم النسل، وكان الكثيرون يرون أن من مخالفة للزجج إلى يود أصلا بدلا من معاقلة هذه الحياة القاسية. وفي هذا السياق، فُتت سانجر أيرر رضاء مجتمع السود بحقيقتها حتى رحمتهم على قبولها رغم ما تحتوي عليه من شبر لهؤلاء. القادة، روضة سانجر لبضاعتها المخوفة في صناديق أنيقة مكتوب عليها 'الصحة للأطفال، وتنظيم الأسرة، ولا يمكننا بتطبيقه الحال إنكار فوائد الصحة للأطفال والمقدرة المالية على تربية الأطفال أو أخذ الوقت الكافي بين إنجاب طفل وآخر، إلى أن حل المشكلات الحقيقية التي تواجه السود لا يمكن في تقليل اعتمادهم على مربية أولى المجتمع على صحة حرة غير في طريق تقديمهم، ولعل أهم من ذلك كله ضرورة الانتباه إلى واقع سانجر وراء تأييدها لتنظيم النسل في المجتمع، مع العلم أنه ليس واقعنا نأياً عن حب الآخرين.

### صحة النسل

#### ثلاثة عشر مليون نسمة

تمثلت الدعاية للمشروع الزججي في القول بأن تنظيم النسل يضمن صحة أفضل. وبناء على هذه القصة، صمم اتحاد أمريكا لتنظيم النسل برنامج سميرات للمشروع الزججي في الجنوب، ليبدأ مدى قدرة تنظيم النسل الخاضع للإشراف الطبي بتكامله مع خدمات الصحة العامة القائمة على تحسين الرضا العامة للزوج وتأسيس برنامج توعية لهم في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

افتتح اتحاد أمريكا لتنظيم النسل أول عيادة بمرکز بيت لحم في مدينة ناشفيل بولاية تينيسي الأمريكية (إلى أن يشكل السود فيها سوى ٢٥٪ فقط من عدد السكان) في ١٢ فبراير ١٩٢٠، ولتهدا أهميته خاصة تثير من كلبية ميهاري الطبية التي تربت أكثر من ٢٥٪ من الأطباء السود في الولايات المتحدة.

كشف الحيات جماعة ناشفيل للدخل أن دخل أي أسرة - مهما كان حجمها - لا يزيد على ١٥ دولارا في الأسبوع. ومن الجلي أن الخدمة وصلت إلى فئة الدخل التي صممت تلك الخدمة من أجلها، ما يثير إلى حد هدف الضروم. على أنه التقدير أن 'الضوء على الأمراض الخطيرة وإمكانية معالجتها و... ٥٥ ٪ (٢٤٦ من ١٢٨) من المرضى الذين مولجوا باستخدام وسائل تنظيم النسل قد استخدموها بشكل دائم ونجاح، إلى أن ذلك التقدير لم يذكر أي أرقام محددة... ليان مدى استدامة المجتمع.

افتتح اتحاد أمريكا لتنظيم النسل العيادة الثانية في مقاطعة بركلي الوجودية

أسوا من عصابات الكلو كلاكس كلان... نظراً لبراعتهم وتوطينهم. فهم يخفون تصميمهم الأعسر وراء ثوب أنيق، لكن الإحصائيات والأبحاث الميدانية، تكن بالفوس تحت السطح قليلاً ترى أنه لا يقلل قبحاً عن الفصل العنصري (الابارتهايد)..

وكشفت رواية أحدث عن توزيع إحدى الجهات التابعة لمنظمة تنظيم الإنجاب للواقى الذكرى على الرجال من سكان أحد أحياء السود الفقيرة فى أكرون بولاية أوهايو. وتسلم هؤلاء السكان حقبة متطورة، تضم بين محتوياتها مادة مكتوبة عن الوفاية من الأمراض التى تنتقل عن طريق الجنس، واختبارات أمراض النساء والعمل، وسلسلة مفاتيح تحتوي على واق ذكرى أخضر فاتح وكوبون. ويمكن استبدال هذا الكوبون فى ثلاث عيادات ريفية بولاية أوهايو بأشئ عشر وإقياً ذكرى وشهادة نهديه من ماكودلندز بقيمة خمسة دولارات. وتحتوى كل هذه الأشياء على أرقام تلفونات منظمة تنظيم الإنجاب. قد تحتج الجهة التابعة لمنظمة

تنظيم الإنجاب بأنها تستهدف المناطق ذات معدلات الحمل المرتفعة، إلا أن استجاباتهم تقتصر سلوكاً تمييزياً من جانب الجماعة المستهدفة. ولطالما أجهمت تلك المنظمة من تشجيع أو تعزيز العفة أو الابتعاد عن الجنس باعتباره صمام الأمان الوحيد ضد حمل المراهقين

## من بين أكثر من مائة عيادة لتنظيم الإنجاب مقامة فى المدارس التى افتتحت فى أنحاء أمريكا فى العقد الأخير، لا تقع عيادة واحدة فى المدارس التى يمثل البيض فيها أغلبية ساحقة

قصية ضد مجلس التعليم بشيكاغو، ولم يكتف هؤلاء باتهام عيادات المدارس بالمدينة بمخالفة قوانين الزنى بالولاية فحسب، بل وبممارسة التمييز والتفرقة ضد السود. ادعت القضية أن تلك العيادات ما هى إلا جهد خبيث وسدس سلفاً لتدمير نسج الحياة الأسرية (بين) الأبناء والأمهات السود وأبنائهم.

ذكرت إحدى الأمهات فى المجموعة أنها «صدمت» عندما رأت ابنتها بعد عودتها من المدرسة إلى البيت ومعهما نص مطبوعات منظمة تنظيم الإنجاب، وقالت: «لم أكن أدرك مدى عنصرية أولئك الناس حتى قرأت المعلومات التى تسلمتها ابنتى فى عيادة المدرسة». إنهم

الثمانينيات حينما تحولت بورة اهتمام منظمة تنظيم الإنجاب من العيادات على مستوى المجتمع إلى العيادات المقامة فى المدارس، عادت تلك المنظمة إلى استهداف مناطق الأقليات داخل المدن» وأضاف قائلاً، «إنه من بين أكثر من مائة عيادة مقامة فى المدارس التى افتتحت فى أنحاء البلاد فى العقد الأخير، لا تقع عيادة واحدة فى المدارس التى يمثل البيض فيها أغلبية ساحقة، ولا توجد عيادة واحدة فى مدارس أحياء الطبقة الوسطى. إنها جميعاً تتركز فى مدارس السود والأقليات العرقية». وفى عام ١٩٨٧، رفع مجموعة من الفاسوة وأولياء الأمور والمعلمين السود

الطريق قديم قائلاً: «لا أحد يعرف أى رحم يحمل ربح القبيلة». ولاحت هنتر شخصياً آثار المايسى اليجينى لمنظمة تنظيم الإنجاب على مجتمع السود اليوم حين قال: «حينما أطوف أرجاء البلاد لا يمكننى أن أذكر سوى (أنى رايت) عيادة إجهاض واحدة فى أحد أحياء الأغلبية البيضاء؛ فأغلبية عيادات الإجهاض توجد فى أحياء السود». وأشار هنتر إلى الجدال الذى دار منذ ستينى فى ولاية نيو جيرسي الأمريكية بشأن العيادات الصحية فى المدارس. ولم تحم الخبرة العنصرية على أحد أثناء ذلك الجدال، وحادل المسؤولون فى منطقة باتون روج حول وضع العيادات فى المدارس الثانوية. تمتعت هذه الفكرة مبدئياً بتأييد الثالوية السوداء لفلولايه، شارون ويستون بروم. إلا أنها أعريت فيما بعد من قلقها بخصوص توفير العيادات لوسائل منع الحمل والاستشارة الطبية بشأن الإجهاض. أوصت بروم بضرورة «أن تشجع العيادات على التفتش والفحة، وحينما علم هنتر برغبة المسؤولين فى قصر العيادات على مدارس السود فقط، دعا النائبة السوداء إلى وضع العيادات فى مدارس البيض أيضاً. ويؤكد هنتر أنه بمجرد تقدم بروم بهذا الاقتراح، «سحبت» مقترحات إنشاء العيادات فى المدارس على الفور». أشار جرانز إلى نفس اللعبة منذ عشرين عاماً فى كتاباته، «الثناء



# لأن

## بنكى المصرى التجارى

هاشترى الى نفسى فيه..

الآن يمكنك التحكم فى مصروفاتك مع بطاقة ماستركارد الائتمانية



فترة سماح تصل إلى ٥٢ يوم بدون فوائد  
إختار مبلغ السداد المناسب لميزانيتك

رقم واحد لمزيد من المعلومات

الو بنك 19322

تصل الآن

البنك المصرى التجارى

EGYPTIAN COMMERCIAL BANK

المشروع الزنجي..



تطوعية توجد بواشنطن (C.D.) وتشجع منظمة (NRLC) التي تتواصل بين البيض والسود من على حق الحياة، ويؤكد إرنست أولهوف، مدير الرقابة الاجتماعية بالمنظمة قائلا: «هذهنا جو جيد لك الناس من مختلف الأعراق والألوان والأديان للمشاركة في قضايا حقوق الحياة. ليست جماعة الميركان السود من أجل الحياة جماعة مشابهة للمنظمة: بل فإننا نرغب في مساعدة الأميركيين السود على الاتصال بالأنشطة عملياً في الحركة المؤيدة لحق الحياة».

لقد صدق هذا الإعلان سياسياً  
السياسة يديرها هؤلاء، وليس  
جميعه سواء مهمات من أجل أمريكا،  
التي قالت، مهمتها هي حماية حق  
الحياة لكل أفراد الجنس البشري.  
وتحرب سواء مهمات من أجل أمريكا  
كل النساء والرجال الذين يشاركون  
البراري، من مختلف الاتجاهات والأيول،  
للانضمام اليها في هذا المقام،  
وتتمتع سواء مهمات من أجل أمريكا  
بتأجيل طويل في محاربة الأجندة البغيضة  
للنخبة تنظيم الحياة، فهذا المشروع  
الذي أصبح يترك معظم، كين لا بد من  
إضفاء الضوء عليه لم تعد مارجريت  
سافير إلى أمريكا لسوء الحظ إلى الأبد،  
والآن وبعد أن انقضت ضمانة الدفاع، فإن  
يمكن الآن الرأسمال، «اختيار الحياة...»  
في سعيها إلى الأجول القادمة،

- إحياء للذكورى عدد الأطفال الذين يتم إجهاضهم يومياً من السود - ذكر المتحدث إيمون أويتز، هذا من شأنه لفت الانتباه إلى مشكلة (الإجهاض) على المستوى القومى، كما أنه يمنع الفرصة للسود الحديث مع مواطنيهم من السود الآخرين، إلا أن ذلك لن يحل كل مشكلاتنا، لكننا لن نحل مشكلاتنا الأخرى بالإجهاض.

ويتصل مؤيدو حق الحياة من السود أيضاً بأخوانهم المؤيدين لهذا الحق من البيض، فجماعة الأمريكان السود من أجل الحياة (BAL) جماعة رفاه اجتماعية تنتمي إلى اللجنة القومية لحق الحياة (NRLC) وهي منظمة

العبودية عمل السود جاهدين على التمسك بأطفالهم، بينما ذكرت لاثير تويلر، عضو مجلس إدارة منظمة تنظيم الإنجاب السابقة أثناء لا تعرضت السود إزاء هذه القضية إلى التلامس، بل إلى جعلهم بالحقيقة. إن القضية هي... نوعية شعباً.

يسمى اليوم عند مترايد من السود المؤيدين لحق الحياة إلى التخلص من شباك الخداع التي تسميتها سانجر، ويستعين هؤلاء بالحائلي لإلقاء الضوء على الأكاذيب، وليست مسيرة «قوة القرار» إلا نموذجاً واحداً لفرض بنود النشاط المؤيدين لحق الحياة. بينهما مصنع المتظاهرين ١٠٢٠٢ وردة على سلم الحكمة

والأمراض التي تنتقل عن طريق ممارسة الجنس، على أساس أنها وسيلة غير واقعية.

وثن الحسن ريتشارد ريتشارد، رئيس منظمة الحياة الإنسانية في فرت رويال بولاية فوجينيا، جوهما معنية، ألقى في اليوم الثاني من تنظيم الانجذاب لاستهدافها اقليمات من محدودى الدخل بحالتيه اقليم التمثل. وقال ان هذا الامر يكشف عن، والعنصرية الكامنة في التشجيع على الانجذاب ومنع الحمل في احياء الاقليات بالدرجة الاولى. ثم انتقد منظمة تنظيم الانجذاب بقوله، انها حين انشدت عن اعدام عقوبة امرأة صرصة على تطبيق الانجذاب ومنع الحمل على الوجودية والتطوير العرقي، فإنها ظلت متمسكة بنفس الاستراتيجية في اليوم.

التخلص من شبكات الخداع،

ظل قادة السود في صمت إزاء مؤامرات مارجريت ساجر الجبينة ضد مجتمعهم لمدة طويلة للغاية، كما وقفوا صامتين إزاء الآثار الدمرة للأجهزة في مجتمعهم - رغم اتجاهاتهم نحو الحفاظ على الحياة، ويرى هنتر أن الأغلبية (السود) يؤيدون حق النشأوا أكثر من أي شيء آخر، فالسود لم ينشأوا على قتل أطفالهم على الإطلاق، حتى في عصر

# لا شئ يفوق هواء كاريير ..

## AIR 4 LIFE لا شئ يفوق كاريير Solutions




### أكثر من 14 حل متكامل من كاريير العالمية

١١ أهل استهلاك للطاقة

خاصية My Carrier

١ مجموعة ألوان كاريير

١٢ خاصية Tele Carrier

٧ الريموت كونترول الفريد Smart Remote

٢ فلاكتر متطورة من كاريير العالمية

١٣ اتجاهات للهواء

٨ إمكانية توصيل كاريير بجهاز الكمبيوتر

٣ خاصية Dry متماص للرطوبة

١٤ الفروحة الذكية

٩ Every Day خاصية

٤ التحكم في درجة الحرارة أثناء النوم

١٠ أهدأ ٣٥ من أي تكييف

٥ خاصية التسخين والتبريد

### لا شيء يفوق الخبرة ... لا شيء يفوق كاريير

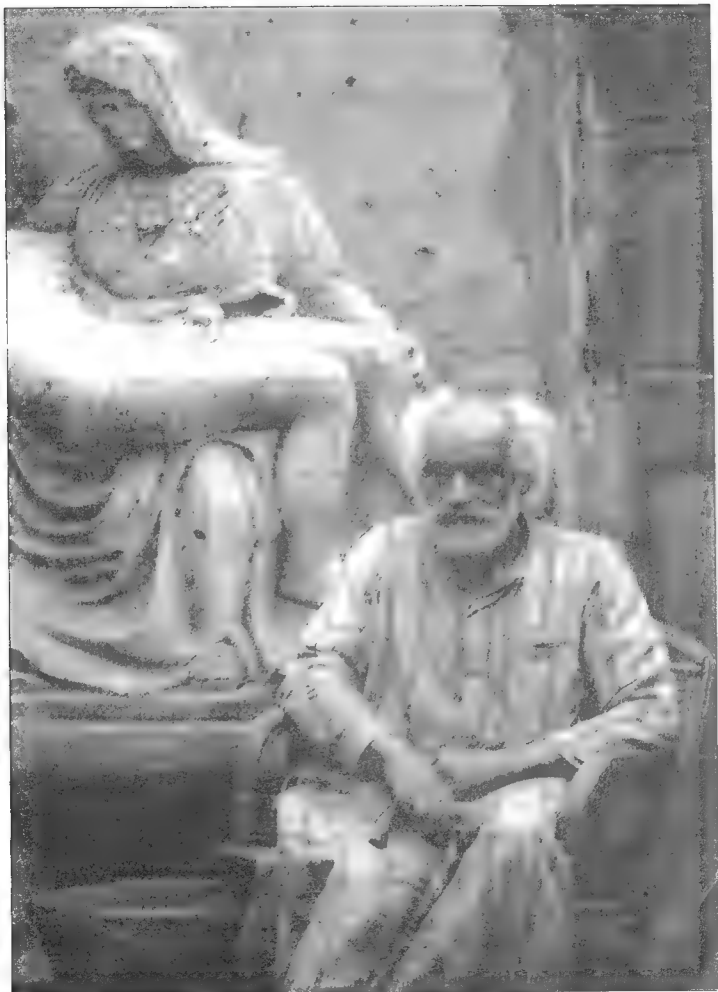
ولدي كل العوزعين المعتمدين



## 19111

و على القصر الكبير والاسكندرية

شركة مصر لاستدامة التبريد والتكييف، في ١٩٨٠، بدأت في تصنيع وإنتاج مكيفات الهواء، وقد أدى هذا النجاح إلى إنشاء شركة كاريير العالمية، التي أصبحت الآن واحدة من أكبر شركات التكييف في العالم. كاريير لديها خبرة في تصنيع وإنتاج مكيفات الهواء منذ أكثر من ١٠٠ عامًا، وقد أصبحت الآن واحدة من أكبر شركات التكييف في العالم. كاريير لديها خبرة في تصنيع وإنتاج مكيفات الهواء منذ أكثر من ١٠٠ عامًا، وقد أصبحت الآن واحدة من أكبر شركات التكييف في العالم.



# الطباخ .. الفنان .. النحات

عبد البديع عبد الصي

سيرة حياة فنان عراقي

مصطفى السرا

فصل البقاء بمصر وطلب الالتحاق  
بمصرم الاقص.

عندما كان في سن السابعة والعشرين أحقته السيدة هدى شعراوي بالقسم الحر بمدرسة الفنون الجميلة، ففاز بمنحة وجائزة مرسوم الاقص بين عامي ١٩٤٠ . ١٩٥٠ كان يعمل في مهنة صبب النماذج بينما ينحت وجوهاً مصرية وأطفالاً بلعبيون، وطيورا وحيوانات، بنية، كالقط، والقطة، تصارع ثعابين ثارة، وتلقم سمكا قارة اخرى. فضلا عن تماثيل لشخص فلاحية، وعارية في اوضاع مثالية متكئة لتنع هيئة الحجر المتاح له، وكأنها نحت بارز متعمد الأوجه، تميزت تلك النحتات بالواقعية وتدفق التعبير وقوة الملاحظة والحرص على الصقل التام

في عام ١٩٦٢ حصل على جائزة ثالثة في مصرص «الثورة في عشر سنوات» الذي اقامته جمعية محبي الفنون الجميلة. وفي عام ١٩٧٢ حصل على جائزة الدولة التشجيعية للفنون، وسام العلوم والفنون، كما منحته اكااديمية الفنون شهادة الجدارة عام ١٩٨٢ وفي عام ٢٠٠٢ تم تكريمه في الدورة السابعة لتسويروم النحت الدولي بأسوان كما تم إهداء فيلم وثائقي عنه بعنوان «نشد الحجر». وفي أثناء العمل في كتلة من البازلت سقطت منه بلمبة على ساقيه، استدعى الأمر علاجاً طال ثلاث سنوات ومن حينها أصبحت الحالوية هي رذاذ المريح والعالم. كما أن تخطيطا الجرانيت والمازالت المتناثرة أثناء النحت قد أصابت أسنانه وعينه، وقد أجرى له الدكتور .. على المصن .. عملية ناجحة في عينيه، ولكن عندما أجرى عملية

في عام ١٩٤٤ يقرأ عبد البديع عن مسابقة محمود مختار التي أنشأتها الرائدة النسائية «هدى هاتم شعراوي، والمسبو .. بول فيس، بعنوان «ست الحسن، فيستخدم عتمة باب رخامية وقطعه مبردة قديم وشاكوش تكسير السكر هي صنع تمثال لفاتة تمتد شعرها، ليفوز بالجائزة الأولى في المسابقة التي يشارك فيها أهم النحاتين الوطنيين، فيلفت نظر السيدة هدى شعراوي وتلققه طباخاً في دارتها يملو، وفيات إهداءه إياها تثال ست الحسن الفائز، ويحصل

ولد النحات الراحل عبد البديع عبد الحى في ديروط .. المنيا في ٣٠ يونيو ١٩١٦ ولقى تخبه مقتولاً الشلاء الماس من يوليو ٢٠٠٤ وكانت حياته سيرة ذات ثوبية فريدة، وقيمة تاريخية تخطي أهميته الشخصية، إلى كونه شريحة نادرة من الطبقة الفقيرة، شق طريقاً غير اعتيادي، خروجاً عن الطريق المرسوم لحياة من مثله، حيث كان يعمل طباخاً في مسقط رأسه عند إحدى العائلات. وقد صادفته أحداث عابرة كانت تحدث تكراراً لن في مثل طبقة الاجتماعية ولكنها لم تعبر معه مثله. فعندما ألبه الضابط الإنجليزي المسئول عن التجنيد أنه غير لائق للجندي لأن عينيه بهما حول، استنكر هضربه الضابط بالكرتاج، فحدث الكرياء الصمعيدي وأصر على قتله، ولكن تخطيطه تبعد نتيجة للاستحكامات الأمنية. وفي طريق العودة إلى السكن حصل على قرن جاموسة فنتحه بسكين الطباخ على شكل صوته يصدر الضابط البريطاني وكأنه يستعيد تلقائياً تفاليد حفر السكان الطرانية في عهد ما قبل الأسرات المصرية التي تصور صاحبيها منتصراً يصعد عوده، ثم يتقدم للمتخف الحربي بالقاهرة عام ١٩٤٢ بعد من التماثيل التي صنعا حيث يصور فيها نفسه في ملابس جندي من أسلحة مختلفة. لقد حز في نفسه كثيراً وقضه في التجنيد، يعكس اتجاه أبناء جيله إلى الفكك منه بدفع «البديلة» أو بقطع أصبعه، قبل المتحف هدية عبد البديع مما رفع من معنوياته، وعندئذ سمع هاجس الزمن الذي حول حياته على النحو الذي عرفناه بها



الصورة لفنان مصور  
رضيا سالم

العدد السابع والستون، أغسطس ٢٠٠٤ م

جراحية أخرى لعينيه عام ١٩٩٥ في ألمانيا تدهور بصره بصورة حادة. وقد أصبح عبد البديع عبد الحى وجها مألوفاً فى الحركة الفنية، يشاهد فى افتتاح المعارض والندوات وحفلات التكريم، وفى مقر النقابية وموقع الأقبليّة وجمعية محبى الفنون الجميلة. وأصبح مقره المتواضع مزاراً للنزاهة والمحبين والعظماء ورجال الدولة، الذين راوا فيه رمزاً وطنياً للطموح والإصرار والإرادة.

#### عصر الرعاية المستعيرين؛

كان عبد البديع نموذجاً يوضح دور نوعية من الرعاية الوطنيين للفن الذين حفظوا كرامة الفنان وعزروا شموخه، وفتحوا أمامه سبل التقدم والتوجه. كان هؤلاء الرعاية صنفين؛ الأول عنى بصفة خاصة بتأسيس مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨، ورعاية تلاميذها وبعث المتميزين منهم للدراسة فى أوروبا. مثل الأمير يوسف كمال، الذى أسس المدرسة فى أحد قصوره فى «درب الجمامين»، وأوقف عليها وعلى البعثات المخصصة لأوائل الأقبليّة إراضى وعقارات. ومثل «محمد محمود خليل بك» الذى بجنّى اقتناء مجموعة نادرة من شئون القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من أعمال التآكيريين خاصة، والذى عمل جاهداً بوصفه رئيساً لجلس النواب على استصدار القرارات الملكية بتأسيس لجان رعاية الفنون، وتكوين مجموعة قومية من أعمال الفنانين المصريين والأجانب لتكون أول تشكّل الفن الحديث وتأسيس جمعية محبى الفنون الجميلة التى تكاثف أعضاؤها من الرعاية فى تنمية الحركة الفنية المصرية وإنشاء صالون القاهرة السنوى للفنون.

أما الصنف الثانى من الرعاية فقد كانت دوافعهم وطنية خالصة، معنية بالرموز المزهرة لأهداف ثورة ١٩١٩ التى قادها الزعيم «سعد زغلول» وزفائه، الذين لبّوا مشروع «محمود مختار» لإقامة تمثال نهضة مصر مخالفتين هوى القصر والإنجليز والبيروقراطية المصرية، حين تفتق النهن عن عمل أكتتاب شعبى لجمع القروش والجنهيات لتمويل التمثال، فى مظاهره سياسية وطنية تكاهلية فريدة من نوعها فى تاريخ الفن المصرى الحديث، كما يلتقى سعد زغلول بالفنانين «يوسف كامل»

ورأغب عياد، من فنانى جيل الرواد فى مصحة كان يعالج فيها فى مدينة جنين، وعندما علم بأمر تبيدهما الأدوات فى التبريس مقابل أن يتناولوا البعثة للدراسة فى إيطاليا، قال لهم «لقد أجبتم ما أردت إبتائه أفضل منى يا ولادى» فقد أعطيتم مثلاً على وحدة وتكافل عنصرى الأمة المسلمين والأقباط، وعند عودته إلى مصر تبنى قضيتهم فى البرلمان والنزّم الحكومة الصرف على بعثتين لهما.

ومن هذا النوع كانت التزعيمة الوطنية النسالية «هدى هانم شعراوى» التى تبنت الفنان «عبد البديع عبد الحى» وأسست مصنعاً للخزف ليبحث الطراز الوطنى كما فعلت «أمينة هانم إلهامى» عندما أسست المدرسة الإلهامية لبعث الطراز الفرعوني والإسلامى فى الأثاث والزخارف وأرسلت البعثات على

نفتحتها وزعت الفنانين المصريين فى مصر وفى أوروبا أثناء البعثة، وأفركتهم فى التظاهرات والمؤتمرات السياسية والاجتماعية التى كانت تتمثل مصر فيها، وتولت رعاية الفنان يوسف كامل الذى شاهد السيويبول فى، يرسم فى الشارع بمنطقة «درب التبانة»، فقال له إن السيدة هدى شعراوى تحب أن تعرف دراسته هناك قام برسم العلم المصرى على الفنانين المصريين الشبان، ولقدومه إلىها وعندما التقت به فى روما أثناء دراسته هناك قام برسم العلم المصرى ذو الهلال والنجمات الثلاثة، وقامت زميلاته بالأكاديمية بتطريزه ليرفع على مقر المؤنصر الذى شاركت فيه فى العاصمة روما، بروعدته إن تميز على نظرائه، ليثبت مكانة وكفاءة المصريين، على ترسله فى منحة للدراسة فى باريس لنفتحتها وقد فعلت.

الأمير يوسف كمال ومحمد محمود



خليل بك من ناحية، والزعيم سعد زغلول والسيدة هدى شعراوى من ناحية أخرى، يمثلان فقط نماذج دالة من مجتمع «استرقاوى وطنى» يؤمن بمواهب أبنائه ويبدل الجهد والعطاء فى سبيل شق الطريق الصحيح وفتح آفاق المستقبل أمامهم، ولذلك وبإذات شعر عبد البديع عبد الحى، فيما بعد، بأن طبقة الأغنياء وأصحاب القرار قد خذلو، وتكرروا لمشوار حياته الذى يمثل بالقطع شريحة ذات دلالة عميقة فى التاريخ المصرى الحديث، وعلمة فارقة بين عصرين من الرعاية إلى التنكر للمواهب الوطنية.

#### سنوات الخشب؛

فى الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة من حياته أقيمت عبد البديع حالة غضب شديدة، أحت عليه مشاهير الجحود والإهمال وما ترتب عليها من طافاة وشظف العيش، الأمر الذى يهدد كرامته التى لا تقبل الخشخشة ولا الإحسان من أحد.

عانى من البيروقراطية الجديدة ومن تجاهل المسؤولين فى المحافظة لكانته وطبيعة عمله، وتسلطهم عليه فى مقبره الذى هو نوع من الكسر، فاجلونه من أن لا يخر بنواتير لا قبل له بها واجبة السداد دون جيرانه فى ذات الحكم، فقد جلبت له صورة الصحف ووسائل الإعلام نقمة، إذ سلطت الأعين عليه بين جيرانه البسطاء الذين اعتبروه محظوظاً وصاروا يظنونهم مقتر على نفسه مع كل هذا الخراف الموهوم، وضج من الحلول التى وجدتها وزارة الثقافة ملائمة لشكواه، سواء بمنحه التفرغ، أو شراء عدد من أعماله عن طريق المقتنيات، أو تكريمه فى هذا الموقع أو ذاك من وقت لآخر، فقد كانت تلك الحلول فيما يرى نوعاً من الخطف وهو لا يتسول، ولذا كان يتقدم لإدارة التفرغ يطلب سنوى ساخر قائلأ «أرجو تجديد تسولى عاماً أخرى».

وكان يهائى من روح الشللية والطبقية فى الحركة الفنية التى كان يتصور أن مجموعة من «الحرامية»، تسيطر عليها، معبراً عن مرارته من سيطرة «الكاترة» وأصحاب المناصب، وسياسة توزيع المنح والحوالز والمقتنيات وفقاً للمقامات البيروقراطية والأكاديمية.



تطل من بين لحبيته الكثيفة وشاربه وتجاعيد الصدفين، يهلهل ببشاشة ويحيى بكلمات الكفين على يد وكثف الخلال ومع الجلوس يشيع جو من البشر والدمامة وأكواب الشاي يتخللها نوبات من الشكوى والغضب مما آل إليه الحال بأليك وبالناس وبالمستوليين وبالحرارة الصنية، وتتناول ذكرياته عن الناس الكاملة، وعن الناس الناقصة، ويصرح لزاره بصراحة ويأبد من مواعله في نفسه ورأيه فيه، بدون زعل، في رياراتي القليلة له في هذا المحراب الذي كان أحياناً يسميه الخرابية، استمعت إليه وتمسك ببقائى معه، يطلعتنى على الجهاز الذى صممه بنفسه، وهو بمثابة كشف ذى ضوء قوى وصعدة مكبرة مركبتين ببعضهما فى البعض تركب على رأسه كسماعة الأذن، وفيما رأى أن أشبه بأدوات التعذيب فى القرون الوسطى، قال هذه هى الآن وسيلتى بعد أن أضاع الأطباء غير المكتربين معظم نور العين. إذ أرى بصعوبة بمعونة هذا الكشف وتلك الدسة، ولكن ما هى الفائدة؟ لقد وهن ذراعى أيضاً وكفى، وأصبحت أحمل أدوات النحت بصعوبة بالغة، كان شديد الخلق عظيم الغضب مما آلت إليه أحواله بعد كفاح طويل جداً، وكان المقر الذى يقيم فيه مفتوحاً طوال الوقت ولا يحميه إلا باب خشبي رمزى هش للغاية، وفى يوم أسود دلف إليه شقيشان التيسهما شيطان الجشع، وهما الطمع فى ثروة قد تكون مكنونة عند الفنان الذى تتداول سيرته وحواراته شائشات التلفزيون وسماعات الإذاعة والصحف المحلية والعربية، تصور أن المكان ثروة من المال وريما الذهب، فصلاً عن التماثيل القيمة التى سمعا عنها، وحين هم بالتحية زاهبا بالطلعتان الجبانة القتاتلة فأردياه قتيلاً كأبطال الملاحم الإغريقية غارقاً فى دمهاله. كان قد أصبح وحيداً بعد أن غرقت عنه رفيقة حياته منذ أسابيع قليلة، وكانت راعيته وونسه وكانت نموذجة الفصل فى شبابه كفنان. وبهذه النهاية الملمعية لحياة الفنان عبد البديع عبد الحى اختتمت حياة حافلة وطويلة صفحة من تاريخ الإبداع والكفاح والدعاية والتجاهل كأنها شريحة دالة على تاريخ مصر من خلال أحد أسنانها الذين عاشوا تبدل المشاعر والغضب والزهد فى الحياة واستهداف اللصوص والقتلة. »

العديد من الفنانين بتجميع الأشياء وإحاطة نفسه بها مع كتل من الجرانيت والبازلت هنا وهناك. فى الحجر الداخلية يقبع الفنان فى الركن بجذائبه المخطط بأقلام عريضة زرقاء كوكماً سالفه محنياً ظهره ثم تقع رأسه الفهكة وأهنة البصر موجهاً أذنه نحو القادم، ويمجد سماع صوته يتعرف عليه مباشرة، ذاكرة سمعية مدهشة، ويهم ناهضاً مستنداً على العكاز محبباً بابتسامة إنسانية رائعة

ومنطقة الصمطاط وهو عبارة عن أرض حكر أقام فيها الفنان مدة طويلة يواجه تهديد المحافظة من أن الأخير بالطرده أو بسلاد مبالغ ملفلة، المكان عبارة عن ممر طويل وحجرة داخلية مكسدة بالأشياء الحميمة التى جمعها الفنان لعشرات السنين، ونسخ حصية من تماثيله التى أودعت المتاحف والمجموعات الفنية الخاصة وقوالب صالحة وأخرى تالفة لنماذج يونانية مغطاة بأسمال، إذ كان عبد البديع عبد الحى شغوفاً مثل

وفى زيارة للمتحف الحبرى بالقنقلة يصرح سائحاً من التماثيل التى عملها الدكاترة موجهاً حديثه لأحد الضباط المسئولين: «أحسن حاجة فى هذا المتحف هى نظافة البلاط». ويستهن استنساخ الأثار فى المتاحف متصوراً أنها نوع من التزييف والتزوير، وكان يعضب لإغلاق قاعة عرض كقاعة باب اللوق ويحتج بعنف، وكان يطالب بأن يحضر إليه الوزير بنفسه باعتباره زميلاً قبل أن يكون وزيراً، ومن ثم كان كثيراً ما يهدد بتحطيم كل أعماله ليحولها إلى تراب خشية أن يستنسخوها لأغراض التجارة، وكان يهدد بالانحجار هائلاً: «خايف إيدى تتشل من الرقادة، أنا هنتحر، وهأحرق كل إلتى انت شايفه ده وأنا فوق منه». هكذا صرح فى حديث صحفى. ويقول: «لقد أدبت وأجيب كفنان منذ عام ١٩٢٤ وحتى الآن، ومع ذلك التقى فى الشارع بمن يحاول أن يمد يده لى بمسدس، أنا مش شحات الواحد لحيان والموضوع كبير ومش هأيتحل.. أنا مش عارف بيعملوا معايا كده ليه؟»

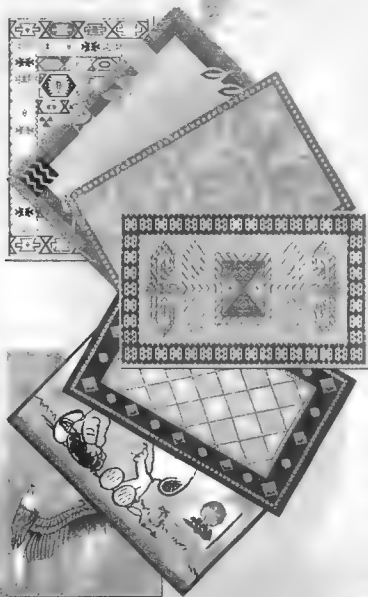
#### المشهد الختامي... الأختيال!

فى منزله ومحترفه الذى عاش فيه سنوات طويلاً من التماثل والنسج واستقبال الأحياء بجوار مطحن الدقيق فى خارطة أبو السعود بمصر القديمة وبمقبرة من مسجد صروبى المعاص



سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

ماك على الإنترنت [www.maccarpet.com](http://www.maccarpet.com)



متواجد في مراكز بيع بواقى



# فاد



وع

بات

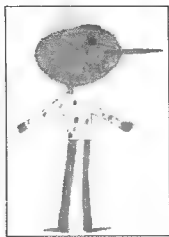
وكيت

حمام

طصال

فوي

التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر



## ماذا نعرف عن

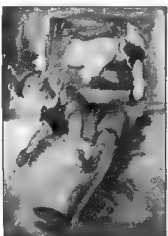
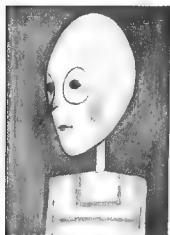


بينوكيو

الولد الطيب الشقي؟

أليسون لوري





له يدان ينزع باروكة جيبيتو وعندما يشرع من صناعة ساقيه يهرب.

منذ البداية نجد أن بينوكيو لكونلوي ليس فقط أكثر ذاتية من الولد اللطيف في الكارتون ولكنه أيضا أقل ساطعة بكثير. وهو ليس فقط ساذجاً ولكنه انفعالي وأمانى وعنيف. وبالتعمير اللاهوتي فإنه بدأ حياته من حالة الحيلة أمة من وجهة النظر النفسية فإنه يمثل الطفل اللا أخلاقي التالي دون رقابة على النفس.

ويدون القدرة على السيطرة على انفعالاته يستند بينوكيو السيطرة الخارجية فبينما يرفض في الشارع وخلفه جيبيتو يوقفه شرطي ويعيده إلى والده بالتبني وفوراً في مبادرة يرفضها كل آباء الأطفال الصغار يرتدي بينوكيو على الأرض ويعلم أنه لن يسير بعد ذلك. ويجتمع حشد من الناس حولهم ويدون في نوم جيبيتو على جنوح بينوكيو (كما يفعل بعض المتخصصين في نوم الأطفال في الوقت الحالي) وفي النهاية يقتعون الشرطي بوضع جيبيتو في الحبس. ويقول كولودي إن القانون دائماً يغيى وغالباً فاسد وعادة ما يعاقب الضحية وليس المجرم. (في وقت لاحق من القصة يذهب بينوكيو إلى المحكمة ليشكو أنه تعرض للسرقة ولكن القاضي وهو غوريلا يرسله إلى السجن بدلاً من المجرمين ولا يطلق سراحه إلا بعد أن يعترف زوراً بأنه مجرم)

يرجع بينوكيو إلى المنزل بعد الإفراج عنه فيقابل ما عرف الكثير من الفراء أنه ضمهرة أولاً العليا الخارجية في صورة صرصور الليل المتكلم. يربح صرصور الليل بينوكيو على حروبه ويحذره من مخاطر البطالة. إن لم يذهب إلى المدرسة فسيتحول إلى حمار عندما يكبر ولكن بينوكيو يرفض أن يستمع إليه ويقول إن العمل الوحيد المناسب له هو الأكل والشرب والنوم والاستمتاع والحياء كمتشدد من الصباغ حتى الليل. وعندما يعلق صرصور الليل بأن: كل من يتبع هذه المسلة لابد أن ينتهي به الأمر إما في ملجأ الفقراء أو في السجن، يفضض بينوكيو ويرمي به بطريقة خشيبة فيقتله. ولكنه يظهر ذاتية في القصة ألا كطبيب غامض يرتدي الأسود وأخيراً كخبز.

يظهر بينوكيو الخارجي في فيلم ديزنى ولكنه يتم تحويله إلى شخصية فكاهية ويعاد أسميته جيمنى



الفيلم يكون بينوكيو لعبة خشبية بدون حياة ولا توهب لها الحياة إلا عندما تحقق جنية لجيبيتو أمنيته في طعل. أما في الكتاب فيبينوكيو في منذ البداية. ومع أنه ليس إلا قطعة خشب للشار بدون اسم في ورشة النجار السيد انطوني إلا أنه يستطيع الكلام وعندما يضرب السيد انطوني قطعة الخشب بالفأس فإنها تصرخ: يا إلهك تؤولني، يرتعب النجار ويعلمها إلى صديقه جيبيتو الذي يريده صناعة دمية. وتستمر قطعة الخشب في التصرفات الشاذة فتفسر من جيبيتو وتصبر السيد انطوني وتتسبب في مشاجرة بين الصداقات القدامى. وعندما يصل جيبيتو إلى منزله يبدأ في تحت الدمية ولكن ما أن يفرغ من فم بينوكيو حتى يبدأ الأخير في الضحك من جيبيتو وإيران لسانه له وعندما تظهر

وكتبت على غرار روايات التشرد وربما بدافع من ضغوطات ذلك الوقت بعض فصولها أكثر إبداعاً وأندماجاً في مجمل العمل. بعض تلك المشاهد حذفت من النسخة الإنجليزية المختصرة. مثل تلك التي يقابل فيها بينوكيو أفعى ضخمة ويقع في فخ ثم يجره على الخدمة ككلب حراسة ويركب على ظهر حمامة ويظن البحار العملاق ذو الشعر الأخضر أنه سمكة.

ويحذف من فيلم ديزنى المزيد من القصة وغيرها جذرياً فيبينوكيو والدم بينوكيو بالتبني أنه صانع ألعاب ميسور وتمو المجنة التي يعيش فيها وكأنها سويسرا أو غيفاريا كما تمثل ورشته باللعب الموسيقية والمصاغات أما في القصة الأصلية فإنه نحات خشب إيطالي، جيبيتو شديد الفقر، عندما يبدأ

العديد من الناس لديهم اليوم وهم أنهم يعرفون من هو «بينوكيو»، إنهم يعتقدون أنه دمية خشبية أصبحت صمياً آدمياً وأن سمكة كبيرة ابتلعه وأن أنه تكبر حين يكذب (وكنيتجة لهذه الواقعة الأخيرة فقد صور السياسيون في الكاريكاتير بأنوف طويلة عندما يكذبون علناً على مدى المائة سنة الماضية - خاصة ريتشارد نيكسون الذي كانت أنفه في الأصل تشبه أنف بينوكيو).

إن هؤلاء الناس على حق ولكن بشكل محدود فهم يعرفون بينوكيو من نسخة ديزنى المبسطة والانفعالية، أو النسخة المختصرة التي اتفق على أنها أكثر ملائمة للأطفال. إن الرواية الأصلية التي كتبها كارلو كولودي تحيا الآن فقط في نسخ أكاديمية أطول وأكثر تعقيداً وإشارة للاهتمام ولكنها أيضاً أكثر فتامة قال عنها الناقد جوكو كامبون إنها واحدة من الأعمال الأكثر تأثيراً في الأدب الإيطالي (الأخرا كما يرى هما الكوميديا الإلهية لداونتي والمحطوب مانزوني) فبالنسبة له وللآخرين الذين يعرفون النسخة الأصلية، معامرات بينوكيو ليست خرافة مسلية وخفيفة بل أمثلة حول الفن والحياة. أنها قصة حول النصح وبشكل أساسي هي قصة حول أن يكبر المرء فقيراً وإيطاليا.

ولد كارلو كولودي واسمه الحقيقي كارلو لورينزيني في فلورنسا عام ١٨٢٦ وهو الابن الأول لعائلة من خدم المنازل. عندما تشوق في المدرسة المحلية دفع صاحب المنزل الذي يعمل لديه والداه تكاليف إتمام دراسته على أمل أن يصبح قسيساً. ولكن هذا لم يحدث. على العكس فبعد تخرج لورينزيني ذهب إلى المعصل مع بائع كتب وأصبح في النهاية صحافياً ليبراليا يتشكك في التعليم والكنيسة. ففي بينوكيو يخشى كل الولد المدرسة والذين يكاد لا يذكر

نشرت بينوكيو أصلاً على حلقات في Il giornale per i bambini وظهرت على ثمانية أجزاء بين يوليو وأكتوبر عام ١٨٨١ ثم على أحد عشر جزءاً بين شبراير ١٨٨٢ وشبناير ١٨٨٣

عن مجلة.

New York Review of Books

ترجمة نرمين مزار

## إن بينوكيو بطاقته وحقته وأزدانه للمؤسسات وطيبته الكامنة هوابن العم الإيطالى لتوم سوير. وهو كما الرجال مع توم ولد شقى يتحول فى النهاية إلى مواطن صالح



تصيه هذه الأحداث أمثلة وتحذيراً ويؤكد كلودى على ذلك عندما يعلق أن. «الأولاد السذج يتحولون إلى مجير عند اللعب كل الوقت وعدم الدراسة، أما العزى (وهو حقيقى اليوم كما كان وقت كلودى) الأولاد الفقراء الذين يشتركون المدرسة ويتشككون يتحولون إلى عمال مستقلين وقد يموتون.

إن تحولات بينوكيو مخيفة ولكنهما مثيرة للاهتمام فخلال الكتاب يتحول من ملكة النيات إلى ملكة الحيوان حيث تصير جدياً فى كل فلة. إن اسمه الذى يعنى بلغة توسكانا القديمة «الصنوبر، يربطه بالنبات. إنه يبدأ حياته كقطعة خشب خالية من الملامح (ربما خشبة صنوبر) ويتحول إلى دمية خشبية وفى النهاية يكتبص الصفات الإنسانية. إنه نفس التحول الذى نراه فى الأطفال الذين يبدون كمادة هامة بشكل ما ثم يصيرون كتلاً جاهلة وإن كانت محبوبة من الحافة والطمع ذات تركيز قصير وريفة فى استكشاف العالم دون أخذ المخاطر فى الاعتبار. فيما بعد يتقارمون الطغوى ويعيشون على الحاضر يباحثون دوماً على الأكل والمتعة كما الحيوانات.

وعيداً من هذه التوازيات المحتملة، لماذا اختار كلودى أن يكون مظهره دمية وليس مجرد ولد شقى؟ ربما لأنه فى المسرح توجد مزايا لا يسميها الناسون «الأشياء المؤدية، -الدمى، العرائس، المرونت، الإنسان الآلى، خيال الظل، والديكورات المتحركة - لا توجد لدى الممثلين من البشر. إن الممثلين لا يكونون مطابقين للأدوار التى يلعبونها ومهم كانت مهاراتهم فى التمثيل فإنها دائماً واعون بالخصم الحقيقى القابع تحت التخصى، فى المقابل فإن الدمى يمكنها أن تبدو تجسيدا خالصاً لغرض أو نوع من البشر (لهذا السبب غير منسق المظاهر المسرحى جورج كريك عن أنه فى أن يتم استبدال جميع الممثلين مستقبلاً بدمى).

يرى بعض القراء أحياناً، خاصة من يفكرون أولاً فى نسخة ديزنى. إن بينوكيو قصة خيالية كلاسيكية. إن كانت كذلك فهي قصة من نوع خاص فى أغلب القصص الخرافية التى يكون فيها البطل رجلاً، يترك البطل الشاب عائلته الأصلية ويقوم بمغامرات من ينتهي به الأمر بالزواج من أميرة وتكون عائلة جديدة. على

الشعبية الأوروبية التقليدية التى ينشر أن يتصلح فيها حال الشرير ولا تكون هناك حاجة لسلامته. فى جزء من توم سوير يهرب توم من المنزل إلى جزيرة جاكسون فى نهر الميسيسى حيث يستمتع مع أصدقائه دون تدخل من الكبار ومع أنهم يخيفون لأيام معدودة فقط إن الحنين يظلمهم ويصودون إلى سنشبال حيث يتم استبدالهم بالأبطال، ويبدو أن الحرس المستنفذ هنا هو أنه بالإمكان الهروب من المدرسة وإصابة أقرانك بالخوف والقلق ثم تملت من العقاب.



بينوكيو أيضاً يسافر مع أولاد آخرين إلى نوع ما من جنة الأطفال تسمى فن لاند (أرض المرح) حيث لا توجد مدرسة «دوسنى الأيام فى لعب وأوقات سعيدة من الصباح حتى الليل، ولكن هذه الإجازة تستمر مدة أطول كثيراً من إجازة توم. إنه يعيش فى فن لاند لخمسة أشهر بدون أن يمل منها أو يفقد جيتو ولكنه يتحول إلى حمار هو وصديقه القريب لأم بويك كما تفتيا مبرصون الليل فيبعدهم سائقو المصريات الأضرار فى الأسواق والملاهى مع زلاتهم كما كانوا يريدين حين استدرجهم إلى فن لاند. للكسب من تحولهم الحتمى. يذهب بينوكيو إلى السيرك حيث يجبر على القيام بحيل ويضرب ويجوع وعندما يصاب بالرجيع يباع إلى تاجر الجلود الذى يحاول إغراقه.



الإيطالى لتوم سوير. وهو كما هو الحال مع توم ولد شقى يتحول فى النهاية إلى مواطن صالح. ولكن عالم بينوكيو أكثر قتامة بكثير من عالم توم فإن العمة بولى ليست ضحية باى حال من الأحوال ولكنها تملك بيتاً بحديقة أما جيتو والد بينوكيو ينتهى إليه فقير جداً ويميش فى غرفة مظلمة تحت السلم الأمامى ليبنى ودائم القلق على مصدر وجبته التالية.

عالم كولودى أكثر خطورة من بلدة هنجبال فى ميزورى (التي تصور فيها أحداث توم سوير - المترجم) إنه ملء بالأشخاص الضاعين الخادمين الذين يريرون استغلالك وسرقتك وحتى قتلك.

عندما يهرب توم سوير وهاك فى المنزل فإنهم يقابلون شخصيات جيدة وسيئة. مع أن هناك طائراً وسكة يساعون بينوكيو فإنه لا يقابل إلا أشخاصاً عدوانيين وانسحبى له فإن ملكة الحيوانات خطيرة. إن أهم أعدائه حيوانات، ووجد مقابل لاثنتين منها فى أعمال توبن هؤلاء هم الحلب والقط. نصابان مديان وهما ديثان وشديدا الضيق بالملك والحق فى هاكلبرى (1881) (ربما إن بينوكيو لم تترجم حتى عام 1892 فبعد أن هذه ليست إلا حالات تكرار شخصيات مأوفة منذ خرافات إنيوب وتكرن ظهورها فى (الآب) يلقي النصابان نهاية سيفة فى كلا الكتائين ولكن فى حين يشفق هاك عليهما فإن بينوكيو يمر بهما فى صمته. فى هذا المجال تقترب القصة من نموذج الحادثة



كريك (هالاسم إشارة أمريكية واضحة السيد المسيح، ويرتدى جميعى كريكيت قبعة معشر الموديل ويقتنى ويرقص يكون عتابة مسلياً فى أغلب الوقت ولكن بلا جدوى ويكاد بينوكيو أن لا يستمع إليه ولكنه لا يؤذيه.

ترى بينوكيو عند ديزنى طفل فى حوالى الخامسة أو السادسة ويبقى بريئاً أو بسيطاً طوال القصة كالطفل المثالى فى الأدب الرومانسى.

إنه خال من الوقاحة أو الخبث وما يولعه فى مشاكل هو المعضول والمثل. أما نطل كولودى فهو أكبر بعدة سنوات يمتلئ عدوانية وغيرة التمرد. التى إن يتم تركيزها حتى نهاية القصة. وهنا يتذكر شخصية كلاسيكية فى أدب

الأطفال الأمريكى فى نهاية القرن التاسع عشر وهوالولد الطيب الشقى. كان أول ظهور مهم لهذه الشخصية فى قصة ولد شقى (1898) لتوماس بايلى اليريش. إن بطل اليريش الذى رسم على غرار مولوتو هوشقى فقط بالقرنة بزمالانه فى المدرسة المتزمتين الذين يتفقدون لروح المغامرة والرح. فهو وأصدقائه يهربون من المدرسة ويقومون بمغامرات وكتمهم لا يذهبون بعيداً. اكتسب الكتاب كبيرة وفقة بعدة مرات بعد ذلك أشهرها، توم سوير، لمارك توين.



إن كان كولودى قد قرأ قصة توم سوير أو لم يقرأها (نشرت لأول مرة عام 1897) فإن هناك تشابهاً بين القصتين، فالبطل فى الكتائين يخوض مغامرات يتعلم من أخطائه، ويتصلح مع المجتمع فى نهاية الكتاب. كما هو الحال مع بينوكيو ولكن على عكس ولد اليريش الشقى فإن توم سوير منحرف حقاً. إنه كذاب ويسرق ويدخن ويهرب من المدرسة يسبب العوضى فى الكنيسة يهرب من أولياء أمره ويرتبط بشركة مرميين. هو يحب الحرية والمتعة ويتوق إلى المغامرة. إنه انفعالى، طائش ومشاعب وفى نفس الوقت فإن توم مثل بينوكيو طيب القلب فى الأساس يتعلم من أخطائه وفى نهاية الكتاب تسامحه ويتصلح عائلته والجمع.

إن بينوكيو بمطافته وبقا حقه وأزدانه للمؤسسات وطيبته الكامنة هوابن العم العبد السابع والسنتون. أغسطس 2004 م



(حتى ولو بشكل مؤلّت) حقاً على  
اختطائه فإن اصداقائه وإقاربه  
سيسامحونه بشكل متكرر كما  
هو الحال مع الخاطئين في الكنيسة  
الكاثوليكية

إن بينوكيو قصة إيطالية في العديد،  
من التواحي ملينة بالناظر من شمال  
إيطاليا وبالمأكولات الإيطالية مثل  
سمك البرونولي في صلصة الطماطم  
والكرشة بالجين البراميزان اللذين  
ياكلهما التعلب والقسط على حساب  
البطل. وهو أيضاً يجسد الاعتقاد  
الإيطالي بأن للعائلة أهمية مركزية  
سيمكنك الاستمتاع بوقتك مع  
الأصدقاء ولكن لا تنق إلا بالأقارب. وإن  
الأباء الصالحين سيضجون بأنفسهم  
من أجل أولادهم وقد تردد كما يفعل  
جيتو حين لا يجد طعاماً بالمنزل سوى  
ثلاث لصات من الكمشري فيسمح  
لبينوكيو بالتصاميم بطعم وأتانية  
(ثم إزالة هذا الجزء وأجزاء أخرى من  
فيلم ديزني). كما سيضحي الأولاد  
الطيوبون من أجل آبائهم كما يفعل  
بينوكيو عندما يهرب هو ووالده من بطن  
الحوت كما في قصة بونس ويحصل  
جيتو على طهره حتى يخرج من  
البحر.

ويرى بعض النقاد موازيات أخرى  
بين بينوكيو والأساطير المسيحية  
فيعلقون على أن البطل هو ابن التبتني  
لنجاردعي جيوفاني (النطق الإيطالي  
لاس ميوست) وأنه يموت ويحيى ثلاث  
مرات (يموت في إحداها معلقاً على  
شجرة). كما ألح البعض أن الجنية  
الزرقاء هي نسخة من أم العذراء التي  
ترتدي الأزرق عادة في الفن - مع أن  
ملابس العذراء مريم عادة زرقاء مساوية  
بينما يصف كودوي شعر الجنية بأنه  
قرمزي.

بالنسبة لبعض القراء فإن بينوكيو  
ضحية بينما يهربه آخرون على أنه بطل  
ثائر من الطبقة العاملة لتحدي  
صافرائه القواعد الاجتماعية. ويرى  
علماء النفس هرويه من الحوت كزوج من  
إعادة الميلاد ويلمحون أن أنسه الذي  
يكبر يقول لنا الكتاب أمر كروني. وكما  
هو الحال مع العديد من الأعمال  
العظيمة في أدب الأطفال فإن قصة  
بينوكيو تخضع لتفسيرات عديدة  
ومتعددة ويستمر في ذلك  
مستقبلاً. ■

يكرر منديها، عظيم أن تكون مشهوراً،  
(طبعاً قد أصبح بينوكيو مشهوراً دوماً  
ما على يد ديزني) كما أنه أصبح ميسراً  
في الفيلم. في النسخة الأصلية ينتج  
بالكاد وعن طريق العمل الجاد في  
مساندة أباه بالتبني - مع أن الجنية  
الزرقاء تحول غرقته الرقة إلى كوخ مربع  
وتصنعه ٤٠ عملة ذهبية. ولكن الأمر  
الأهم هو أن بينوكيو يصمم أن  
ragazzino per bene وهي عبارة تحمل  
معنى متوجهاً بالإيطالية (ولداً صالحاً،  
ولداً حقيقياً) كما تشير الناقدة  
الإيطالية أن لوسن لوكس

هل سيستمر بينوكيو في أن يكون  
ولداً صالحاً؟ وإذا حدث هذا فهل  
سيستمر القراء في الاهتمام به؟ إن  
الكتاب يتكون من ٣٦ فصلاً ولا يتصرف  
بينوكيو بشكل جيد (إلا في الفصلين  
الأخيرين إن الاحتراف والثورة أكثر إثارة  
لاهتمام القارئ وممتعة في القراءة من  
التمييز الأخلاقي وكما يقول لوكس  
كانس فإن بينوكيو «محبوب أكثر  
لجنوحه، وهو في ذلك يذكركم بأبطال  
آخرين من عينة الولد الطيب الشقي  
في الخيال وفي الحياة الحقيقية. وربما  
يكون هذا النموذج محبوباً بشكل  
خاص في إيطاليا، حيث ينظر  
للرجل البالغ في القلب الدافئ والمحِب  
للمغامرة ولقليل الصبر على التواخيل  
الاجتماعية والقيود على أنه ساذج  
ومغر. إذا بدأ شخص مثل هذا أسفاً

العاملة الإيطالية في آخر القرن التاسع  
عشر وليس في عالم الخيال. إنه الفقر  
الذي لا يجعله شيئاً محتلاً إلا الحب  
والضحكة يبدأ بينوكيو حياته كولد  
صغير متزهد لا يراعي مشاعر الآخرين  
وذاقي يعارض الكبار ويتجاهل القوانين  
فبدلاً من أن يذهب إلى المدرسة مثلاً  
فإنه يبيع الكتاب المدرسي الذي اشتراه  
له جيتوليشترى بثمنه قندرية مسرح  
المرارن. وهناك يحتجزه محرك  
عرلس مخيف ويكاد أن يحرق في نيران  
الطبخ. إن خلاص بينوكيو الأخير يكمن  
في استمدها للعمل والتضحية من أجل  
الآخرين ففي المسرح يهرب من الموت  
عندما يعرض بشكل غفوي استبداله  
بدمية أخرى مشنومة فيمس بذلك قلب  
محرك الدمى لبرهة. وتحوله الأخير  
نتيجة لقبول العمل لساعات طويلة في  
مهنة مرهقة لتسبب المال من أجل والده  
بالتبني جيتو المريخى ووالدته  
الخرافية الجنية الزرقاء

عبد  
الله

في فيلم ديزني توقع قلة الخبرة  
والنصائح السيئة بينوكيو في الشكوك  
وليس الأمانة وعدم الطاعة فإن اثنين  
من الأشرار هما التعلب والقسط يقودانه  
إلى مصر العرائن. بعد أن يمهده في  
لمسة هوليويودية. بالمشورة والمال في أفنية

التبني فإن قصة بينوكيو هي مما  
يسمى قصة طفولة مثل جاك وشجرة  
الفاصوليا، أو هانز وجريركل، والبطل  
هنا لا يبدأ عائلة جديدة في المقابل إنه  
يعود إلى منزله وإلى والد وأب والده  
محبين. نفس هذا النمط نجده في ثاني  
أشهر قصص الأطفال الإيطالية  
الكلاسيكية، غزو الدببة الشهير لصفيلة،  
لديوجوزاتي حيث تقوم العلاقة المركزية  
بين أب وابنه أيضاً ويكون أحد أهم أسباب  
العزو الذي يقوم به الملك لثياندرو هو  
البحث عن ابنه تومي (مما يؤثر الانتباه  
عندما نجد تومي يعمل كيهلوان عند  
بعض الأشخاص - أي أنه نوع من  
الدمي).

في العديد من القصص الشعبية  
يساعد البطل أو البطلة أحد المخلوقات  
الخارقة مثل قزم أو حيوان متكلم أو  
امراة حكيمة أو عرابية، في بينوكيو تلعب  
الجنية الزرقاء، والتي تتميز بلون  
شعرها، هذا الدور. أن الشعر الأزرق  
أولاً من الصفات التقطيعية  
للمخلوقات الخارقة التي تكون خيرة  
وأحياناً أحياناً مثل الرجل الأخضر  
أو الأطفال الأخضر في الفيلكسور  
البريطاني وفي أحيان أخرى تكون  
شريرة مثل دلي الجنية الزرقاء. تظهر  
الجنية الزرقاء في بينوكيو على أشكال  
كثيرة. فهي أولاً فتاة صغيرة بصفاء  
الوجه تملأ أنها ميتة، ولكنها سرعان  
ما تثبت أنها قادرة على إنقاذ بينوكيو  
من موت وشيك، وتستدعي ثلاثة أطباء  
لحاجته، وعندما يعترفون لدعي أنها  
أخته الكبرى، في جزء لاحق من القصة  
على هيئة امرأة عاملة صغيرة السن  
تأخذ بينوكيو إلى منزلها تقطعه  
وتعلم أن ستورن، بعد ذلك نراها  
على هيئة جنية بشعر قرمزي وأخيراً  
تظهر في حلم على هيئة جنية جميلة  
تحوله إلى طفل بشري.

ولكن يبدو أن كودوي ينشئ فكرة أن  
بينوكيو قد تكون القصوصة ومماثلة منذ  
بداية الكتاب

«كان يا ما كان هناك... ملك سيقول  
قراء الصغار فوراً... لا يا أطفال إنكم  
مخطئون... كان يا ما كان قطعة خشب  
لم تكن قطعة خشب ميتة ولكنها قطعة  
خشب عادية أخذت من كومة خشب في  
الشناء ووضعت في المظلة...  
بمعنى آخر فإن لهذه القصة أساساً  
في حقائق الحياة القياسية للطبيعة





# SUNFLOWER BOOKS

**Dar el Shorouk**

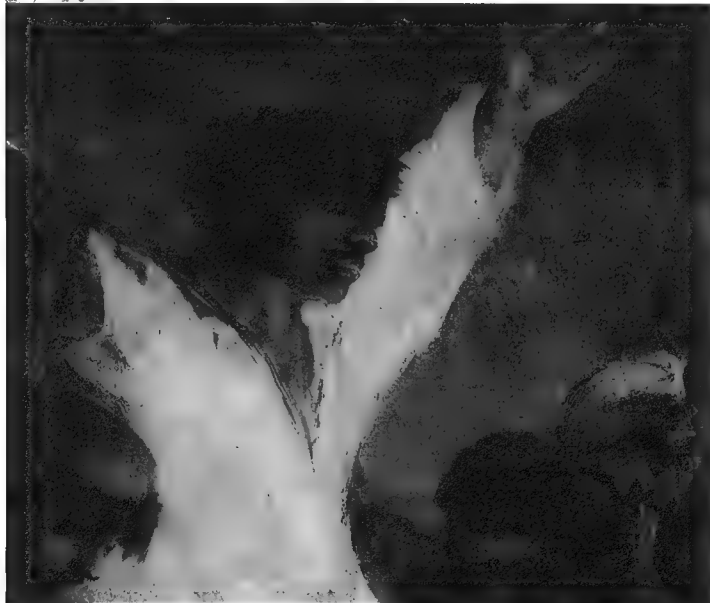
"عياد الشمس" سلسلة جديدة يسعد دار الشروق أن تقدمها إلى قارئها الصغير. كتب باللغة الإنجليزية. نحكي من تراث الأدب الإنساني. تزهو بأشهر الكتاب والرسمين. سلسلة طبعت لكي تفنني.





لانا (تصميم) ^

الثالث من مايو ١٨٠٨ (تصميم)





## أراء حسن طلب تظل فى مأمن

من النقد طالما اقتصر على هذه الطرق  
المحبدة واكتفت بإيراد الحجج المسفة لنظرية  
المحجرة اليونانية. غير أنه بطبيعة الحال لا يكتفى  
بهذه الحجج السلبية، بل يقدم نظرية  
إيجابية مضادة، وهى أن الفكر الفلسفى  
نشأ فى مصر قبل أن ينشأ فى اليونان



راسمهم بيرث يتكرو أن تكون الفلسفة  
أصول شرقية أو مصرية، لأنهم يعتقدون  
أن الفلسفة كما نشأت فى اليونان كانت  
ذات طابع علمى، وعقلانى، ونظرى  
خاص، فى حين كانت المعارف فى  
الحضارات الشرقية صفة عامة وهى  
مصر بصفة خاصة مشوبة بالأساطير  
والمعتقدات الدينية والمنافع العملية.  
ونلاحظ كيف يركز بيرث على الطابع  
العلمى، للفلسفة الأيونية وعلى أنها لم  
تكن مجرد تخمينات، بل كانت شأنًا خاصًا  
العلوم الوضعية العلمية تقدم  
المشاهدة والتجربة. ولقد كالم اليونانيون  
فى رأيهم هم منشق العلم الوضعية  
الأصل. وكانت الفلسفة الأيونية  
علمانية، فيما يدعى.

وهناك نقطة مهمة أخرى ينبغي  
إبرازها لأنها ليست واضحة تمامًا فيما  
يقوله حسن طلب، وهى أن أصحاب هذه  
النظرية يعتقدون أن الفلسفة اليونانية  
لم تقطع الصلة بالتراث الأسطورى  
والدينى فى بلاد الشرق ومصر فقط، بل

■ الأمر الشائع بين مؤرخى الفلسفة  
أنها نشأت فى اليونان فى القرن السادس  
قبل الميلاد، وفى ذلك التاريخ ظهر فى  
مدينة ملطية بأيونيا على شاطئ بحر  
إيجة من آسيا الصغرى (تركيا حاليا)  
ثلاثة فلاسفة هم طاليس وأناكسيمن  
وألكسمندر، وتكونت منهم المدرسة الأولى  
من الفلاسفة قبل سقراط. وكان اهتمام  
الفلاسفة الأول منصباً على الطبيعة، أو  
على مادتها الأساسية (أو عنصرها الأول)  
الذى (أو الذى) تكونت منها (أو منه) سائر  
العناصر والأشياء. ولذلك وصف فلاسفة  
أيونيا أنفسهم بـ"طبيعيين".

وكانت للفلاسفة قبل سقراط  
مؤلفات مكتوبة لم يبق منها إلا شذرات  
ترد على سبيل الاستشهاد فى كتب  
المؤرخين نادرة من افلاطون وأرسطو  
(القرن الرابع ق.م). فهوى عن طاليس  
أنه قال إن الماء هو أصل الأشياء جميعاً؛  
وإن الأشياء مألأ بالألهة. وإن الخفطيس  
حو إلى نه، وفيرى عن انكسمن  
أنه قال إن أصل العالم هواء ؟

# النهضة

فقط معها عن التراث اليونانى المائل  
أيضاً. فقد كان لدى اليونان تراث حاصل  
بالأساطير والمعتقدات الدينية كما ورد  
فى هوميروس وهزود وهيرميسا فى  
الشعر والمفكرين من المفكرين الذين  
عنوا بأصل العالم وأنساب الآلهة، ولكن  
الفلسفة اليونانية - كما يدعى أصحاب  
النظرية - ذات بنسبها من قبل ذلك  
وتحررت منه تماماً. من هنا كان ميريت  
يقول: «وهى كذلك أى هى آراء  
الأيونيين - لم يكن هناك أثر للأصل  
اللاهوتى. فقد رأينا أنه كان هناك انقطاع  
كامل عن الدين الإيجى المبكر، وأن تعدد  
الآلهة الأيونية لم يكن له أى  
سيطرة محكمة على العقلية الأيونية.  
أصول العلم الأيونى على الأفكار  
الأسطورية من أى نوع، بل إنه يدعى  
موضوع آخر أن أيونيا كانت بلداً بلا  
خليفة من التقاليد الدينية، وفى هذا  
ويستأخضنا لأن أن نهم فكرة  
المحجرة كما تستخدم فى هذا السياق. فقد  
كانت نشأة الفلسفة اليونانية وفقاً  
لنظرية المذكورة خرقاً لجرى الأمور  
المألوفة ولم يكن لها أصل فى التاريخ؛  
فكانها حدث من خارج التاريخ. وفى هذا  
الصد يدعى مؤرخ فرنسى فى معرض  
التعبير عن هذه النظرية، «هذه نشأة  
الفلسفة اليونانية تقميراً على الإجابة  
الفكرى، أو تقميراً عقلياً، بل كانت لإلهاما  
حاسماً ونهائياً هو: اكتشاف العقل.  
ويرتب على ذلك أن من العبث البحث فى  
الماضى عن أصول التفكير العقلانى.

بل نشأت فى مصر الفرعونية. وهو يدبر  
فى كتابه نقداً مطولاً لما يسمى نظرية  
المحجرة اليونانية. وهى نظرية يؤمن  
أصحابها - فيما يقول - بأن الحضارة  
اليونانية والفلسفة منها خاصة نتاج  
خاص للعبرية اليونانية، وإنجاز عاثر  
خالص للعبرية اليونانية، الذى الأمر إلى  
غير قابل للرد إلى أصول أخرى سابقة  
عليه، خاصة الأصول الشرقية، والمصرية  
منها على نحو أخص.  
وللنظرية أمصار كثيرون، ولكن المؤلف  
يركز نقده على بيرث فى كتابه عن  
دواكير الفلسفة اليونانية. ومن المهم  
البدية أن نشين أمرًا لم يوضحه حسن  
طلب ولا بيرث، وهو منشأ النظرية وسر  
تسميتها. وذلك أن صاحب الفكرة الأولى  
على النظرية وأول من أطلق عليها ذلك  
الاسم الذى اشتهرت به هو الفرنسى  
الشهير إريست رينان فى «صلاته، ذاكرة  
الصيت على الأكيويول»، ... فهى  
المحجرة اليونانية قد رأت لتقف أمامى  
إلى جانب المحجرة اليهودية، وهى شيء  
لم يوجد إلا مرة واحدة، ولم ير من قبل  
قف، ولا يرى بعد ذلك أبداً، ولكن آثاره  
ستبقى إلى الأبد، أو تنقل إنها نوع من  
الجمال الأبدى الذى لا تعلق به شائبة  
محلية أو وطنية.

ومعنى ذلك أن فكرة المحجرة اليونانية  
نشأت فى أحضان الوضعية الفرنسية كما  
عبر عنها رينان، وهو ما يساعد على  
فهم ما انحطت عليه النظرية من مثالة  
فى متاصرة العلم (الفرعة العلمية)  
وتجديس لليونان (مع تداعياته  
العنصرية). فأصحاب النظرية وعلى

البداية وضعت الفلسفة اليونانية أسس  
المذهب الرعيسى من واحدة (تؤمن  
بالتعبير دون ثبات أو بالثبات دون حركة  
أو تخيرى وتعددية وذرية وعقلانية  
وسفسطائية متشككة نسبية ومثالية إلى  
آخر القائمة. حتى إذا انتهى الأمر إلى  
أرسطو بلعت الفلسفة اليونانية أوجها؛  
فقد جمع «العلم الأول» كل الروافد  
السابقة وألف من طريق تحليلها ونقدتها  
نسقا شاملا نظم فيه كل المعارف وأسس  
منها كل العلوم فيما عدا الرياضيات  
(المنطق واليتافيزيقا والطبيعة والحياة  
وعلم النفس والأخلاق والسياسة ونقد  
الخطابة والشعر). ومن كانت الفلسفة  
بوصفها أم العلوم.

ولقد أثارت نشأة الفلسفة الجدل  
منذ القدم، فبدأ من افلاطون وأرسطو  
على الأقل مفاهيم اليونانيون يرمكون  
ضخامة المظاهر الجديدة وأهميتها  
ويحرصون على اتسائها إليهم؛ وظهور  
القول بأنها كانت يونانية خالصة. وفى  
العصر النهضة ظهر القول بأنها ترجع  
إلى أصول شرقية. وما زال الجدل  
مستمرا حتى يومنا هذا. فما هى  
الحضارة التى يحق لها ادعاء ذلك  
الشرف العظيم؟

## نظرية المحجرة اليونانية

يرى الدكتور حسن طلب - الشاعر  
المرموق وأستاذ الفلسفة - فى كتابه أصل  
الفلسفة أن الفلسفة لم تنشأ فى اليونان،

أما أقوال ثالث الأيونيين انكسمندر  
فهى تسترخى الانتباه وتثير الجدل. فإفادة  
الأساسية التى تكونت منها الأشياء ليست  
ماء ولا هواء ولا أى من العناصر، بل هى  
مغايرة لكل شيء وليست لها طبيعة  
معروفة، لذلك سمعنا، أو ليهيرون، أن  
اللاحند أو اللامحدود، ومنها بأنها لا  
تسمد ولا تموت، ورأى أنها متحركة ونامية  
منذاتها. والأغرب من ذلك تلك العملية  
التي تنشأ بها الأشياء وتسمى، فيفضل  
الطاقة التي تعتمد فى اللامحدود، ومن  
تكونت العناصر من طريق الانفصال، ومن  
العناصر تكونت الأشياء المألوفة. ولكن  
هذه الأشياء تملك هتفتى فيما نتجت عنه.  
ولكن أن نشأت أى شيء تتدفق على نوع  
من العدوان على شيء آخر، ومن ثم يلقى  
العننى عقابه بأى يقضى فيما نشأ عنه.  
يقول انكسمندر فى الشدة الوحيدة  
المتتية من كتاباته: «الأشياء تلتقى فى  
ذلك الأشياء التى تولدت عنها، وذلك  
طبقاً لما قضى به؛ فهى تعوض أحدها  
الأخر وتبقي جزءاً ما ارتكبت من ظلم  
طبقاً لتزيت الزمان.

وكانت آراء هؤلاء الفلاسفة الأولى  
إيداناً بانطلاق موجة فكرية عارمة، وفى  
غضون قرنين من الزمان بعد ذلك

أصل الفلسفة. - وهى نشأة الفلسفة فى  
مصر القديمة، حولها نشأة نظرية المحجرة  
اليونانية  
حسن طلب  
القاهرة عين للدراسات والبحوث  
الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢

ارتكبت من ظلم لا يمكن أن تكون علمية ولا بد أنها مشوبة بالأساطير والعقائد الدينية. وسوف نفصل القول في هذه الفكرة فيما يلي. ولكن من الغريب أن مؤلف أصل الفلسفة يتجاهل شامسا موضوع البحث الأساسي، وهو أصول الفلسفة اليونانية كما ظهرت في أثينا في القرن السادس قبل الميلاد، وكما عبر عنها الفلاسفة اليونانيون الأول هي نصوصهم المثيقية. كيف كانت علاقة أولئك الفلاسفة بالتراث الديني والأسطوري السابق؟ هل من الصحيح أن أراهم منقطعة الصلة بهذا التراث أم كانت بمعنى ما استمرارا؟ هل كانت تلك الآراء «علمية»، وبأي معنى؟ وحقيقة الأمر أن هذه الآراء ذات طابع إشكالي واضح. فهم يهتفون بوصفهم فلاسفة «طبيعيين» أو «ماديين» أو «علماء» أو آباء للعلم، ولكن من الواضح أنهم كانوا يستندون إلى تراث من الأساطير والمعتقدات الدينية. ونحن إذن نواجه نقطة مفصلية في تاريخ الفكر. فنعلم التحول

اليونان. وهو يرى أن هذا الانتشار كانت له محابى. فقد انتقل التأثير المصري عن طريق كريت، وأسيا الصغرى، والعبرانيين، ووقع على اليونان مباشرة. وبالإضافة إلى هذه الآراء الأنثروبولوجية والتاريخية يقدم المؤلف دراساتين إحداهما عن ارتباط الفلسفة بالأساطير والمعتقدات الدينية، والأخرى تقارن بين الفكر المصري والفكر اليوناني في مجال القيم الدينية والأخلاقية والجمالية، وذلك لتثبت أن الأصول المصرية كان لها ما يشبهها ويتفرع عنها في اليونان. وسوف أرجئ مناقشة هذه الحجج إلى موضع آخر من المقالة لأتني لاحظ منذ الآن أن المؤلف في كل حجاجه قد أغفل إيراد الحجة الحاسمة التي تقضي على أسطورة المحجرة اليونانية قضاء مبرما، وهي أن نصوص الفلاسفة الأيونيين التي تستند إليها تكذنها. وذلك أن أقوال طاليس عن العالم المائي واللاهية وأقوال انكسمندر عن العدالة التي تعاقب الكائنات الطبيعية على ما

بمجموعة من الاعتراضات المعقولة والمقبولة. فهو يغترش عن حق أن الفلسفة لا يمكن أن تكون قد نشأت في فراغ. وهو يرى صراحة وعن وجه حق أن الفلسفة من حيث هي تفكير نظري لا بد كانت متصلة بما سبقتها من أساطير وأفكار دينية واهتمامات عملية، وأنها كانت استمرارا لذلك كله. وهو يرفض ما تنطوي عليه النظرية من أفكار عنصرية.

### ساحة المعركة الحقيقية

وأراء حسن طلب تظل في مأمن من النقد طالما اقتصرنا على هذه الطرق المعبدة واكتفينا بإيراد الحجج المسفهة لنظرية المحجرة اليونانية. غير أنه بطبيعة الحال لا يكتفى بهذه الحجج السلبية، بل يقدم نظرية إيجابية مضادة، وهي أن الفكر الفلسفي نشأ في مصر قبل أن ينشأ في اليونان، وأنه انتشر - كما انتشر غيره من مظاهر الحضارة - إلى

فالمعرك الحقيقي لا يمكن أن يكون له أصل إلا ذاته. هو خارج عن التاريخ... ولما كانت الفلسفة مسافرا دون متاع، فمن المفترض أنها تأتي إلى العالم دون ماضٍ. ودون والدين. وبدون أسرة. إنها بداية مطلقة. أما الشواهد على ما في النظرية من عنصرية وإيمان بالمركزية الأوروبية فهي متعددة. ومن الواضح أن بيرت لم ينج من هذه التركة اليرثانية، فهو يعبر عنها دون التماس. وعن ذلك أنه يبدل قصاصه لكى يثبت أن كل المؤشرات الأجنبية الإيجابية التي ساعدت المسيحية اليونانية على أن تتطور بحرية جاءت من الشمال (لا من الشرق أو الجنوب)، وهي التأثيرات التي حدثت من تسرب الخرافة إليهم كما حدث في مصر وبابل. ونحن إذن نواجه نظرية متطرفة. فهي تدعى أنها ذات طابع علمي في حين أنها تقترش أن الفلسفة نشأت في فراغ ودون أسباب أو مقدمات، ولأنها تؤمى بتصرف أحد الأجناس على الأجناس الأخرى. وحسن طلب لا يجد صعوبة في دحضها

## فروع يونانية!

21





## الفلسفة نشأت من اليونان

ليس من صنعها ولا تستطيع أن تفهم في وجهه.

ويرى كورنمورد أن تلك المنية كانت راسخة متحمكة في معتقدات اليونان عن آلهة الأولمبيين، وهو يستخلص من

ثم أن أراء انكسندر عن طبيعة العالم ونظامه لم تكن إلا صياغة جديدة بعبارة عقلانية لوجهة نظر للعالم

ولا يكفى كورنمورد بتعقب الأفكار اليونانية الأولى إلى أصولها الأسطورية

والمدنية، بل ينتقل إلى مستوى أعمق من التقصي فيرى أن تلك البنية من المفاهيم هي من قبيل التصورات

الجماعية - بالمتى الذي يريده دوركايم والديونان القدماء - وهي تصورات

عصية الحدوث مستقلة عن إرادة الأفراد تورت لهم وتحكمهم في كل ما أنتج اليونان

من فكر بمختلف أشكاله.

## النظرية الاستشراقية

وهناك نظرية أخرى مناهضة لنظرية حسن طلب، ساسمبها نظرية

الاستشراقية أو نظرية الأصول الشرقية، وهي النظرية التي يرى أصحابها أن

الفلسفة اليونانية ترجع إلى أصول شرقية. والواقع أن كورنمورد يترك الباب

مواريا لثل هذه النظرية، فهو يلاحظ - كما سابين فيما بعد - وجود أوجه شبه

عديدة بين الأساطير اليونانية والأساطير الشرقية، دون أن يحزم بوجود علاقة من

التأثير والتأثر. أما الاستشراقيون فيتمتعون في البحث بترك الباب

محظون بأن التأثير الشرقي قد وقع بالفعل: بل أن بعضهم يحزم بأنه وقع على

الفلاسفة اليونانيين أنفسهم، ويشير بيرت إلى أنه وجد لهذه

النظرية منذ عصر البطالة أنصار يحاولون على نحو متصنف أن يرجعوا

الفلسفة اليونانية إلى مصادر مصرية ويهودية. ويقال إن بعض الباحثين الألمان

في القرن التاسع عشر قد حاول أن يقيم علاقات مباشرة بين الفلسفات اليونانية

قبل سقراط وبين الحضارات الشرقية، بين فيثاغورث والصين، وبين الإلينيون

والهنود، وبين أمبولقيس ومصر، وبين هرقليطس وزرادشت، وبين انكساجوراس

وثنى إسرائيل.

ولكنني لن أتوقف طويلا عند هذه الآراء المتطرفة، وسأكتفي بالإشارة إلى نظرية استشراقية معاصرة لأنها بدورها

العهد السابع والستون - أغسطس ٢٠٠٤ م

يفتح عينيه الجريئتين على عالم من الانطباعات الحسية التي لم تنسق بعد في أي بنية من المفاهيم. ولم تكن مشاة الطبيعة مع القرات الأسطورية والديني السابق، بل كانت تفرضه وتمتد عليه. فالدن والمفسرة - كما يقول - ليسا مجالين متميزين للمعبر بينهما نوع من حرب الحدود. ومن الممكن النظر إليهما بالأحرى بوصفهما مرحلتين متعاقبتين أو طريقتين من طرق التعبير عن مشاعر الإنسان ومعتقداته من العالم.

وتطبيقا لهذه المبادئ يثبت كورنمورد أن الأقوال انكسندر لشطوى على بنية معينة من المفاهيم تتمثل في الإيمان بأن العالم يخضع لنظام شامل لا يفصل فيه شيء عن أصله ويصبح مستقلا إلا عن طريق العقل والحواس، وإن العتدي لا بد أن يدفع تمويصا عما ارتكب من ظلم طفيف يفتي فيما نشأ عنه. وهو يعلق على قول انكسندر، «كانا توكريون» (أي طبخا لما قضى به، أو القضاء بالخصاص) فيقول إن المكرة تجمع بين مفهومي «القدر، والحق»، وأنها القوة التي تقضي بما لا بد أن يكون (بحكم الواقع) وبما ينبغي أن يكون. ويرى من ثم أن الفكرة ذات طابع أخلاقي، وهو يرجع الفكرة إلى جنودها في الأساطير اليونانية كما ترد في هوميروس وهزيود، وإلى فكرة «المعصية» (مويرا). فزعم أن آلهة الأولمب خالدة وقادرة على خرق قوانين الطبيعة، فإنها ليست قديمة ذات العالم وليست قادرة على كل شيء لأنها محدودة بالصير التي

نظرية متطرفة، وهي رغم كثرة أشباعها لم تكن موضع إجماع بين المؤرخين الغربيين. وقد تعرضت للنقد - على الأقل منذ أن عرضها بيرت. وهناك فيما أعلم بدلا عن. وأول البدليي نظرية ترمي إلى أن تثبت أن الفلسفة اليونانية الماشقة كانت بالفعل امتدادا لثراث من الأساطير والمعتقدات الدينية والمارسات الاجتماعية ولكن هذا التراث كان يونانيا على سبيل المحصر أو في المقام الأول ويرتبط على ذلك أن الفلسفة ترجع إلى نهاية المطاف إلى أصول يونانية وليست شرقية ولا مصرية. وسوف أسمى هذه النظرية نظرية الأصول اليونانية على أن يفهم من هذا الأصول الأسطورية والمدنية وما إلى ذلك من تقاليد سابقة على الفلسفة.

ومن الغربان مؤلف أصل الفلسفة يغل ذكر هذه النظرية المعتدلة رغم أنها مبروسة في بعض مراجعه. فهو يشير إلى دراسة كورنمورد التي عنوانها من الدين إلى الفلسفة ٣. ولكنه لا يشير إلى ما هو واضح ومشهور، وهو أن كورنمورد هو المحدث الأول والأعظم لنظرية المحجرة اليونانية. ورغم أن كورنمورد لا ينكر النظرية لما سبل ولا يشير إلى بيرت إلا على نحو عارض، فإنه لا يدع مجالاً للشك في أنه يعمل على تقويض آراء الرجل من أساسها. فهو ينص على أن الفلسفة لم تنشأ في اليونان من فراع. ولا ينبغي لنا - فيما يقول - أن نخفي أن طاليوس أو انكسندر كانا مثل آدم دوم خلق لأول مرة دون تقاليد يستند إليها ودون مخطط موروث للأشياء، وأنه كان

من الأسطورة إلى الفلسفة بالمعنى البليق للكلمة. وعلى هذه النقطة ينبغي أن ينصب البحث ألا لكي يحدد مدى إسهام مصر - إذا كان لها أي إسهام - في ذلك التحول. هل تضمن التراث الميخي والأسطوري الذي استند إليه أولئك الفلاسفة عناصر مصرية؟ هل كانت المصادر التي تأثر بها هؤلاء الفلاسفة عند تحولهم إلى التفكير الفلسفي بالمعنى البليق للكلمة مصرية؟ هل ساعدت مصر على ذلك التحول؟

غير أننا نبحث هنا في كتاب حسن طلب عن أي جهد مركز على هذه الساحة - فهو لا يناقش الفلسفة الأولى في نصوصهم، ولا يناقش نشأة الفلسفة اليونانية كما وقعت في سبيلها التاريخي، وهو لا يناقش تأثير مصر - إذا كان لها تأثير - على هؤلاء الفلاسفة الرواد. ولكننا نراه هذا من ذلك يوسع نطاق البحث ويتناول قضايا عامة ليس لها صلة مباشرة بالموضوع المحدد. فهو يستعين بالنظريات الأندروبولجية والانتشار الثقافي، والنظريات التاريخية المعاصر التي انتقلت من طريقها إلى التراث المصرية إلى اليونان؛ ويتناول بصفة عامة العلاقة بين الأسطورة والفلسفة ويقتار بصفة عامة بين القيم المصرية وبين ميثاقاتها في اليونان. ولكن ذلك كله لا يمس صميم الموضوع، ولا يمكن أن يثبت على نحو قاطع أن الفلسفة اليونانية نشأت أصلا في مصر أو كانت لها أصول مصرية أو أنها تأثرت بفلسفة مصرية أو حتى بأساطير مصرية. والمقص ما يمكن إثباته هو أن ذلك كله لا تكون بعض الأفكار المصرية قد انتقلت إلى اليونان وأثرت فيها على نحو أو آخر.

إن إيراد مؤلف أصول الفلسفة لتحرك على نطاق واسع بدلا من مواجهة الموضوع في نطاقه الطبيعي المحدود قد ترتب عليه ترك مساحة الحركة الحقيقية مفتوحة لتطبيقات مناهضة ليس لديه رد عليها. فقد استند أصحاب هذه النظريات إلى تحليل دقيق ودراسة شاملة لنصوص الفلسفة المعنيين في سبيلها التاريخي، وتشكلوا بناء على ذلك من رفض النظرية المتطرفة بأداة قاطعة ومن سد الطريق أمام نظرية المؤلف فيما يتعلق بالأصول المصرية للفلسفة.

## نظرية الأصول اليونانية

فلنا إن نظرية المحجرة اليونانية





## الفلسفة فرعونيا

وجدت لديهم تربة ثقافية موالمة، ويفضل القرآن أساسا استطاع العرب أن يمتلكوا علوم اليونان.

ولكن ليكن لذلك حديث آخر، ولنعد الآن إلى الإنجيل اليوناني، لقد أصاب هيجل عندما رأى أن اليونانيين قد تلقوا البدايات الأساسية لديانتهم وثقافتهم من آسيا وسوريا ومصر؛ وإن كانت التعديلات التي أدخلوها على هذه الموارد تخولهم الحق إلى أن هيجل ملكا لهم، فهل يعني ذلك أنه ينبغي هناك دراسة الفلسفة اليونانية أن نعمل دراسة تلك البدايات؟ هنا اعتقد أن هيجل قد أخطأ - بل لعله ناقض نفسه - عندما اعتقد بناء على رايه ذلك أن من الممكن فهم ما حققه اليونانيون بعملهم في الحضارات الأخرى، حقيقة الأمر أننا لا نستطيع فهم الفلسفة اليونانية فهما كاملا أو أن نقدرها حق قدرها إلا إذا رأينا كيف هيرت ما استعرت وكيف جعلته ملكا له، ومن المفلس أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك في جميع الحالات بل لأن اليونانيين قد مدحوا الكثير بفضل جهودهم الإبداعية فقط بل لأن تقنيات الزمان وكوارثه قد أتت على الكثير أيضا، وينبغي أن نقول بالإضافة إلى ذلك، ربما كان الزمان ما زال على الكثير، والتنازع التي توصلنا إليها هنا قائمة في ظل الشواهد المتاحة، وليس من المحال أن تكشف جهود الاستشراقيين وعلماء المصريات عن مفاجآت تغير من كل ذلك وتقلب كل الموازين، أقول ذلك وفي ذهني ما حدث وما يحدث من تقدم في هذه الدراسات مما يضيق عنه المقام هنا.

والغريب أن حسن طلب يترك على نحو ما أن ثمة فارقا بين الأساطير والفلسفة، وفي بحثي عن «الفلسفة والمفلس» الذي كتبت له، ولكنه يمنع من تحديد ما يبرهه بذلك لا يهبط الأمر غالبا ويأتي الحدود غامضة، فهو يفر ليونانيين، بإضافاتهم وتطويراتهم العظيمة، ويأنهم «اقاموا صرحا مرصدا، على الأسس التي استعاروها، وفي رأيي أن «الإضافة» كلمة تطويع على اختيار وتناظر مع الاعتراف بالصرح الممدد. والعدل يقتضي أن نقول إن تلك الحركة العسكرية التي انتهت إلى تخليص مفهوم الطبيعة من الأساطير وتأسيس العلوم التي كانت متاحة لعقل الإنسان آنذاك لم تكن مجرد إضافة إلى ما سبقتها، بل كانت نقلة نوعية أو طفرة أو معجزة إذا شئت، لا بمعنى أنها لم ترتكز على مقدمات وسواها، بل بمعنى أنها كانت إبداعا أصيلا وفنا. ■

طاليس، وبقي منها شيء، ولكنها أزيلت تماما في حالة التكميندر؛ فاصل الأشياء هنا يتضمّن مبدأ الحركة في ذاته، ومن الملاحظ أيضا - كما رأى كورنفورس - أن التكميندر قد استأصل زيوس وصحبته من آلهة الأولمب عندما استعاد فكرة القمر (مويرا) القديمة؛ فالخسر وفقا لهذه الفكرة الأسطورية يعلو حكمه إرادة الألهة، ومن الممكن بناء على ذلك أن نقول على سبيل الإجمال إن الإسهام العلمي، والعقلائي، في الفلسفة الأيونية يتمثل في أنها سعت إلى تكوين تصور للطبيعة بوصفها نظاما قائما بذاته له خواصه وخاضع لضرواته الذاتية، وهو إسهام علمي وعقلائي لأنه يقترب من فكرة الطبيعة بوصفها نظاما خاضعا للسببية والقوانين العامة ويمكن للإنسان فهمه بقواه العادي.

وواقع أن القرآن الكريم حقق إنجازا مشابها من وجوه ومختلفا من وجوه أخرى في مجال العمل على إزالة الأساطير وتهدد الطريق للفكر الفلسفي عندما دفع بفكرة التوحيد إلى أوجها، فقد قضى على تصدّد الألهة (الشرك) وفصل فاصلا حاسما بين الله وبين الطبيعة، وجعل من الطبيعة نظاما مستقلا من إرادة الإنسان لأنه يجري على سنن ثابتة، ولم يكن القرآن بطبيعة الحال كتابا في الفلسفة، ولكن علم الكلام والفلسفة الإسلاميين ما كان يمكن أن تقوم لهما قائمة بدون ذلك الإنجاز، بل وما كان للفلسفة اليونانية أن تؤثر في مكرى الإسلام - وقد كان تأثيرها عليهم ضخما بلا شك - لو أن

الحلق). عندئذ يمكننا أن نقول إن الفلسفة تستعير من الأسطورة الاهتمام بالمسائل الأساسية التي تشغل الإنسان، الوجود والعدم والإلهية. (ومن الممكن أن نستطره تفضيل إلى القائمة مسائل أساسية أخرى مثل وجود الإنسان في الكون وحياته وموتّه وواجباته ومسئوليّاته)

وقبل أن ننقل إلى أوجه الاختلاف بين الأسطورة المصرية والفلسفة اليونانية نلاحظ مدى إلقاء التعمير المصري من الناحية الميتافيزيقية؛ فهو لا يبدأ بالماء بوصفه المادة الأولى قبل أن يلقى نظرة على عدم، وكأنه يتكهن التساؤل، كيف كان وجود بعد أن لم يكن شيء؟ ولكن مشهد التكوين المصري لا يلبث أن يكتسب من طابعه الأسطوري، يحدث هنا عند نقطة الإله الذي يظهر بعد كيون، وبداية من هذه النقطة نشأ اثنا عشرة قصة تروى عن الإله وأعماله كما تتعاقب في الزمان، وكذلك كانت الأساطير اليونانية تضيء مآسب الألهة وتسلسل سلالاتهم وأعمالهم، أما في حالة الفلسفة الأيونية، فقد اختفى طابع القص المتسلسل وانتهى الاهتمام بالأحداث التي وقعت للألهة، بل لقد بدأ زوال الألهة الأسطورية من الصورة، فأنه طاليس التي تملأ العالم حسب قوله لا دور لها إلا بوصفها قوة مجردة تمثل حركة الطبيعة أو نموها أو حياتها، وهي إذن تسهم في الهم الأساسي للفلسفة الأيونية وهو تفسير نشأة الأشياء بناء على حواسها الذاتية.

وأقول وبدا زوال الألهة الأسطورية من الصورة؛ لأنها لم تنزل تماما في حالة

الممكن أن يقال إن النتائج المحتملة التي تتوصل إليها في المجال الضيق للفلسفة لا تخلو من قيمة لأنها قد تحضر على إجراء مزيد من البحوث طلبا لدرجة أكبر من اليقين، ويتبين أن نتذكر في هذا الصدد أن باب الاجتهاد لم يخلق قدرا دراسة تاريخ العلوم والأساطير والفلسفات في الحضارات الشرقية. ومن بينها مصر - ما زال يتقدم ويتردهر.

## التحول من الأسطورة

### إلى الفلسفة

كان المصريون القدماء يعتقدون أن بداية العالم المطلقة شيء لا يمكن فهمه أو تعريفه، فهو دوح من الهواء أو العمام أو لنقل عدم، وقد ظهر الوجود في أولى تجلياته على شكل ماء، محيط زلّي كان الإله الخالق مستقرا فيه معمورا في حالة من الكون، فلما أفاق الإله أو ظهر بعد كيون لم يجد شيئا ثابتا يقف عليه أو يجلس إلى أن وجد تلا أو زهرة لوتس أو بيضة، ومن بدأ الإله الخالق بتكوين الأشياء خلق الله أخرى مصادفة.

إن هذا المشهد الأول في تاريخ الكون يذكرنا بإحاديث باهواول الفلاسفة الأيونيين، المادة الأولى التي هي أصل كل الأشياء؛ والماء في حالة طاليس وعالمة إلى «بالألهة أيضا؛ واللامحدود، في حالة التكميندر، انحصر المشترك بين المشهد المصري والمشهد اليوناني هو التفكير في بدء الوجود بعد أن لم يكن (بعد العدم)، وهو أيضا الحرص على أن تكون المادة الأولى قريبة من العدم وأن كانت حامية غنية بإمكانيات التناوب، ومن ثم كانت تلك المادة (السائلة) (السامة) على الماء (الصلبة) التي هي الماء، ونحن نرى الإمكان في هذا الحرص في افتراض التكميندر للهواء الذي هو مادة الطف من الماء (واقرب إلى نقطة البدء المطلقة) وأغنى بالإمكانات، وفي افتراض التكميندر للامحدود المغمم بالحركة، فهو أحرى بأن يكون أصل كل العناصر والأشياء المعروفة أصل مختلف عنها واقرب إلى الأساس أو البداية المطلقة (التي هي العدم).

فنفترض إذ على سبيل الجدل أن فلسفة أيونيا قد استندوا إلى قصة التكوين المصرية (وغيرها من قصص التكوين الأخرى في الحضارات الشرقية القديمة التي تعد الماء هو المادة الأولى

## لقد أصاب هيجل

### عندما رأى أن اليونانيين

### قد تلقوا البدايات الأساسية لديانتهم

### وثقافتهم من آسيا وسوريا ومصر؛ وإن كانت

### التعديلات التي أدخلوها على هذه

### الموارد تخولهم الحق في

### أن تكون ملكا لهم



# أبحاث الفضاء

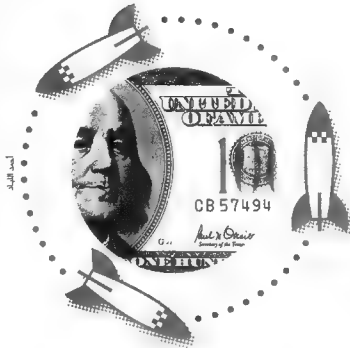
أم

## مرضى الأرض؟!!

الجديدة في تعطيل البرنامج بصورة مكثفة، كما حدث بعد الحادثين المأساويين للمكوك «شالنجر» في عام ١٩٨٦ للمكوك «كولومبيا» في فبراير ٢٠٠٣

وهكذا تحتم علينا مبادرة الرئيس الجديدة أن يطرح مرة أخرى السؤال الموجود معنا منذ مفاسرات الفضاء الأولى، وهو ما هي قيمة إرسال كلناثات بشرية إلى الفضاء؟ وهناك صراع خطير حول هذه النقطة. فعلماء الفلك وغيرهم من العلماء عموماً يشكّون في قيمة رحلات الفضاء المأهولة، وكثيراً ما يعرون عن استيائهم من الطريقة التي تتعارض بها مع البحث العلمي. بينما عادة ما يرى مدير ناسا ورواد الفضاء ومقاتلو الفضاء والساسة رحلات الفضاء المأهولة على أنها راحة. وقد أوضح مكتب ناسا لعلوم الفضاء أن الهدف الأساسي لرؤية الرئيس هو تقديم المصالح السلمية والأمنية والاقتصادية الأمريكية من خلال برامج استكشاف الفضاء المستطعة. ولذلك هلنظر إلى الطريقة التي تطورها رحلات الفضاء تلك المصالح.

الجد الجديد



### سيتن وايتن

يتذكر الكثير من الأمريكيين ما شعرنا به من قلق على الأمن القومي الأمريكي على نطاق واسع حين أطلق السوفييت القمر الصناعي غير المأهول سبوتنك في أكتوبر من عام ١٩٥٧. وأثير ذلك القلق بشكل أكبر في عام ١٩٦١ حين أطلق رائدا الفضاء السوفييتي يوري

غاجارين وغيرمان يتوقف إلى الفضاء. ودارت مركبة يتوقف سبع عشرة دورة حول الأرض، مرت في ثلاث منها فوق الولايات المتحدة لأول مرة. وصمم توم وولف رد الصل الأمريكي في كتابه The Right Stuff، الشيء الصحيح، مرة أخرى. وفي أنحاء البلاد كافة،

بدأ الساسة والصحافيون على قدر كبير من العزع والاضطراب. وعرضت الرؤية الخفية، وهي افتراض أن رائد الفضاء مسلح بقتال بيروجنية ليقضي حين يمر فوقها، كأنه الإله شور يهبط بالصواعق.... وساعتها سوف تخشى توبليو من على وجه الأرض.... وتكتسب ستي.... ولها....

وكان اتضح، فقد كان

يجعل التكلفة حتماً أعلى بكثير جداً، فالبشر بحاجة إلى ماء وهواء و طعام. ولا بد من حمايتهم من الأشعة الكونية، التي يحميت منها ونحن هنا الغلاف الجوي للأرض. كما أن رواد الفضاء أثناء الرحلة إلى المريخ سيكونون يبعدون عن المدى الوقائي لجبال الأرض المغناطيسية، وبذلك سيكون من اللازم حمايتهم من الحزبات المشحونة التي ترسلها الشمس أثناء الاندلاعات الشمسية. وعلى عكس الإنسان الآن، سوف يرغب رواد الفضاء في العودة إلى الأرض، علاوة على ذلك، فإنه لا يمكن التناقص عن فقدان رواد الفضاء مثلما يحدث في حال صياع الإنسان الآن. ولذلك سوف تتسبب أية خسائر عند استخدام مركبة الفضاء

أنها سوف تكلف ٨ مليارات دولار لوضع المحطة الفضائية الدولية في مدارها، إلا أنها لم تحسب تكلفة استخدامها. وقد أطلقت على أرقام خاصة بتكلفتها تتراوح بين ٢٥ مليار دولار و٦٠ مليار دولار، ومازال هناك وقت طويل حتى تكتمل (المحطة). دعونا لا نساهم على مائة مليون دولار أكثر أو أقل، ذلك أبقى أكثر تكلفة مبادرة الرئيس الجديدة بحوالي تريليون دولار.

ولنقارن هذا بمبلغ ٨٢٠ مليون دولار الذي تكلفه إرسال كل من الإنسان الآن «سبيريت» والإنسان الآن «أوبورتونيتي» مؤخراً إلى المريخ، وهو ما يساوي واحد على ألف من تكلفة مبادرة الرئيس. فوجود بشر ضمن أية مهمة فضائية

منذ تأسيس الإدارة القومية لأبحاث الطيران والفضاء (ناسا) وأجزاء الأكبر من مواردها ينهب إلى إرسال الرجال والنساء إلى الفضاء. وفي الرابع عشر من يناير من العام الحالي، أعلى الرئيس بوش من رؤية جديدة لاستكشاف الفضاء تزيد من كثافة تركيز ناسا على رحلات الفضاء المأهولة، التي تحمل رواد فضاء على متنها. وسوف تكتمل المحطة الفضائية الدولية، التي يجري إنشاؤها منذ ١٩٩٨، بحلول عام ٢٠١١، وسوف تظل في الخدمة حتى عام ٢٠١٦، حيث تركز الأنشطة الأمريكية من الآن فصاعداً على الدراسات الخاصة بالأثار طويلة المدى لرحلات الفضاء على رواد الفضاء. وسوف تستمر سيطرة الفضاء المسماة مكوك الفضاء في الطيران حتى عام ٢٠١٠، وستظل تستخدم لصيانة المحطة الفضائية. وحينئذ سوف يستعاض عن المكوك بمركبة فضاء مأهولة جديدة ينتهي صنعها واختبارها بحلول عام ٢٠٠٨، ولقريباً بين ٢٠١٥ و٢٠٢٠ سوف تستخدم مركبة الفضاء الجديدة لإرسال رواد الفضاء إلى القمر، حيث سيعيشون ويعملون لفترات متزايدة. وساعتها ستكون مستعدين للخطوة التالية، وهي المهمة البشرية إلى المريخ.

مهمة ستكون باهظة التكاليف. ورغم عدم تحديد الرئيس التكلفة التقديرية، إلا أن جون ماكين رئيس لجنة التجارة والعلوم والنقل بمجلس الشيوخ أشار إلى أن المبادرة الجديدة سوف تكلف ما بين ١٧٠ مليار دولار و٦٠٠ مليار دولار. وطبقاً لما جاء في ثورات ناسا، فالقصد بمبلغ المائة وسبعين مليار دولار أن يكفى ناسا حتى عام ٢٠٢٠ فقط. وهو لا يشمل تكلفة مهمة المريخ نفسها. وبعد إعلان الرئيس بوش الأب عن مبادرة مشابهة في عام ١٩٩٨، قدرت ناسا تكلفة إرسال رواد فضاء إلى القمر والمريخ بأنها إما ١٧١ مليار دولار أو ٤١١ مليار دولار بتقسيم ١٩٩١، حسب طريقة الحساب، وهما كانا تقدير ناسا لتكلفة المبادرة الجديدة، فمن المتوقع أن تتعدى التكلفة ما هو محدد، مثلما يحدث في كثير من الأحيان بالنسبة لبرامج ناسا. (في عام ١٩٨٤ قدرت ناسا

بترتيب خاص من: نيويورك ريفيو أوف بوكس

ترجمة: أحمد محمود  
العدد السابع والستون - أغسطس ٢٠٠٤ م



سوف يجعل استخدامه توليد الطاقة الحرارية النووية أكثر صعوبة.

وفي كلمته التي ألقاها في الرابع عشر من يناير، أكد الرئيس بوش على أن برنامج الفضاء يهدف «تقدم تكنولوجيا أفاد البشرية جمعاء». صحيح أن السعي لتحقيق مهمة مثل وضع بشر على القمر يمكن أن تحقق فوائد غير مباشرة في هيئة تكنولوجيا جديدة. غير أني أظن أنه في هذه النقطة كذلك ربما تكون الهام غير المأمولة أكثر إنتاجية. وفي محاولة للتفكير في بعض النتائج الفرعية المستقبلية للهام الفضائية التي قد تفيد البشرية بالفعل، أجد أنه من الصعب أن يتعللوا علينا بأي شيء يشير بشكل أكبر من الخير يزيد على تجربة تصميم الإنسان على لازم لهام الفضاء غير المأمولة. لذلك إن هذه التجربة تصاعدا في بناء إنشاء الهام يمكن أن يوفر على البشر غناء الأعمال الطاهرة المتبعة هنا على الأرض. وإذا كانت الفجوات ممتلئة بالحدوث دائما، فلأن لا أرى كيف ينتج أي شيء ذو قيمة مساوية عن ابتكار التقنيات اللازمة للحفاظ على حياة الناس أثناء الهام الفضائية.

لقد أكد الرئيس بوش في عرضه لمبادرة الفضاء الخاصة به أهمية الحصول على المعرفة العلمية. وربما تخيل بعض من بقيا كلمته رواد الفضاء على متن المكوك، أو المحطة الفضائية وهم ينظرون إلى الكواكب والنجوم من خلال التلسكوبات، أو يتجولون على القمر والريخ ويقومون بالتجارب المتعلقة بالمنجمية الشمسية. إلا أن الأمر لا يجري بهذه الصورة.

في شكه أن المرصد الموجودة في الصماء أدت إلى حدوث زيادة ضخمة في المعرفة الفلكية. وإذا أخذنا مثالا واحدا فقط، نجد أنه في أوائل التسعينيات قامت الأجهزة الموجودة على القمر الصناعي مستكشف خلفية الموجة Cosmic Microwave Background Explorer بعمل قياسات طيفية ضيقة من تشوش إدينجو هيسبر الموجة اكتشف في عام ١٩٦٥. وهذا الإشعاع يأتي منذ زمن كان الكون غير لا يزيد عمره على أربعة آلاف سنة. وأظهرت المادة الجديدة أن كثافة هذا الإشعاع ماطول موجات مختلفة كانت هي فقط ما تصدره المادة شبه العتمة عند درجة حرارة ٢,٧° مئوية فوق الصفر المطلق. وكانت

البرامج في خطط الرئيس الجديدة الخاصة بالمحطة الفضائية.

وفي الفترة الأخيرة، كان هناك كلام عن إرسال رواد فضاء هليوم ٣ النظائري الخفيف من على القمر، حيث اختزن غير مليارات السنين من تعرض سطح القمر للريخ الشمسية. والمهم هو أن التفاعلات الحرارية النووية المأمولة بشكل أكبر التي تستخدم نظائر الهيدروجين كوقود تنتج عنها أعداد كبيرة من النيوترونات التي قد تصير بالمواد المحيطة وتجعلها مشعة، بينما ينتج عن التفاعلات الحرارية النووية التي تنجم من الهيليوم ٣ عدد أقل من النيوترونات، ومن ثم يكون الشاهد الإشعاعي أقل. وقد يسمح كذلك الفاعل الحراري النووي أن يستخدم الهليوم ٣ بتحويل أكثر كثافة للطاقة النووية إلى كهرباء، إذا استطعنا جعله يعمل.

ومن الوصف إن هذا مجرد احتمال. فأحد الأشياء التي تجعل صنع الطاقة الحرارية النووية شديدة الصعوبة هو ضرورة تسخين الوقود إلى درجة شديدة الإشعاع التي تعطل التويات ببعضها البعض الكافية لتلخبط على القوى المتفرة بين الشحنات الكهربائية التي تحملها التويات. وتحتوي نويات الهليوم ضعف الكثافة الكهربائية الموجودة في نويات الهيدروجين، وبذلك تكون درجة الحرارة اللازمة لإنتاج التفاعلات الحرارية النووية المتضمنة للهليوم ٣ ونظائر الهيدروجين أعلى بكثير من الحرارة اللازمة للتفاعلات المتضمنة لنظائر الهيدروجين وحدها. وحتى الآن لم يتمكن أحد من إحداث تفاعل حراري نووي ذاتي الاستدامة ومفيد باستخدام نظائر الهيدروجين. وإلى أن يحدث ذلك، لا يبدو أن هناك أهمية كبيرة لتحمل تكلفة كبيرة على القمر لاستخراج ورواد

البقاء إذا كان لابد من تحميل المستخدمين التجاريين التكلفة الحقيقية لرحلات الفضاء.



تنطبق ملاحظات مماثلة على المولد الاقتصادي للسفر إلى الفضاء، وما من شك فيما للأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض من قيمة عظيمة. فذلك منها ما يسمع سطح الأرض كي يقدم لنا معلومات عن الطقس والمناخ والتغير المناخ في كل الأنواع، وكذلك التحذيرات من الحشود العسكرية وإطلاق الصواريخ. وثبتت الأقمار الصناعية البرامج التلغرافية والالاتصالات التليفونية وراه الأقرف. ويعتمد النظام الكوني لتحديد المواقع الذي يحسب مواقع «نسيارات والسفن والطائرات وكذلك الصواريخ» على توقيت الإشارات الصادرة من الأقمار الصناعية. ولكن هذه أقمار غير مأهولة، ويمكن وضعها في مدارها بأرض التكاليف باستعمال الصواريخ غير المأهولة.

ومن الصعب التفكير في فائدة اقتصادية مباشرة يمكن الحصول عليها بإرسال الناس إلى الفضاء. وهناك عليا متصل لزوم بلوات معينة في الجاذبية صغر تقريبا على قمر صناعي يدور حول الأرض مثل المحطة الفضائية الدولية، أو صنع رفائق من أشياء الموصلات فائقة النقاء في الصراع التام تقريبا نتيجة لإنشاء المحطة الفضائية. وكان الرئيس ريجان قد وافق في الأصل على المحطة الفضائية أصلا في أن تحقق فائدة في نهاية الأمر. ولم تتحقق أية فائدة اقتصادية من هذا، ومن الواضح أن الحكمة كانت تقضي التخلي عن هذه

القدرة على إرسال صواريخ إلى الفضاء أهمية عسكرية ضخمة. إذ حلت الصواريخ الباليستية التي تسافر فوق الغلاف الجوي للأرض تقريبا محل القاذفات باعتبارها الوسيلة الفعالة لحمل الأسلحة النووية الأمريكية أو السوفيتية إلى أرض الخصم. وحتى في الحروب غير النووية التي تدور رحاها الآن، تقوم الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض بدور مهم في المراقبة والاتصالات والملاحة. إلا أن هذه الأسلحة والأقمار الصناعية غير مأهولة. ولا يمكن إسقاط التقابل من الأقمار الصناعية على سطح الأرض، فما أن يوضع شيء في مدار فوق الغلاف الجوي للأرض حتى يبقى في مداره ما لم يدفعه صاروخ لأسفل. وحسب علمي، فلم يحدث قط منذ رحلة نيوتن حتى وقتنا هذا أن أعطى إرسا أشخاص إلى الفضاء أهمية أدنى من قدر من التدمير العسكري.

إنني أقول هذا بأزعم من حقيقة أن بعض الأقمار الصناعية العسكرية التي وضعها في مدارها هو مكوك الفضاء. وهذا يمكن أن يتم وينفس القدر من الجورة وتكلفته أقل بكثير بواسطة الصواريخ غير المأهولة. وكان المأمول هو أنه بما أن المكوك يتحرك مرارا، فسوف يقلل من تكلفة وضع الأقمار الصناعية في مدارها. ولكن بينما تكلف استخدام صواريخ غير مأهول لوضع قمر صناعي في مداره حوالي ١٠ آلاف دولار لكل رطل، فإن تكلفة ذلك باستخدام المكوك تبلغ ١٠ آلاف دولار لكل رطل. وأشار عالم المعدل، فإنه حتى إذا أمكن تحويل الرصاص إلى ذهب في المدار، فلن يكون من الجزي إرسا هذا الرصاص بالمكوك. وكان يمكن لبارك أن يضيف أنه في هذه الحالة ربما ترسل ناسا قواد الرصاص على متن المكوك بأي حال من الأحوال، ثم تستشهد بالذهب في الشرائح الصمعية كدليل على قيمة المكوك. لا يبدو أن هناك ما يدعو إلى استخدام المكوك لوضع بعض الأقمار الصناعية العسكرية في مدارها، إلا إذا كانت ناسا بحاجة إلى طريقة لتبرير وجود المكوك. وكانت ناسا قد أوضحت في عهد حكومة كارتر لثالب مستشار الأمن القومي أنه ما يفرش الرئيس كارتر مهام الأقمار الصناعية العسكرية على متن مكوك الفضاء فسوف يكون الرئيس مسئولا عن الفضاء على برنامج المكوك، ذلك أن المكوك لن يمكنه

## يكلف استخدام صواريخ

غير مأهول لوضع قمر صناعي

في مداره حوالي ٣ آلاف دولار لكل رطل، فإن تكلفة

ذلك باستخدام المكوك تبلغ

١٠ آلاف دولار لكل رطل





الأقل نوع من العلوم لا يمكن عمله بدون وجود رواد الفضاء، إلا أنه لا أهمية له ما وجد هناك تخطيط موضوع البشري في الفضاء لفترات طويلة بسبب آخر.

وكان جزء كبير من النصف الآخر من تجارب مكوك الفضاء كولومبيا يتعامل مع نمو البلورات وتنشيط السوائل عند الجاذبية صفر تقريباً، وهي بدائل ناسا القديمة التي لم تلق الضوء على القضايا الأساسية للعلم ولم تؤد إلى تطبيقات عملية. ومن الخطر دائماً

بالنسبة للفضاء في أحد المجالات أن يحاول الحكم على قيمة العمل القائم به الاختصاصيون في المجالات الأخرى، ولكني أظن أنني كنت سأعرف إذا كان هناك ما نلعب ما ينتج عن تلك التجارب أم لا، غير أنني لم أسمع، وجزء كبير من البرنامج (العلمي) الذي يكلف به رواد الفضاء على متن مكوك الفضاء والحلقة الفضائية له فكرة استمرارية التي يجري عملها من أجل مسابقات المهام العلمية في المدارس الثانوية. فقد يبدو جزء من العمل لاشأً لائتاه، إلا أننا لا نرى شيئاً في أن يقوم به بشر. فعلى السبيل المثال، كانت هناك تجربة واحدة فحسب وهي كولومبيا مخصصة لدراسة الفلك، وهي قياس مفيد للزرق في الطاقة الصادرة عن الشمس، وأيضاً الباحث الرئيسي عن التدخل الوحيد من رواد الفضاء عبارة عن تشغيل الجهاز ولغظه.

لا بد أن نسال ونحن ننظر إلى المستقبل عن العمل العلمي الذي يمكن أن يقوم به رواد الفضاء على المريخ، إن بإمكانهم التجول والنظر إلى بيولوجيا الكوكب وإجراء بعض التجارب على الصخور بينما يبحثون عما يدل على الماء أو الحياة. ولكن هذا كله يمكن أن يقوم به الإنسان الأثلي، كما يمكنهم جلب عينات من الصخور، كذلك التي أتى بها رواد أبولو من على القمر. غير أن هذا كذلك يمكن أن يقوم به الإنسان الأثلي. وكانت عينات صخور القمر قد جاءت بها إلى الأرض كذلك مهام قمريه سوفيتية غير مأهولة. ويقال أحياناً إن العيب الكبير في استخدام الإنسان الأثلي في مهام إلى المريخ هو أنه يتحكم فيه أشخاص على الأرض مع الانتظار فترة طويلة (أربع دقائق على الأقل) كي تناسف الإشارات الراديوية من الأرض إلى المريخ. وسوف تكون هذه هي الوضع مشكلة خطيرة في حال إرسال الإنسان الأثلي إلى المريخ كي يلعب التنس مع أهل المريخ، إلا أن ليس هناك

على الأرض برنامجاً لقياس المسافات وبسرعات الخاصة بالمحركات البعيدة. وفي عام ١٩٩٨ أظهرت تلك القياسات أن تمدد الكون لا يحد من سرعته التجاذب المتبادل الخاص بمادته، كما كان يظن. بل إنه يتسارع، الأمر الذي يفترض أنه رد فعل للتأثر بين المادة والمادة المضادة الخاص بالطاقة المظلمة التي ذكرتها من قبل. وربما منح هابل ناسا أقوى حجة للحمية العلمية لرحلات الفضاء المأهولة.

ولكن لتسكوب هابل الفضائي، شابه شأن المرصد الفلكية الأخرى، كان يمكن أن تحمله الصواريخ غير المأهولة. وكان سيكفي رواد الفضاء خطر رحلات المكوك، وكان سيسمح أرخص كلفة. وقد ريكاردو جيكوني، المدير السابق لمعهد علوم التكتونية، أنه باستخدام الصواريخ غير المأهولة بدلاً من مكوك الفضاء، كان يمكننا إرسال هابل بدون زيادة التكلفة الإجمالية للمهمة. وحينذاك ما كان ليصبح من الضروري إجراء أعمال صيانة لها، لذلك الله حين نكتشف مغرباً في التصميم أو أن أجزاء قد بليتت كان يمكننا إرسال هابل آخر.



فماذا عن التجارب العلمية التي قام بها علماء الفضاء على مكوك الفضاء أو المهمة الفضائية؟ طلبة مؤرخاً الأطلاع على قائمة بالتجارب التي كلفت بها ناسا رواد الفضاء على متن مكوك الفضاء كولومبيا أثناء دخوله الغلاف الجوي للأرض. ومن الحزن القول بأنها ليست قائمة رائعة من التجارب. فقد كان نصيبها تقريبا يتعلق بأثر الجبهة الفضائية على رواد الفضاء. وهذا على

الطاقة المظلمة، الفاصضة ذات الضغط السلبى، كما حدثت عبر الكون فيما يتراوح بين ١٣،٥ و ٩،٤ مليار سنة. إنه بحث مثير يحق لناسا أن تفكر به. وقد جعلت الأبحاث التي من هذا النوع من صغرها هذا عصرًا ذهبياً للعلم الكون. ولكن لا مستكشف خلفية الموجات القصيرة الكونية أو مسبار ويلكنسون اللاتناحى للموجات القصيرة يحمل على متنه رواد فضاء. فلم تكن هناك حاجة إلى بشر. بل على العكس من ذلك، فقد كانوا سيحدون أخفاه في هذه القياسات من خلال حركاتهم وحرارة أجسامهم، إلى جانب تلك الزيادة الكبيرة في تكاليف هاتين المهمتين. وتنطبق الشيء نفسه على كل مرصد من المراصد الفضائية التي وسعت مرفقنا بالكون من خلال رصد الأشعة فوق البنفسجية أو الأشعة تحت الحمراء، أو أشعة جاما الأثلية من خارج الغلاف الجوي للأرض. وقد وضع المكوك بعض تلك المراصد في مداره، بينما حملت صواريخ غير مأهولة غيرها (بما في ذلك مستكشف خلفية الموجات القصيرة الكونية ومسبار ويلكنسون اللاتناحى للموجات القصيرة). وهو ما كان يمكن أن يحدث في كل الماهم.

ويعد التسكوب الفضائي هابل حالة خاصة. ذلك أن هابل، مثل كل المرصد المارة، يعمل عن طريق التحكم من بعد، ودون أن يسافر معه أحد. ولكن على عكس تلك المراصد الأخرى، فإن هابل لم يطلقه المكوك فحسب، بل قام رواد فضاء جاء بهم المكوك بعمل الصيانة له مرات عديدة. وأسهم هابل إسهاماً عظيماً في علم الفلك، وهو الإسهام التي يتجاوز مجرد التقاط صور مؤونة رائعة للكوكب والسدم. والأمر الأعظم هو أن هابل نفذ بالتنسيق مع المراصد الموجودة

تلك في المرة الأولى في تاريخ علم الكون التي ليس فيها أي شيء بأربعة أرقام مهمة. لأن ذلك أنه قطع أن كثافة هذا الإشعاع ليست موحدة لوحيداً كاملاً، بل هي ممكنة تكتلاً طفيفاً. فالكثافة المرصودة تختلف من جزء لآخر من السماء بحوالى جزء واحد من المائة ألف بالنسبة لاتجاهات تفصلها بضع درجات من القوس. وهذا القدر من التكتل هو القصيرة الكونية نشأت عن التقلبات الكمومية في التوزيع الكلاسيكي للطاقة في الكون شديد القدم، وهي التقلبات التي أدت في النهاية إلى ظهور تركيزات من المادة، المجرات ومعدن المجرات، التي يراها علماء الفلك على أنحاء الكون.



وعقب ذلك عقد من أعمال الرصد شديد الدقة لخلفية الموجات القصيرة الكونية من على قمم الجبال والبالونات والغطب الجبوسى، ولكن الأثر المخوف للغلاف الجوي يحد من الدقة التي يمكن الحصول عليها بقياسات ولو من على أكبر ارتفاع يمكن أن تصل إليه البالونات. وأخيراً حققت تلك الدراسات تقدماً ضخماً في عام ٢٠٠٢ بواسطة مهمة فضائية جديدة رائعة، وهي مسبار ويلكنسون اللاتناحى لموجات القصيرة Wilkinson Microwave Anisotropy Probe. وبعد الدوران مراراً حول الأرض لحشد السرعة، سافر هذا المسبار إلى نقطة في الفضاء تُعرف بـ ٢.٢. تقع على بعد حوالي مليون ميل عن الأرض (أربع أضعاف المسافة التي بين الأرض والقمر)، في الاتجاه المقابل للشمس. وأى شيء يوضع في ٢.٢ يطور حول الشمس بنفس السرعة اللازمة لبقائه في ٢.٢. وهناك في الفضاء البارد الهادئ الذي بين الكواكب كان من الممكن عمل مخطط لتكتل خلفية إشعاع الموجات القصيرة الكونية بمستوى غير مسبوق من الدقة. وأكدت مقارنة هذه القياسات بالنظرية أكانا العامة بشأن ظهور التقلبات في الكون شديد القدم، وأظهرت أن الكون حالياً يتكون من حوالي ٣٣ بالمائة من المادّة العادية، وحوالي ٢٣ بالمائة من المادة المظلمة ذات الطابع الغريب التي لا تتفاعل مع الإشعاع، وإتالي بعض من



## ما العمل الذي يقوم به رواد

### الفضاء على المريخ. إن بإمكانهم النظر

### إلى بيولوجيا الكوكب وإجراء التجارب على

### الصخور، بحثاً عن الماء أو الحياة. ولكن هذا

### يمكن أن يقوم به الإنسان الأثلي





۶۰ گدازند بطور



وأطعم أمريكيين يهتمون. وقد قال جستنيس هولز: «الضربال على من ندفعه الحصول على مجتمع متضرر، ولكن مادام المجتمع على هذا القدر الشديد من البؤس لدفع الضربال، فسوف تكون هناك أفعال أقل سواء تخفيف تلك المشاكل المجتمعية أو القيام بأبحاث علمية حقيقية إن نحن افقنا مئات المليارات من الدولارات على إرسال بشر إلى الفضاء.



أخذت فيما سبق مبادرة الرئيس الفضائية مأخذ الجد. وقد تكون تلك هي غلظتي. وقيل الإعلان عن «الرؤية الجديدة»، وحقبت الحكومة خطر عدم ضرر سياسي نتيجة لحادث مكوكي دممر جديد مثل كارثة كولومبيا منذ أقل من سنة. ويمكن أن أحد من هذه المشكلة بإلغاء رحلات المكوك قبل الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٤، والسماح بما يكفي فقط من الرحلات بعد ذلك لبناء الحملة الفضائية. وتشكل الحملة الفضائية مشكلة أخرى؛ فلم يعد هناك من يثيره ما أصبح ديك رومي مناري كبير. وبينما تحول التعهدات تجاه القضاة المحليين والشركاء الدوليين دون التخلص منها على الفور، فإن من خفض تكاليفها الجامعة. إلا أن مجرد خفض نفقات المكوك والمحطة الفضائية سيكون أمراً غاية في السلبية، ولا يتماشى بحال من الأحوال مع ما قد يكون متولفاً من «رؤية الرئيس». ولذلك، فلنعد إلى القمر وإلى المريخ؛ فمعظمهم هذا المهام غير المأهولة سوف يحين وقتها بعد ترك الرئيس لمنصبه في عام ٢٠٠٥، ويمكن تغطية النفقات الزائدة قبل ذلك بشكل جزئي عن طريق خفض نفقات أشياء أخرى لم يهتم بها أحد في البيت الأبيض بحال من الأحوال. مثل البحث عن الثقوب السوداء وعلم الكون. ومن الذي سيهتم بعد انتهاء فترة الرئيس؟ فإنا لم يكن الرؤساء القادمون غير مستعدين لتمويل هذه المبادرة، بحيث سيكونون هم من يتحمل وصمة الرؤية المحدودة. ولذلك، فإننا لا نلظنا إلى الجانب المشرق، فإنه بدلاً من إنفاق ما يقرب من تريليون دولار على المهام المأهولة المتجهة إلى القمر والمريخ، فقد ينتهي بنا الحال إلى إنفاق جزء يسير فقط من هذا على لا شيء مالمه. ■

الطباعاً عاماً بأن الإنفاق الحكومي يضر الاقتصاد بسحب أموالاً من القطاع الخاص، وهو ما يجب الإبقاء عليه دائماً في حده الأدنى. ومادام الجمهور يفكر في الإنفاق الحكومي على أنه يتطفل على الاقتصاد الخاص، فإنه على عكس ما يسمى دائماً بالعالم الكبير. التليبيكوبات التي تدور في الفضاء، ومسرعات الجسيمات ومسرعات الجينوم. سوف يؤثر إرسال بشر إلى القمر والمريخ باهظ التكلفة سلباً على الدعم المناسب للرعاية الصحية، والأمن القومي، والتعليم وغير ذلك من المصالح العامة، بينما بدأ بالفعل في التأكيد سلباً على الإنفاق على العلوم.

كانت دراستي هي العزياء، ولذلك فإنني أتردد في إطلاق تصريحات بشأن الاقتصاد. ولكن يتضح لي أن إنفاق الحكومة دولاراً واحداً على المنافع العامة يؤثر على النشاط الاقتصادي والتوظيف إجمالاً بنفس الطريقة التي تخفف بها الحكومة الضرائب بمقدار دولار واحد فينتقل حينئذ على المنافع الخاصة. فالفرق الأساسي هو نوع المنافع التي يحققها الاقتصاد؛ هل هي عامة أم خاصة. ولتجاه مسألة نوع المنافع التي نحتاجها أكثر من غيرها مسألة خاصة بالعلوم الاقتصادية وإنما بالأحكام القضائية التي يمكن أن يصدرها أي شخص. وفي رأيي أن أسوأ مشكلة تواجه مجتمعنا ليست هي أن هناك ندرة في المنافع الخاصة. المأكول أو الملابس أو السيارات الرياضية أو الإلكترونيات الاستهلاكية. بل هي وجود مرضي لا يحصلون على الدخل الصحيحة، ودمعتي مخدرات لا يدخلون في برامج إعادة التأهيل، وموانئ معرضة للهجمات الإرهابية، وموارد غير كافية للتعامل مع أفعانسان والحراق.



## أسوأ مشكلة تواجه المجتمع الأمريكي

ليست هي أن هناك ندرة في المنافع الخاصة.

المأكول أو الملابس أو السيارات الرياضية أو الإلكترونيات

الاستهلاكية. بل هي وجود مرضي

لا يحصلون على الرعاية الصحية



حين يتقدم ما لدى المدافعين عن الرحلات المأهولة من حجج خاصة بمسائلها في المصالح العلمية والأمنية والاقتصادية، فإنهم يستمتعون بروح اكتشاف والحضيات عن «درب أوريجون» (يوش الأب) أو لوبيس و كلاك (يوش الابن). وكشأن كثيرين غيري، فأنا لست محصناً ضد إثارة رؤية رواد الفضاء يسرون على المريخ أو القمر. فقد شبتنا مراراً على المريخ في قوارنا؛ مع دانتي وبياتريس أثناء زيارة كوكب الشهاب والأطفال، ومع سكان الأرض عند رأي برابري وهم يبحرون على آثار وأشباه مع رواد كيم ستانلي روميسون الذين يحولون المريخ إلى وطن جديد للبشر. وأمل أن يسير الرجال والنساء على سطح المريخ. ولكن قبل أن يحدث ذلك لابد أن نشعر بالرضا.

وأحد هزوط ذلك هو أنه لابد أن يكون هناك ما يفعله الناس على المريخ ولا يمكن أن يفعله الإنسان الآن. فإذا سافر بضعة رواد فضاء إلى المريخ وغرسوا العلم ونظروا إلى الصخور وضربوا بضع كرات جولف، ومن ثم عادوا، فسوف تكون تلك لحظة مثيرة في البداية، ولكن بعد ذلك، حين لا يحدث ما يثير كشيء من هذا، سوف يتخفى لنا (احساس مرير بخيبة الأمل، ضاماً مثلما حدث بعد انتهاء مهام أبولو. وربما يحدث بعد إرسال المزيد من الإنسان الآن إلى مواقع مختلفة على المريخ أن نجد ما يرضع على الدعوة إلى الدراسة المباشرة التي يقوم به بشر. وإلى أن يحين ذلك، فليس هناك ما يدعو إلى ذهاب بشر إلى هذا الكوكب.

الشرط الضروري الآخر هو حدوث إعادة توجيه للتفكير الأمريكي بشأن الإنفاق الحكومي. ويبدو أن هناك

والأخرى تسمى «ليسا» LISA أو الهوائي مقاييس التقدم الفضائي الذي يعمل بالليزر. سوف يتكون هذا «الهوائي» من ثلاث مركبات فضاء غير مأهولة تدور حول الشمس بفصل بين كل منها حوالي ثلاثة ملايين ميل. وسوف تقاس التغيرات التي تطرأ على المسافات التي بين المركبات الفضائية الثلاث باستمرار بدقة تقل عن واحد على المليون من البوصة عن طريق جميع أشعة الليزر المارة بينها. وسوف يمكن لهذه القياسات فائقة الدقة الكشف عن وجود موجات الجاذبية المارة خلال المجموعة الشمسية، وسوف لندي ليسا ما يكفي من الحساسات للكشف عن موجات الجاذبية الصادرة عن النجوم التي تتحطم أثناء سقوطها داخل الثقوب السوداء أو عن الثقوب السوداء وهي تندمج في بعضها. وهي الأحداث التي لا يمكن رؤيتها بالتليسكوبات العادية. ولدي ناسا برنامج آخر قليل التكلفة إلى حد كبير يسمى «إكسبلورر» Explorer يقدم المرصد المصغر والمسطحة مثل «مستكشف الخلفية الكونية» و«مسبار ويلكنسون» الثلاثي للمسوحات الفسرية.



وما يولفس له أن مكتب علوم الفضاء التابع لناسا يعلن الآن أن برنامجي ما بعد أينشتاين وإكسبلورر لا يدمان أهداف رؤية الرئيس الخاصة باستكشاف الفضاء دعماً واضحاً، ولذلك فقد جرى تخفيض تمويلهما بصورة كبيرة. كما أرجى تمويل مهام أينشتاين الصغيرة الثلاث خمس سنوات، وأجل «ليسا» عاماً أو أكثر، وسوف يختصر مجال إكسبلورر خلال السنوات الخمس المقبلة، ولن يكون هناك تفكير في مقترحات جديدة لمام إكسبلورر لمدة عام أو عامين. وإلى من هذه الأضرار لا سبيل إلى إصلاحها، غير أن الإنفاق على «الرؤية الجديدة» الخاصة بالرئيس قد بدأ بالفعل. ويترن هذا التاجيل، إلى جانب وقف مساندة هابل، باستيعاب مهام القمر والمريخ والتزيد من المال، وبأن العصر الذهبي لعلم الكون سوف يقضى عليه من أجل تزويدنا بمشهد أشخاص يذهبون إلى الفضاء ليس لأي سبب بعهذه.

# الأنفلونزا الكبرى: أخطار

ويليام ماكينزي

العام والخاصة عن وباء أنفلونزا عام ١٩١٨، رغم ضخامة الإحصاء الذي سجل حوالي ١٧٥ ألف حالة وفاة في الولايات المتحدة، وما بين ٢٠ إلى ٥٠ مليون حالة حول العالم، معظمها في الأسابيع الاثني عشر الأخيرة لعام ١٩١٨. إن كل من عاش تلك الأسابيع الأخيرة، وإلى أن دار الوباء دورته، خاض تجربة الخوف من الموت أو من السقوط مريضاً، أو عاش عيشاً حادة مع المرض. لقد كنت من هؤلاء الناجين لكنني لا أذكر شيئاً إلا كان عمري وقتها ١٣ شهراً عندما سقطت أمي بسرعة المرض في شيكاغو. كانت حاملاً في شقيقتي التي وضعتها في الرابع عشر من ديسمبر ١٩١٨. قبل موسم ولايتها بأشهر، أصبت، والدي بالأنفلونزا، وكان والدي خريجاً جامعياً مخلصاً وبعد نفسه، وأمي، في مدينة مشغولة وويلداً. أقرباء أو عن خارجي، لم يسجل والدي معاناتهما في كتاب. ولم اسمعها يتحدثان. فيما بعد، عما تبلى لديهما من ذكريات، كانت التجربة الأكثر رعباً في حياتهما. وبأنها تعرضت لحمو داسي منقطع على يقيس ما جرى بالفعل، ومسرهما من أجل البقاء، مجهولاً بالنسبة لي. لكنني علمت من كتاب «باري» أن وباء الأنفلونزا كان أقل فتكاً في شيكاغو مع حلول شهر ديسمبر عام ١٩١٨. مما كان عليه بداية تفشيه داخل معسكرات الجيش بالمساحل الشرقية والجنوب الغربية. «سبب الشرق والجنوب والوباء مبكراً وبفوق أعنف من تلك التي أصابت المساحل الغربية». وفي وسط البلاد كانت المعاناة قليلة، وهذا يفسر لي نجاح والدي، وكذلك شقيقتي، رغم أن الأشهر الممتدة الأولى من عمرها كانت محفوفة بالمخاطر. وعندما لجأت أسرتي خلال الصيف إلى مسقط رأس أبي في منزله بكندا، انقذت الشمس المشرقة، ورعاية جدتي، أمي وشقيقتي من أحوال شهر ديسمبر. أثرت الأحوال بعبء في زوايا التسيان وبقيت النهايات السعيدة تعاد وتروي دون ذكر لتفاصيل الآلام الوحيدة والخوف والياس والمعاناة، لدى كل من عانى وشفى من وباء الأنفلونزا ذكريات مشابهة مقموعة. ويرى «باري» أن كتاب الصحافة والدراما العشرينيات لم يدركوا إلا القليل من معاناة البشر أيام الوباء. وأذكر أن الشخص الوحيد الذي تحدث معي عنه، في المحيط الذي تربيت فيه، كان صبياً

للإعجاب والذي يضيف تضرراً ودهية، على الصبوات التي يرسمها «ديناميكية، العدوى والوباء، ووظيفة الفيروس ومحاولة الأطباء ومسؤولي الصحة العامة مواجهة الخراب والتعامل مع الموقف». يرمز «باري»، الأخطاء ويبدو تقديره «الجهد، ويعد بناء دورة العدوى وطبيعة الوباء في ضوء مستويات الفهم العلمي الحالية، ويقول إنه احتاج لكي ينجز كتاب «الأنفلونزا الكبرى» إلى ٧ سنوات، وهي ضعف الفترة التي توقعها لإنجازه، وإن بعض أسباب التأخير، تعود إلى توسعه في فصول الكتاب عندما قرر دراسة الأوضاع المؤسفة لصناعة الهواء الأمريكية قبل العام ١٩١٨ كي يتوصل إلى فهم أفضل للموقف الذي كان على العلماء والأطباء مواجهته عندما تقش وباء الأنفلونزا في ذلك العام. ويشير باري إلى سبب آخر يكمن في صعوبة الحصول على مادة مفيدة عن الوباء ويقول، «كان من السهل تتبع حكايات الموت، لكن اهتمامي الأكبر انصب على حكايات أولئك الذين حاولوا ممارسة بعض سيطرة على الأحداث. وكل من فعل ذلك كان في عجلة من أمره، وفي حالة أرتباك شديدة إلى درجة أن أحداً لم ينتبه إلى ضرورة تكوين الأحداث وحفظها في سجلاته».

المسجلات هي «بلا شك، أول ما ينهار تحت وطأة تشنص الوباء». وظنني أن عاملاً آخر له تأثيره في هذا السياق ويتمثل في وجود أسباب خاصة تجمع الذين نجوا من الوباء إلى قمع ذكريات معاناتهم. وهذا العامل يفسر، في اعتقادي، ندرة الأرقام في الذاكرتين

على الحال عام ١٩١٨. إنهم يعرفون الآن طرق تحسين الإنسان ضد فيروس الأنفلونزا. رغم ذلك، ومع كل الخبرات والمهارات المتراكمة، يظل الشك قائماً في قدرة المؤسسة العلاجية المعاصرة على تقديم الحصل الضروري، في التوقيع الصحيح، وبالقدر الكافي، لإحباط زحف أمراض وموت مشابه لما حدث قبل ٨٦ عاماً.



يرى «باري»، قصة الوباء في فصول تبحر عبر أزمته بعيدة والغريبة، وتفاصيل مثيرة لذكرات بداية تقش الأنفلونزا في ولايات أمريكية. يتعرض للمحاولات العملية والجهود الحثيثة، وإن فشلت، لمجموعة من الأطباء الأمريكيين سعت إلى العثور على الجرثومة المسببة للمرض. بهدف إيجاد الحصل المضاد للوباء الذي حصد في نهاية المطاف وانحسر نتيجة عوامل خاصة بالدورة الطبيعية للجرثومة وتطورها، والعلاقة الأزلية ما بين الكائنات الحية والبيئة وارتفاع مستويات المقاومة داخل خلايا الدم عند الإنسان، والتغير المهم المفاجئ للمرونة، والذي يجرد الفيروس من خاصيته المهمة.

خدم الوباء لأسباب لم تكن مفهومة زمن تفشيه، وبنون أي تدخل طبي يتعرض عملية التفاعل الطبيعي بين الفيروس والطبيعي وجسم الإنسان. لكن رواية «باري»، تستفيد من الاكتشافات العلمية اللاحقة. وتستند إلى فهم المتجدد المثير

يقبل إياهم. أعلن علماء أمريكيون وصينيون أن سلالة «مخفية» من الفيروس المسبب لمرض «أنفلونزا الطيور» القاتل للإنسان، تمر حالياً بطفرة ويمكن أن تنفث بين البشر ما لم يتم السيطرة عليها حيث ظهرت إصابة بين «البط» ويجب التحرك المعلى لمنع انتقالها إلى الدجاج. وفي اليوم الأول من يوليو «تموز» هذا العام أعلن في فينتام أن نحو ٤٥٠ دجاجة نفقت، خلال الأشهر الثلاثة الماضية سبب وباء أنفلونزا الطيور. وهذا المقال يلخص القصة الملحمية التي كتبها جون باري عن هذا الوباء، عندما تقش ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ واستأن أن يوصف بأنه الوباء الأكثر فتكاً في التاريخ

(المصدر)

## ١

■ رواية، جون باري، عن وباء الأنفلونزا الذي تقش ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩١٩، وقتل من البشر أكثر مما قتلهم بنادق وحرب الحرب العالمية الأولى، رواية رائعة مفعمة بالحياة زاخرة بالمعلومات وتعيين أن تثير اهتماماً غير عادي في عام ظهور دوح فتاك من «أنفلونزا الطيور»، ينتقل إلى البشر وينفث في شرق آسيا وقد يكون على وشك اجتياح العالم على نطاق واسع كما فعل سلفه، وباء ١٩١٨، هي ذلك العام، لم يكن أحد يعرف سبب إبعاد اللداء. أما اليوم فن المشتغلين بالطب، وكذلك هيئات الصحة العامة، هي وضع استعداد أفضل كثيراً عما كان

The Great Influenza: The Epic Story of the Deadliest Plague in History

الأنفلونزا الكبرى: القصة الملحمية للوباء الأكثر فتكاً في التاريخ  
John M Barry  
Viking Books, 2004, 560pp

المصدر:

The New York Review of Books

ترجمة: جمال إسماعيل

# سلاح دمار شامل

## القصة المحمية للوباء الاكثرفتكما فى التاريخ

ما يسمى بـ "التحول الجسم المصاوم"، وخصائصات دقيقة ومحكمة وأسلوب بسيط، يسهل فهمه. فالسرعة التى تتكاثر بها فيروسات الأنفلونزا وتنتشر بنجاح داخل أجسادنا هى التى تزيد من وطأة المرض وشدة. ورغم قدرة الأجسام المضادة، داخل الجسد البشرى، على كبح التكاث، إلا أن نوعاً ثانوياً من البكتيريا يمزو الحنجرة والرلة ويتكاثر ويكون القاتل الفعلى لمعظم ضحايا الأنفلونزا.



يسوق "بارى"، فى كتابه ملاحظات كثيرة وجيهة حول انعكاسات سلبية لعانة التعمية الأمريكية النشطة فى الحرب العالمية الأولى، على واء عام ١٩١٨. فى مقدمة هذه الملاحظات أن الآلاف من الجنود الصغار كانوا أكثر عرضة للعدوى عندما فرضت التعمية -لحسب تكديسهم- بالآلاف داخل معسكرات صيقة وضوالية. هذه الحقيقة كانت معروفة لمجموعة صغيرة من الأطباء الذين قنع "بارى"، تاريخهم المهنى مثل ويليام هنرى ويش، سيمون فيلكنستر، ويليام كراوفورد جورجاس، ويليام بارنك، أروالد كير، ويول لويس، بعض هؤلاء، وخاصة جورجاس، ويش، وفيلكنستر، كانوا فى وضع مسج لاصواتهم المصدرة بأن تسمل إلى القيادات لكن ضرورت الحرب، الحقيقية أو المبالغ فيها، أدت إلى تجاهل جهودهم الرامية إلى عزل ومحاصرة المرض الويالى فى بداية تفشيه. وتفيد إعادة ترتيب الإحصاءات بأن عدد الجنود الذين ألقوا حتفهم بسبب العدوى أكثر من عدد هؤلاء الذين قتلتهم إصاباتهم الجروح. كما أن عمل الجراحين عام ١٩١٧، على التى ساعدت على نجا ملايين البشر داخل الخنادق على الجبهة الفرنسية، فى وقت كان فيه الجنود الروس يموتون بالتيفوس وأوبئة مماثلة، على الجبهة الشرقية لتلك الحرب البعيدة فى القطب جراح كراوفورد جورجاس يعرف ذلك جيداً عندما عين برتبة جنرال بالجيش الأمريكى بعد أن ذاع صيته لنجاحه فى



— ١٩١٨ —

لخلايا أجسادنا. ونحن. كبحر. لدينا قدرات هائلة تمكننا من مقاومة أشكال هائلة لأنواع أخرى من فيروسات الأنفلونزا، إضافة إلى قدرة على استفرز مصادر الطاقة الكامنة داخلنا. ونجد، فى المقابل، أن فيروس الأنفلونزا مفيد، بشكل محدود، ويعتمد. كما أشرنا. على الشواهد مثل الخزائر والبشر بالدرجة الأولى. هكذا يقدم "بارى" فى كتابه، أكثر التفسيرات وضوحاً لكيفية تمكن نوع معينة من فيروسات الأنفلونزا من اختراق الخلايا البشرية والتكاثر داخلها، وخلال ما يقرب من عشر ساعات، إلى آلاف المراتب الممتعة من الخلايا الميتة والممتعة القادرة على تكرار الدورة الحياتية.

أوضح داري كيفية تغير الفيروس عبر

ما بين الطيور والخنازير والكانات الحية. وكل موسم جديد من مواسم الأنفلونزا، يحمل تحديات جديدة للمختصين الذين عليهم أن يحددوا، وعلى وجه الدقة، نوع سلالة الفيروس التى يمكن استخدامها لإعداد المصل المضاد للملح. وكذلك تحديد نوع الجراثيم التى يمكن ملايين الأطفال والمسنين تعاطيها لمنع العدوى. وسواجهة هذه التحديات لا تفريل التهديد الذى يظل قائماً ويتمثل فى أن كل نوع يظهر فجأة من فيروسات الأنفلونزا يكون على درجة من الاختلاف عن ما قبله، تجعله قادراً على مقاومة المصل وكل المضادات الحيوية المتركمة داخل أنظمة التحصين عند الطيور والخنازير والبشر. وتتميز الفيروسات، كشأن كل الكائنات الحية، بقدرة على التحول والتغير واستمرار انتشارها، بلا رحمة.

مات والده هو معسكر الجيش. وما نقلته إليه أمه لم يكن فيه الكثير من وواء الأنفلونزا. فقد ما فيه من الحرب التى اعتبرتها سبب وفاة زوجها. الجديد عند "بارى"، هو عثوره على ما يشبه رواية يوميات تسجل حالة الإصابة بالوباء فى كتاب بعنوان "فارس شاحب.. فارس شاحب، نشرته كاترين أن بورتز، عام ١٩٢٩، وكانت نفسها ضحية المرض. وينقل "بارى"، عن بورتز، قولها: ... راحت تفرق وتفرق فى ظلمات صيقة. وقادت كبحرة فى قاع الحياة مدركة أنها لم تعد ترى أو تسمع أو تتكلم. لم تعد تشعر بأعضاء جسدها. انسحبت إلى نقطة بعيدة عن اهتمامات البشر ولم تبتين سوى لحظة احتراق وحشية فى بؤرة من كينونتها لها مثل شكلت الدافع الوحيد وراء إرادة عنيدة لكى تقاوم الانهيار دون حراك أو مساعدة أو خطة... هذه المشاعر تبدو رافقة بالأسية لكى فقد أصيبت، فى الخمسينيات، بالتهاب رئوى (وهو القاتل الفعلى لمعظم ضحايا وواء الأنفلونزا). وربما شعررت وقتها بـ "قاع ظلمات والصحابات، بورتز. لكننى لم أشعر بتلك "الإرادة المستعلة للحياة. فى المقابل، ويفضل "الينسليين، إصاننى، النشوب ووقفت فى حالة إغما وصوت فى اليوم التالى خائر القوى بدرجة لم أرها فى

الأم الحصى متفحها حالة إغما، ويعددها إما أن نشفى أو نموت. وأظن أن هذا هو ما خبره معظم ضحايا وواء الأنفلونزا ما بين عامى ١٩١٨. ١٩١٩. لا يوجد الكثير لكى يقال ويذكر. ولا يقول كتاب "بارى"، الكثير عن كيف كان الحال عند الإصابة بالأنفلونزا الويالية فى تلك الفترة. لكنه، بصياغات أدبية غير عادية، وبزراعة مشيرة للإعجاب فى عرضه لكل جديد فى علم الأوبئة، يقوم بعملية تشخيص قوية للذاكرة المعاصرة فى وقت قويت فيه التهديدات من أشكال جديدة لفيروسات الأنفلونزا مميت ظهر ويترق لقل المختصين والعامية على نطاق واسع.

[٢]

يعد وواء الأنفلونزا من أخطر الأوبئة التى تهدد البشرية. وتكمن خطورته فى أن الفيروس المسبب له يكون فى حالة تغير مستمر خلال اشتقائه

المسيطر على وباء الحمى الصفراء في هافانا ومنطقة القتال (في كوبا). فقد عمل جورجاس على إنتاج وتخزين كميات كبيرة من الأمصال واللقاحات الحيوية والحاصل. رغم ذلك، وعندما نفّس وباء الحصبة في ولايتي جورجيا وكنتاس ما بين سبتمبر ١٩١٧ ومارس ١٩١٨، تبين أن استعداداته لم تكن كافية وتسجل الإحصاءات ٥ آلاف و٧١٦ حالة وفاة بالحصبة في معسكرات الجيش للبويرة. لكن هذا الرقم سرعان ما تضاعف أمام أرقام ضحايا هجوم الأنفلونزا الذي بدأ في الشهر الذي خمد فيه وباء الحصبة. ففي مارس ١٩١٨ بدأ وباء الأنفلونزا ينفّس في معسكر «فنتون» بولاية كنتاس. كانت الوفود قليلة في البداية، ولم يبدأ الاهتمام الواسع بالشوب والتحول إلا في شهر يوليو عندما حصلت موجة ثانية من الوباء المزود من الأرواح مع ظهور أعراض حادة تشير إلى أنها أنفلونزا غير عادية، وتزامن تفشيها في كل من برست بيرنسا، وري بورت ميرساير، وريوسطن ماسترستوتس. وسرعان ما راح ينتشر في أنحاء العالم تحمة السطن والطريق الحديدية ليصل ذروته في سبتمبر وأكتوبر ثم يبدأ في الانحسار تدريجياً بعد لوهيات متواترة.

يرجع جديد الأبحاث لنشأة وباء أنفلونزا عام ١٩١٨ داخل الولايات المتحدة على الأقل، إلى علاقة خيصة لفيروس أصاب بعض أهالي ريف كنتاس في فبراير من ذلك العام، وأن العدوى انتقلت إلى معسكر هاكلز، بواسطة ثلاثة رجال طلبوا لأداء الخدمة العسكرية في ذلك الشهر وقبل بداية موسم الحصاد في كنتاس. ونحن نعرف أن نشأة وباء أنفلونزا الطيور الجديد وتفشيه (بداية العام الجاري) كانت في ريف شرق آسيا. ففي الريف يعيش الإنسان على قرب شديد من الطيور والخنزير.

المصدر الأكيد للوباء القديم (١٩١٨) لم يتحدد بعد. لكن «باري» ركز انتباهه على سلسلة أحداث مترابطة ومنقطة عن مسار الوباء وانتشاره في الولايات المتحدة وبعض أجزاء من العالم. وقد لوحظت أهم إصابات الوباء مع نهاية أغسطس وعمل خلال الأيام الأولى من سبتمبر في معسكر ديفنس بولاية ماسترستوتس حيث تكسّم ما يقرب من ٤٥ ألف رجل من المعسكرات العدوانية وسجلت أيام الذروة ما يقرب من ألف و٥٢٠ إصابة، وحوالي ٢٠٠ حالة وفاة كل يوم. كان الأطباء والممرضات الأكثر عرضة للموت، وسقط العديد

منهم بين مرضى وموتى، وسرعان ما انهار مستشفى المعسكر وأعلن الخسائر الرسمية له، يوم ٢٦ سبتمبر، أنه لن يُسمح بدخول المزيد من المرضى مهما كانت حالاتهم. كانت الرعاية الصحية تعتمد تماماً إلى أن ظهر الدكتور ويليام هنري ويلش على مسرح الأحداث باعتباره «البطل الأمريكي» الرئيسي الذي أنشأ مختبراً علمياً للوباء، على الطريقة الألمانية، بوصفه بارى في كتابه بأنه «زعيم الحركة التي أوجعت أكثر مؤسسة علمية للدواء، وربما أعظم مؤسسة علمية في العالم كله». وقت ظهور الدكتور ويلش كان أكثر من ستة آلاف جندي قد خسروا داخل المستشفى صمم لاستيعاب ما لا يزيد على ٢٥٠٠ مريض، واختفت الأمراض وتزايدت المخاطر مع تزايد المرضى، أنوف وأذان نازقة، وجوه زرقاء، وزيات محطمة بصور غير معهود، جنباً إلى جنب مع جنث الموتى المتراكمة كالحيال والاختفاء. هذه الصور الدامية أفضت ويلش ورفاقه بأن هذا لابد أن يكون نوع جديد من العدوى أو الطاعون. لكن ويلش وبعض العلماء، سرعان ما تخلّوا عن هذا الاعتقاد وتوصلوا إلى أن سبب الوباء يكمن في نوع خبيث جديد من الأنفلونزا مركب من تشكيلة من الأوبئة الأخرى. ويقي السؤال يبعث عن إجابة محددة: ما هو سبب وباء الأنفلونزا؟

أوضحت أبحاث حديثة، في مجالات وباء السمل وأوبئة بكتيرية أخرى، أن معرفة الوباء تتطلب أخذ مسحات من الأغشية المخاطية للمرضى والموتى، ثم

محاولة إنشاء البكتيريا العالقة بتلك المسحات في المختبرات على أمل تحديد هوية الكائن الحي المسؤول، أو السبب للمرض. وتمتدّد هذه النظرية إلى فرضية أن كلاً ما شيد الحقنة، المسحات الصفراء، لا يرى إلا تحت المجهر ويدعى «الفيروس المترحق»، ربما يكون مسبب المرض. وكان الدكتور لويس، أهم أبطال روائية «باري» مبالاً إلى هذه النظرية خاصة وقد أثبت من قبل أن فيروساً مشابهاً يكمن وراء مثل الأطفال.. لكن تسمية السبب غير المرئي باسم جديد دون تحليده، تعدّ أمراً شديد الضيق بأن يرجع سبب مرض ما إلى «بخار عين منبت من مستنقعات» وهذا هو ما فعله أكثر أطباء أوروبا إطلافاً، فيما قبل العشرينيات، عندما أثبت الطبيب الألماني «روبرت كوتش» نظرية «الجروم المفاشي» وأعلن أن أنواعاً محددة من البكتيريا الحقيقة التي يمكن رؤيتها تحت المجهر، هي التي تتسبب في وبائي السمل والكوليرا. تمكن كوتش من تطوير طرق إنشاء هذه البكتيريا في معمله ثم قلّتها وإعداد أمصال مضادة. ولا يمكن لهذه الصور الدامية أن تُمّ طملاً لتثبت الفيروسات غير مرئية. لهذا لم يكن أمام أطباء ومعلمي عام ١٩١٨ إلا تركيز جهودهم العلمية إلى إيجاد علاج لوباء الأنفلونزا، على ضرورة اكتشاف البكتيريا العضية المسبوبة عن الوباء. وفي ألمانيا، عندما نفّس نوع بسيط من وباء الأنفلونزا، أعلن طبيب محترم يدعى ريتشارد بغيرير أنه اكتشف نوع جديد من هذه البكتيريا قال إنهما داخل حناجر المرضى وتسبب ما أسماه

بـ «الأنفلونزا البكتيرية». ويبدو أن الدكتور بغيرير ظلّ أن موقفه كمدير لهمسدر برلين للأمراض الوبائية سيحسم «اكتشافه» جذرياً بالتسديق. إذ أن المشور على تلك البكتيريا الجديدة في حناجر المصابين بالأنفلونزا كان أمراً شديد الصعوبة، (إضافة إلى فشل د. بغيرير في إيجاد الوسائل العملية الكفيلة بإنهاء هذه البكتيريا ومحاولة إبعاد أمصال مضادة للمرض.

ومن المؤكد، علمياً، أن ما حدث عام ١٩١٨ هو أن مجموعة متنوعة من البكتيريا غزت حناجر وزيات الأشخاص الذين تحلّلت أو دمرت المنسبتهم المخاطية نتيجة إصابتهم بغيروس الأنفلونزا الحثيث، هذا الفيروس الذي أحكم سيطرته وأحدث تلفيات وزيود أفعال لأظنة المناعة داخل جسم الإنسان، وغمر الرئة بخلايا ونفايات فيروسية، هذه هي الأسباب، المرجحة، وراء معظم الوفيات. أما بكتيريا الدكتور بغيرير فقد ظلت غير واضحة إلى أن تحسنت وسائل الفحص العملي وتم اكتشافها في مسحات الأغشية المخاطية، الأمر الذي دفع د. بول لويس إلى التحلي على فكرة وجود فيروس واحد وراء العدوى والحقن بالطريق الذي يعتقد أن بكتيريا د. بغيرير هي السبب لها، لكن هذه الاعتقاد انتهى بإعداد ممثل يستفيد من جثث الموتى لكنه عديم الجدوى في مكافحة الأنفلونزا. عدم فاعلية هذا اللقاح، وكل جهد بذل في إطار نظرية بغيرير، أمش من جديد نظرية الفيروس الواحد إلى أن جاءت الأبحاث عن الفيروسات الجهرية الإلكترونية القادرة على أن يجهل الفيروس مرئياً وأصبح من الممكن تمييز مختلف الفيروسات ودراسة سلوكها. لقد كان على الفهم المعاصر لفيروس الأنفلونزا، وقرائنا الحالية على إعداد المصل المضاد، أن ينتظر اختراع المجهر الإلكتروني. ويؤكد الحديث إلى عهد موازل بدل ما بين عامي ١٩١٨ و١٩١٩ وكان أكثر نجاحاً في إيجاد المصل المضاد للتهاب الرئوي رغم أن فاعلية هذا المصل كانت مقصورة على التعامل مع بعض سلالات الجراثيم التي تتسبب في الرئة، وأدت صعوبة تصنيعه إلى إنتاج كميات ضئيلة منه لم تكن متوفرة إلا قبل النهاية (الطبيعية) للوباء. رغم ذلك، وكما يقول «باري» في كتابه، تبين أن تلك الأبحاث والتجارب التي أجراها د. أوزوالد حول جراثيم الرئة هي التي قادت عام ١٩٢٣ إلى الاكتشافات الأولية





للمحضر النووي DNA في التركيب الوراثي.



حكايات «باري» عن بكتيريا الدكتور بغير وجهه الممثلة لإيجاد علاج للإنفلونزا، حكايات زائفة بالمعلومات وتثويرية يرويها بإعجاب ويضفي إيماءة درامية في تناول كل جهد. لكل عالم أو طبيب من أبطال روايته، رغم ذلك يعانى كتابه من أوجه نقص تجعل روايته عن وباء الإنفلونزا غير شاملة، ركز بارى على ما حدث داخل الولايات المتحدة لكنه لم يخبرنا عملياً.. لأن ما حدث في مكانين فقط ب الموقف الكارثي في معسكر فينفس بولاية ماساتشوستس والذي اقترب من بوابة أطول عن ما حدث في فلاديفيا. فبرز بارى فوق مدين أخرى مثل ديوروك وسوسطن حيث كان للوباء القدر نفسه من الشلل والفتك.

أما إشاراته إلى تفشى الوباء في أجزاء أخرى من البلاد فقد جاءت متلازمة وشيعة. ولم يقل «باري» شيئاً عن أوروبا. وما قاله. بالفضل. حفل بمفاهيم ناسجة عن رغبته في التسلط من خطر الإنفلونزا. يقول: على سبيل المثال. إن الهجوم الأثالي في ربيع عام ١٩١٨ ربما يكون توقف بسبب تفشى الإنفلونزا وإن «اللقاح الأثالي» لوندورف نفسه لأم الوباء الذي ألقده الممثلة. ثم تراجع قال إن لوندورف ربما يكون الخد من مسقوط جنود الحلفاء مرضى بالإنفلونزا ذريعة أو حجة لتوقف الهجوم.

وفي السياق نفسه يأتي قول «باري» أن هجمة إنفلونزا في عام ١٩٢٠ «اضمعت عقل وجسد الرئيس ويلسون إلى درجة دفعته إلى إنهاء صراع عن كليتيه شيوا ولويد جورج حول شروط معاهدة فرساي للسلام».

هكذا يحمل بارى الإنفلونزا مسئولة قرارات سياسية وحربية من المؤكد أنها تأثرت باعتبارات أخرى أكثر إلحاحاً. كذلك عانى كتاب بارى من قصور ملحوظ في تصويره لدى حجم تفشى الوباء في بقية أنحاء العالم. جعلتان فقط هما كل ما كرسه للمصير. البلد الأكثر تعداداً في السكان، لتلقها صفحة من الوصف المبالغ فيه عن الوباء في الهند، «لم يكن هناك إلا الموت في شبه القارة الهندية، القطارات تخادر حاملة الأحياء وتعود كل يوم محملة بالموتى والموت». وفي تصوير آخر معجم بالدراما

يقول «اندفع الفيرس بعنف مخترقاً الشغل، ميرالوب، إسبانيا، وسويسرا، مخلفاً العمال الجاهل وأراضاً ضريبة موت زادت في بعض المناطق من ١٥٪ من إجماع عدد السكان. معلومات مبهمه عشوائية وتكد تكون بلا معنى».

يضاف إلى ذلك أن بارى يتعمك مجموعة من المشتغلين بالخطب كإبطال لروايته رغم أن تجاربهم العملية لم تخرج بشيء يذكر مقاومة الإنفلونزا. ويبدو أن التجاحات اللاحقة في اكتشاف الفيرس جعلت بارى لا ينظر إلى جهود أخرى، غير فعالة أيضاً، وإن كانت مريحة ومساعدة، بذلها آخرون في مواجهة المرض ولحد من الوباء. لقد قلل من شأن أسياء فعلوا ما يفعله أمثالهم من مهنيين عبر قرون مصت: تقديم علاجات غير مفيدة. لكنهم. ومع ذلك. اكسوا للناس إن شيئاً ما يحدث وأن أطباء «باري» ليسوا أفضل منهم.

يعرب «باري» عن أسفه لتسياسة الحكومية والإعلامية التي حاولت التقليل من حقيقة الوباء، أو إنكارها. وينقل. بسخرية. عن مفوض الصحة العامة قوله: «إن من واجبنا إبعاد الخوف عن الناس، فالقلق يمتك بأعداد أكثر من تلك التي يمتك بها الوباء». وهذه مجرد أكاذيب أو انصاف حقائق صممت لطمأنة الناس، وقد تكون سمحت للمجتمع الأمريكي بالاستمرار في أداء وظائفه قبل وبعد تفشى الوباء، وحافظت على

السلوك العادي، في العديد من القرى والمدن. ومن أهم ملاحظة أن اقتصاد المجتمع الأمريكي في عام ١٩١٨ كان يقوم ويعتمد على تدفق السلع والخدمات عبر البلاد. وكل إعاقه لحركة التدفق هذه تعد تعقيداً للحياة. فلا توجد مدينة تستطيع أن تحيا دون إمدادات متواصلة من الغذاء والضرورية الأخرى. وقد زاد الجهد الحربي من قابلية هذه الأوضاع للانكسار بأن حشد ملايين الجنود في معسكرات جيش عشوائية. وكان من الضروري الحفاظ على «روتين» عمل يومي. وربما يكون الإنكار الرسمي لاقتراب الوباء القاتل من هذه المدينة أو تلك قد ساعد في تحقيق الأهداف المرجوة. لكن «باري» يظن أن مثل هذه السياسات الرسمية أوجدت عدم الثقة وفي المقابل لا تذكر فصول الكتاب شيئاً عن دور رجال الدين والجهد المتوط عادة بالقساوسة ورؤساء الكنائس لطمأنة رعاياهم وقت الأزمات. ومن المؤكد أن هؤلاء جابوا البلاد ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ لتقديم العون التقليدي عبر إقامة الصلوات والاحتشاد أداء شعائر وطقوس وخدمات دني الموتى. هذه الجهود لم تقدم الدواء لكنها طمأنت الخائفين وساهمت في الحفاظ على تماسك المجتمع الأمريكي، ولو لبعض الوقت.

لقد شيد بارى نمواً شديد البراعة بيديا وبينتهي بلقطة فوتوغرافية للدكتور بول لويس وهو يتحدث المرض الجديد داخل مستشفى فلاديفيا عام ١٩١٨ ثم وهو يحنى سكرات الموت بالحمى الصفراء عام ١٩٢٦ في البرازيل

جعل «باري» من الدكتور لويس النموذج والرمز للجهود «غير الجديرة» التي حاولت إيجاد علاج للوباء في المختبرات العلمية. وصفه بأنه «الذي من عرفهم، لكنه، وفي كل مرة يتحدث فيها عنه كان يكرر وصفه بالعابرة نفسها التي بدت وكأنها شعار أو «موتيف» لشركة الإنتاج الأفلام. وفي السياق نفسه صاغ العناوين الرئيسية لمصوول كتابه وكأنها ترديدات «كورس» في فرقة إنشاد: «هذه الأنفلونزا.. والحرب هناك والوباء هناك» «هنا، ولم يكن هناك وقت، لكن هذه الصورة البلاغية أضفت ظلالاً شبه لمحمية على النص. ولعل هذا هو سبب اختيار «باري» للعنوان الفرعي لكتابه، «القصة الحقيقية للوباء الأكثر فتكاً في التاريخ». ولأن هذه العبارات توحي بالحمية وتكررها عن «باري» قد أكثر من الهجوم إليها فسوى بذلك. في كتابه ما بين الأبطال والخادعين. وهنا قد تمكن حقيقة الأنفلونزا ذاتها، فوباء عام ١٩١٨ قتل من البشر أكثر من الذين قتلهم أي وباء سابق. لكن «حجم الفتك» وفدا حته كان بسبب كثافة بشرية مكنت الفيرس من العنصر على من يتفدى بهم. وفي النتائج النهائية فإن هذا الوباء يكاد يكون من الأوبئة العادية بـ ما قورن بـ «الموت الأسود» الذي تفشى في أوروبا وآسيا في القرن الرابع عشر. أو الطاعون الذي تلاح. فكلما كان له التأثير الأبقى والأقوى على المجتمعات البشرية، وحصد من الناس حصص أكبر مما حصدها وباء أنفلونزا عام ١٩١٨. ١٩١٩.

وطوال فصول كتابه يبريد «باري» أن ترتجف من الموت والعبادة وأن نحسب بإبطاله في المختبرات العلمية ونستوحي بشأن هؤلاء الذين حاولوا تهمة الأمور وطمأننة الناس بالكلمات والعلاجات غير الكافية وقد يؤخذ عليه هنا بدا في بعض الفصول كصحر إعلانات بريد. إن يملأ شاشات التلفاز بالمبالغاة والإثارة. لكن فهمه الموسوعي لعلم الأوبئة المعاصر، وتفسيره البارع لكيفية عمل الفيرس داخل جسم الإنسان، طفلان في بعض صياغاته التي جتحت إلى المخالفة.

ويبقى النص رسالة واضحة تجعل كتابة الكتاب الأكثر جدارة بالقراءة.. ذلك أن عودة انتشار الموت بفعل الأنفلونزا لاتزال قائمة رغم كل المعرفة العلمية المعاصرة، ورغم كثرة المنظمات العالمية المخطوطة بها مقاومة الأوبئة. ٣



تعتمد «وجهات نظر» إلى فتح نوافذ نقدية على أعمال أدبية غاب عنها الضوء لأسباب بعضها مفهوم. أملاً في أن تتسع دائرة الاهتمام والتي تحدد بدورها دائرة التلقي والجمهور، لتصبح أكثر رحابة وسعة. وتصبح معها الأرض أكثر خصباً ونماءً.

# أشجان العاشق

حلمى محمد القاعود

وعشرين فصلاً، وهي فصول مرهقة، بدون عناوين، وكل فصل يضم نوصية معينة من الشخصيات تكشف عن جانب أو قطاع من قطاعات المجتمع في المرحلة الراهنة وطريقة تفكيره وطبيعته القصايا التي تسفله أو ترفله، وتبدو الفصول الأولى تكاد تكون منفصلة عن بعضها، ولكن حين تصل الأحداث إلى النوبة لتتربط الخطوط، وتتجمع الأحداث في حدث واحد يكشف أزمة المجتمع وعقم المحنة التي يعيشها في القاع إلى القمة. في الفصول الأولى يجرى حوار بين راكبين متجاورين على ظهر الطائفة التي تقل الشخصيات الروائية جميعاً، وغالباً ما يكون المتحاوران متقاربين عالمياً أو فكرياً أو مهنيًا، وتنتشر على ملامح الشخصيات وتأثيرها من خلال الحوار أو تيار الوعي الذي يبدو حاضراً بكثافة شديدة على امتداد الرواية.

في المرحلة الجوية الطويلة التي تستغرق تسع ساعات بين مدينة أمريكية والقاهرة، نطالع صورة أول شخصية من شخصيات الرواية، حيث نرى مناضلاً (يسارياً) سابقاً يستعرض تاريخه ومواقفه وخلافاته مع رفاقه، وأساءه على الماضي القديم، وحين يطلب من الطائفة لا تقدم مشروبات ووجبة، ولدياً عمره أربعة شهور، ولكنها تتنخل عنه بوليدية، وواقعها المأساوي حيث تزوجت شخصاً يعمل في الخربة (بأمريكا) من أجل المال، ولا يمينه الشرف أو العرض أو أمه الذين تركهم في مصر.

وتتعرف على اثنين من علماء الدين لها علاقة بالتطعيمات الإسلامية، أحدهما كاثي صباري، وأيضاً إلى جماعة إسلامية، ويمثل الانتهازية في أجلى

وصية، لقمان الحكيم؛ «أبداً لا تشرك»، تنظم نفسك إذ تشرك كذب المشرك». إنها دعوة إلى الإيمان بقضية الوطن، والاستمرار في المقاومة. لأن النصر آت، وما هو إلاك أمه يهجره النصر، واكتمال النص مهما كانت المواقف. ومازال الراوي يتكلم، سيقى يتكلم، قد يتألم، قد يتعش قد يتعلم، قد يتألم، قد ينفذ فطرات من دم، قد لا يفهم، لكن يكفي أن يتكلم. حتماً يكتمل النص.

لقد ظهرت هذه الرواية عقب غزو العراق من جانب الهمجية الوحشية الاستعمارية، وسقوط عاصمة الخلافة تحت سنايك الغزاة، في ظل هيمنة امريكية بشعة على العرب والعالم، ودعوى كتب وخداع ومكر، لا أساس لها على أرض الواقع، وكان على الكتاب أن يبرز هذه البشاعة الاستعمارية، فلم يلجأ إلى التعبير المباشر من الغزو والاحتلال، ولم يشر إلى العراق بكلمة سوى كلمة «البصرة». اسم المدينة العراقية المحروقة. مقتربة باسم هيروشيما التي تميد إلى الأذهان صورة الوحشية الاستعمارية في أبشع تجلياتها التي لا تصح، ثم ركز على الداخل القسعي في بلاننا ليكشف الخلل الخطير الذي أصاب المجتمع في ظل الهيمنة الاستعمارية وتجلياتها العنصرية الاستعمارية، وإلحاحاً للحرب والمسلمين بصورة تجاوزت الاحتلال والفرز، وتصدت إلى التفاصيل الدنيقة في حياتهم وسلوكهم.



يقوم ببناء الرواية على أساس مجموعة من الفصول يبلغ عددها ثلاثة

السياق مصحوبة بالدعوة إلى حماية الوطن أو الحبيبة، والمقاومة مهما كانت التضحيات، فالحب يفرض المقاومة والتضحيات معاً. إن الفقرة الأولى من فقرات المقدمة تأتي في إطار أقرب إلى السريالية، ولكنه يستدعي الهمجية الوحشية بالقبائل النزوية، وقصفها «البصرة، بالبورانيوم المتضب، واحتلوها ووصلوا إلى كرسي الرشيد في بغداد وجلسوا عليه، وتقدم لنا الفقرة أداء شعرياً جميلاً ينقل نصاً من لفتى جداري في العرض الدائم مركز الزلزلة التاريخي في هيروشيما/ البصرة، عن احتراق اللوحة الحجرية لفتيكاي الكبير، والنص يبشر بالثورة والتمرد ونشر الحان حمراء تقضى على الغنى والظلم والصمت.

في الفقرة الثالثة ذات الإيقاع الموسيقي والأداء الشرقي يستدعي الكاتب زاراتش/ فيتنام، وجيفارا، بوصفهما من أبرز رموز المقاومة والمواجهة مع الهمجية الوحشية الاستعمارية، ويشرح بالموارد المنتظر الذي سيأتي ويتوجع، ويكيي ويفزع؛ «فلحاً هو آت، رأيت في هداة الموت بغنى في عين الإصعار، يخرج منها عملاقاً يتحدر، شيداً يتجذر، يقبل، يتكلم، يتعلم، يكمل الحرف الناقص، يصبح نفض الجملة، يمتصها الغنى الكامل، يزيل ضباب الصورة بوضعية رأس ذات أصابع شريفة.

تأمل حديث الكاتب عن الجملة والكلمة والحرف، ولالة ذلك فيما يرمز إليه من معنى المقاومة والبناء، وفيما يعود إلى الكاتب ذاته من اهتمام على بالغة، حيث يعمل أستاذاً للنحو واللغة في الجامعة.

أما الفقرة الثالثة فهي تستمد

■ «أشجان العاشق» هي الرواية الأخيرة في ثلاثية العشق التي كتبها «علي أبو المكارم» على مدى سنوات مضت، استغرقت نحو خمسة عشر عاماً. بدأت مع مطلع عقد التسعينيات في القرن العشرين. كانت الرواية الأولى «الموت عشقاً»، والثانية «العاشق ينتظر»، وقد تناولتهما في دراسة أخرى مع التركيز على الثانية التي تعرض للفساد الثقافي الذي يعيشه المجتمع، ومع أن الأولى ركزت على الفساد السياسي ومقاومة المجتمع له، فإن الرواية الأخيرة في الثلاثية تعرض لما يمكن أن نسميه تجليات الاستبداد على قطاعات الشعب المختلفة، مع إضافة عنصر الهيمنة امريكية وتجلياتها العنصرية الاستعمارية.

ولا ريب أن استخدام مفردة «العاشق» في عناوين الروايات الثلاث، لم يأت اعتباطاً، ولكن دلالة لا تخفى على القارئ الواعي، فالعشق هنا، ليس الغرام الذي يكون بين المرأة والرجل، ولكنه غرام من نوع آخر، يتوحد مع الوطني وهويته وتراثه وحاضره ومستقبله. إنه عشق الصوفية للذات الإلهية، حيث لا يشعلهم عن حبه شاغل، ولا يبعدهم عنه طارئ من الطوارئ، إنه حب دائم ومستمر إلى ما شاء الله... وفي إسهله للرواية الأخيرة: «إلى حبيبتي» غيبي على السلوان قادر، نحد تأكيداً على هذا الحب الذي لا يهبل بفصل الحوادث والأحزان والأشجان... بل إن الفقرات الثلاث التي يصدر بها المؤلف الرواية تصب في هذا

أشجان العاشق (رواية)  
على أبو المكارم  
القاهرة: دار الهاني للطباعة، ٢٠٠٣،  
١٨٧ صفحة



وتنتهى أحداث الرواية بإسقاط الطائفة أو قفدائها هي الحادثة المشهورة التي وقعت قبل سنوات بمثلث الخطر وعلى متنها صامون ضابطاً مصرياً في تخصصات دقيقة، عدا المدنيين والأمريكان والأجانب وطاقم الطائرة، ولم تمل التحقيقات إلى نتيجة محددة حتى الآن، وإن كان الموضوع قد أغلق رسمياً.

وبالتأكيد فإن حادثة الطائرة، وما جرى على متنها، تشير إلى رمز واضح جلي، لا يخفى على قارئ الرواية، بما فيها من شخصيات وأحداث، تمثل توحى بالواقع المعيش، وتكشف ما يتمثل بداخله من قصورات وسلوكيات وصراعات.



(٢) الطائرة هي المكان، وهي مكان مصغر، ومن خصائص هذا المكان أن يمثل المكان المكبر. وتجمع فيه جزئياته وخصائصه، فهي صورة للمجتمع الكبير وما يمر به من شخصيات وأحداث. كما سبقت الإشارة، والسؤال هو: لماذا الطائرة مكاناً للأحداث والشخصيات الروائية؟

لا ريب أن اختيار الكاتب للطائرة كان اختياراً موفقاً، لأنه يربط مصير الطائرة بمصير ربابها، وهذا المصير حيوي للغاية، على أساس أن كل حركة على ظهر الطائرة محسوبة، وتؤثر على الجميع، وهو ما تبدي في معالجة مشكلة نقص الطعام مع طول الرحلة واسترقاق المسافة زمناً طويلاً (تسعة ساعات)، فإيتار هريق بالطعام دون غيره يخلق مشكلة تهدد الطائرة والركاب جميعاً، وفساد قنات

الطائرة، وبلاها معالى

توزيع الوجبات، ووضع الجمهور بين اليأس والرجاء حتى لا يتحرك بالفضب والثورة، مع رفع شعار الديمقراطية الموسعة..

وتتداعى الأحداث، لتشترك السيدة الأمريكية (ضابط الاتصال) مع سيادة اللواء في حوار عنيف، تذهب على أثره إلى معالى الباشا، وتتمسك بما تعده حقاً لها، وتصر على المشاركة برجالها في تأمين الطائرة، ويستسلم معاليه لإرادتها، وتكتشف من خلال الحوار صرامة تقاليد الجيش المصري في حرصه على مصلحة الوطن، بينما يبدو جهاز الشرطة أقرب إلى الولاء للسلطة

أيًا كانت!

ضابط الاتصال الأمريكية تمارس الهيمنة والفسطرة، وتقدم لمعاليه مطالب مذلّة وهيئة للكرامة الوطنية، وتهدد باستخدام القوة من خلال (المارينز) القوة الأمريكية على ظهر الطائرة، ويستسلم معاليه، فالخارفة قائمة بين المصريين والأمريكان، الأولون قوتهم مجبرة من السلاح، والآخرين مصلحون دائماً، لأن تملحهم الدائم شرط متفق عليه بين الحكومتين الأمريكية والمصرية.

حين يبدأ الحوار الديمقراطي الموسع، من أجل حل مشكلة الوجبات الأمريكية من خلال الصفقات، وسداجة التبار الإسلامي، وتفكر التفاهة والألم الرخيص.

وتقتبس الرواية نوعاً من التاريخ تتوازي مع الواقع التهرى وما فيه من إشالي وصعوبة ومطالم وتخطب وكلام فتأمله بلا علة، وأحياناً يشيع لدى الجميع.. كما تتمتع الرواية قواري لا حل لها تدخل في إطار الهيال (الافتازيا) وتعتبر عن الخلل والعقد التي تحكم حياتنا.

الأغاني والتاجر المنتج أو المخرج للذنان يسعيان إلى الكسب من خلال تأليف الأغاني البنيقة الهائلة، ثم المنحمة (الساقطة) ذات النفوذ والكتاب الصحفي الذي يكتب من الباطن لروائيه، ويفكران في تقديم برنامج تليفزيوني يستضيف البارزين في التخصصات المختلفة للحديث عن قصص نجاحهم، ومواجهتهم من خلال (المونتاج) بالقصص الحقيقية الموقفة..



هذه النماذج التي مراها على امتداد نصف صفحات الرواية تقريباً، تلتقى أو تتجمع رؤياً مع بداية تفقد الأحداث وتوترها، عندما يلتقى السوبر فايزر، كبير المضيفين، ذو الأصل المتواضع مع الضيفة ذات الأصل الرفيع، ويخبرها أن الوجبات الموجودة على ظهر الطائرة أقل عدداً من الركاب، مما يعنى أزمة خطيرة وهو ما يقتضى معالجة الموقف بطريقة ما، وتطرح الحلول على أساس التمييز بين الركاب المصريين والأجانب والوفود العسكرية، أو إلقاء بعض الركاب بالتنازل عن وجباتهم لصالح الآخرين. وتسمى الضيفة لإقناع الوفد العسكري الذي يراسه معالى الباشا للتدخل من أجل حل المشكلة، فيشكل معاليه لجنة للتوزيع، وتحفظ على الوجبات في مكان آمن! ويحول الوفد العسكري المسألة إلى «معرفة» تحتاج إلى التخطيط والإندار وقرار هجوم، وصير الأمر أقرب إلى مخبرية كارينكاتيرية، حين يستدعى الموقف خطراً حماسية من خلال حوار معالى الباشا وسيادة اللواء، ويتطور الموضوع للبحث عن الصحفي الموجود مع اللجنة لصياغة بيان باسم معاليه لكسب الوقت قبل

صورها، كما كان شراً على الجماعة حيث أحدث انقساماً في صفوفها.

وهي ركن من الطائرة (الدرجة الأولى) لتلقى بشخصية كبيرة (معالى الباشا) وتحاور مع سيادة اللواء، حول طريقة تعامله مع الأمريكان، وكيف تعد السفارة (سيناريو) ليمسر وفقه في تعامله وتعامله، ولكن معاليه يبدو معتاداً بنفسه وكأله، فيتمى السيناريو والتعليقات الدبلوماسية، وينطلق على سجيته، ومعاليه حريص دائماً على إشعار سيادة اللواء بنديته وتبعيته له. ويريد اللواء ودونية وتبعية ما يستشعره تجاه المرأة الأمريكية التي تعمل صحفية، وهي في حقيقة الأمر ضابط اتصال بين الأمريكان والحكومة المصرية من خلال الوفود العسكرية المصرية التي تعد إلى أمريكا للعمليات أو التدريب، حيث تبدو الأمريكية عالمة بتاريخ مصر القديم وحضارتها وتشرح له كثيراً من حقائق هذه الحضارة وذلك التاريخ، مما يضعه في صورة «الجاهل، الأحمق»!

تسرى في ركن آخر (الدرجة السياحية) رجل وامرأة معهما طفل رضيع يتشارجان. الرجل معيد يعود مع المرأة (زوجته) إلى الوطن، بعد حصوله على الدكتوراه في اللغة العربية، وهي حاقفة عليه بسبب بوذته إلى مصر، وتركه فرصة ذهبية لجميع المال، ومثاليته التي لا تقدر حقائق الواقع الوطنى المرير!

وهي وشاهد أخرى في أركان أخرى من الطائرة نجد نماذج بشرية عديدة أبرزها الطفلة التي تتحدث عن أبيها العربي وأميها المصرية التي طفت، وزوجة أبيها الأمريكية، ثم الباهتان اللذان يتحدث أحدهما عن البعد الخامس، ويتنقل الآخر بالبحث من جهاز لتكميل الأنظار يشتره، ثم مؤلف

لعدد السابع والستون. أغسطس ٢٠٠٤ م



## أشجار العاشق

دجاجة، تباشر أعمالها أو تبدي زواها، أو تمارس سلوكها وهي واقفة عند المستوى التربوي والتعليمي والخلقي الذي وصلت إليه، فلا هي تتغير، ولا هي تنمو، فهي ثابتة وإساسة الملامح والقسمات.

وكما رأينا من قبل هناك «اليساري» السابق، والمرأة البسيطة التي تحمل طفلها عائداً إلى الوطن بعد أن فجعت زوجها الذي لا يهجم غير المال ولو ضحى بضره وشرفه، وعالم الدين اللذان يبدوان أقرب إلى السداجة السياسية، ومعالي الباشا وسيادة اللواء اللذان يترسان وفقاً عسكرياً علاناً بده مهمة في أمريكا، والعبد الذي يتشاجر مع زوجته بسبب رغبتها في البقاء في أمريكا من أجل المال، وضابطه الاتصال الأمريكية وأخرون من المارينز، والثنان من الباحثين أحدهما مشغول بالعلم ومعرفة البعد الخامس، والآخر مهوم بالبحث عن جهاز لتشجيع الأطفال، ومؤلف الأغاني الطافه، وتاجر، أو منتج الساقطة وكاتب السلطة، والسوبر فايزر ذو الأصل الموضع والمضيئة ذات الأصل الربيع، وقال الطائرة الأتاني الذي لا ينفسه.

هذه الشخصيات الكثيرة، تمثل أغلب قطاعات المجتمع المؤثرة والمهمة، وقد أتى بها الكاتب في إطار يمكن تسميته بالمعارفة، حيث نرى الشخصية في مقابل الشخصية النقيض، أو الشخصية التي تبرز جوانب الشخصية الأخرى، لذا في معظم الشخصيات الروائية لا تمثل بطونة مطلقة، أو تقوم بالذم الرئيسي من الأحداث باستثناء شخصية «معالي الباشا» التي صنعت من الأزمة الشخصية بالوجوب، حاكماً عاماً على الطائرة، ومعه تابعه المناظير المتخلف «سيادة اللواء» وإن كانت ضابطة الاتصال الأمريكية التي تقود المارينز وتنتمي رسمياً إلى المخابرات، تبدو الحاكم العام العلني على الطائرة بمن تتحكمه من قوة عسكرية، وضو مهيم، وعجرفة عنصرية، وسلطة متوقفة.

حينما يبحث معالي الباشا عن صحنه على ظهر الطائرة، يقدمون له

وقسوته ومضاعفاته، وانعكاساته، وهي في مجملها غير سارة بل غير أمينة سواء للكاتب، أو لغيره من أفراد المجتمع، كما تشير معالجة هذه الفترة إلى الكارثة التي تنتظر المجتمع إن لم يتدارك أخطاءه، ويبادر إلى إصلاحها أو تصحيحها.

والكاتب للزمن الروائي، فإنه يمتد إلى نحو بضع ساعات قليلة منذ ركوب الطائرة من أحد مطارات أمريكا، حتى سقوطها في مثلث الخطر تكثيف الزمن الذي يسبق سقوط الطائرة يصب في دائرة الإحراج على الخطر الذي يترصص بالمجتمع، ويهيب أفرادها جميعاً، لا يفرق بين معالي الباشا الذي صار أمراً ناهياً في الطائرة، ولا عامة الركاب سواء الذين في الدرجة الأولى أو الدرجة السياحية أو درجة رجال الأعمال، أو أولئك الأمريكيين بغيرتهم وعصبيتهم التي تبتت على ظهر الطائرة، معرضون للخطر، وهذا ما كشفت عنه تداعيات الأحداث على أرض الواقع، وتكشف عنه يومياً، حيث لا نستطيع مداهمة هذا الخطر مع كل ما يمكنه من أسباب القوة وتجليات وهيمتها (والعراق نفسه مثال واضح على ذلك).

ومع أن الزمن الروائي يبدو أقرب إلى زمن القصة القصيرة، فإن استخدام الرواية لتبيان الوعي، أتاح للكاتب أن يردت إلى الوراء ليكشف تاريخ العديد من الشخصيات أو بعض جوانب المهمة على الألف، أو يشير إلى الماضي (التاريخ) ليوازن بين واقع مزيف رديء، وماضٍ أصيل جميل، كما جرى بالنسبة لشاعر الرواية الرعشي الأفاق الذي لا يعرف شيئاً عن أحمد شوقي وأحمد زامي وأضرابهما من شعراء الأصالة والجمال.

الزمن لا يختلف من المكان في إعطاء دلالات ذات أهمية سواء الزمن التاريخي أو الزمن الروائي، فالزمن لا يبعد عنا ولا تبعد عنه، إنه السنوات الأخيرة أو العتمة القرمية والعتمة في أيامنا الزامنا بكل أحتمالاته وخطاه واستعابها وعصرها، ومعالجة هذه العتمة في حد ذاتها تمثل جرأة محمودة من الكاتب، لأنه يواجه الواقع بمراساته

تكشف لنا عن طبيعة الشخصية وتكوينها الاجتماعي وتاريخها القديم، فهذا اليساري السابق، الانتحاري الذي صار من القطاب بعض الجماعات الإسلامية، تعلم أنه ولد في حي عشوائي جعله تاريخه فيه يتحول تحولاً مثيراً، «من كان يظن أن صبي غزاة الهجاة الذي اشتغل منذ الثامنة ناضوجياً، واغتصبه زينهم العجالاتي وهو في العاشرة، مدلاً من أن يصبح وفقاً لكل التوقعات هجماً، يصل إلى ما لم يصل إليه أحد، يجتمع العلماء والفكرين والمخططين في مركز بحثي من أهم مراكز الجامعة المشهورة بعد آلاف من خلاله...»

المكان إذ له تأثيره وله موصافاته، حتى لو كان ذلك بشكل القرصاني، فصبى هزة الهجاة يفترض أن يصيب «هجاماً، أما أن يصبح داعية إسلامياً مشهوراً يشار إليه بالبنان، فهو ما يخالف الافتراض.

المكان قد يكون ذا دلالة عنصرية بمعنى تفرق شعب على شعب أو بشر على بشر، فالشعب الروماني مثلاً يتميز على الشعب العربي، لأنه ضحى بأعداد كثيرة من الأفراد لينال حريته، ويحقق استقلاله وكرامته... أين تضحياتكم مما حدث في رومانيا مثلاً حين قتل أكثر من ستين ألفاً في يوم واحد من أجل إسقاط النظام... أنتم تريدون السلطة على طبق من ذهب، تريدون أن تدفعوا غيركم ليقال ممرحتمكم أو تقدّمون التضحيات اللازمة...»

الزمن لا يختلف من المكان في إعطاء دلالات ذات أهمية سواء الزمن التاريخي أو الزمن الروائي، فالزمن لا يبعد عنا ولا تبعد عنه، إنه السنوات الأخيرة أو العتمة القرمية والعتمة في أيامنا الزامنا بكل أحتمالاته وخطاه واستعابها وعصرها، ومعالجة هذه العتمة في حد ذاتها تمثل جرأة محمودة من الكاتب، لأنه يواجه الواقع بمراساته

الباشا أو استسلامه، وتفاق سيادة اللواء، وشراسة الأمريكان وسداجة الركاب وتفاهم تكبيرهم سواء كانوا من هذا التيار أو ذاك، وعناصر الإفساد كاتب السلطة والمديعة التلفزيونية الساقطة) وخداك الركاب... كل هذا يؤسس للمصير البائس الذي ينتظر الجميع، وكأن الرواية تهيب بأفراد المجتمع كله أن يهبوا لإنقاذ مجتمعهم، وفقاً لأسس التعامل التي ينبغي أن تقوم على العدل والشفرة والنزاهة والحقيقة والقوة المادية والإرادة الحقيقية وعدم إعطاء الفرصة للشر، كس يهيمنوا أو يسيطروا أو يتفلسفوا... ولا فالنهاية ستكون انهيار المكان (الطائرة) المجتمع كما سقطت الطائرة بفعل محمول في مثلث الخطر، أو مثلث الخطر.

قد تستدعي الرواية عن طريق تيار الوعي بعض الأماكن هنا، أو هناك، وهي بلا شك قدمت لالة على طبيعة الحياة أو البشري، مثلاً نرى إشارة إلى أمريكا، المكان وما يحير فيه من سلوك وعلاقات، وهي علاقات أو سلوك تكشف تصورات بعض الناس وطريقتهم في الحياة، فالمرسى أو المصرية الذي يشعر بالانتماء إلى المكان الأمريكي بالحصول على الجنسية يمثل فائدة مادية كبيرة على أكثر من مستوى، والمرأة المصرية العائدة إلى وطنها، تقول لأخري:

«لدينا ولد أمريكي نعمتنا حتى بعد حصولنا مستقبلاً على الجنسية (تقصّد الجنسية الأمريكية)، يقدمون مولوداً غنائياً، بالإضافة إلى الطبيعة له ولأمه، ويجب أن تحصل على هذه المنة...»

والحصول على المنة تلام أولاد، ليس هو الفائدة الملموسة فقط، بل الجنسية الأمريكية لتلوه، أو والوالدين فيما بعد، هي مصداق أمان، ليس في أمريكا فقط، ولكن في الوطن الأصلي ذاته، حيث يصبح حاملاً مصداقاً ضد أي عدوان من الأفراد أو السلطات، إذ أن أمريكا لا تتوانى قط عن المدافع الأمل من كل من ينسب إليها سواء كان أمريكياً بالميلاد أو أمريكياً بالتجنس... أيضاً نرى إشارة أخرى إلى المكان





## أشجار العاشق

إخلاص رجاله ما كان يسمى باختيار الترقى، وهو ذو درجات سبع، ويتم الانتقال فيه من الأولى إلى ما يليها مما هو أسفل منها، ويلتحق الجدد الذين يختارهم الخاقان لخدمته عند أول عهدهم بالدرجة الأولى، وكلما أراد الواحد منهم جداً في خدمة مولاه وتقرّباً إليه انتقل إلى الدرجة السفلى منها، فإذا بلغ السابعة من الدرك الأسفل فقد بلغ العاية، ووصل إلى النهاية، وحار قصب السقي، وصار من أهل الحظوة.

قال بعض المحققين: الحظوة الحاء المهلة والطاء المعجمة، وقد التبست عند بعض صغار التلاميذ فكان يقرؤها بالحاء المعجمة والطاء المهلة، وذلك شيء آخر مختلف عما نحن فيه، فذكره إن شاء الله في موضعه من كتابنا المسلك في دروب الممالك.

إن التضمين بالأشكال المعجمية والأغاني في ردود الفعل حول خبر ضياع الطائفة وسماع الانفجارات حيث اقتربت من منطقة مثلث الخطن وتعددت الروايات حول وجود الانفجارات من خارج الطائفة أو داخلها، تشير إلى وعي الناس المقلب بالجانح وإدراكهم لسماسة دون أن يفصحوا، أو يتعاملوا مع الواقع بصورة مباشرة، «التي خلف ما متش»، «أو شبر وقي وخد بعضه ورق»، «كل دا كان ليه».

لقد استغاثت الرواية من حدث إسقاط الطائفة في مثلث الخطن استعادة كبيرة، ووظفتها لتطسّق ثلاث عديدة ومتشعبة تصب جميعاً في الخوف من المجهول الذي يستطر الجميع ما لم يتداركوا إصلاح أنفسهم وواقعهم.

إنها تكشف عناصر الخطر الداخلي وعناصر الخطر الخارجي، وما الطائفة إلا صورة مصغرة للمجتمع الكبير الممتد الذي يخترق فيه سوس الفساد، ويوشك أن يقبض، ويهدم بنيانه، ويطنع فيه الأعداء.

وقد جاء بناء الرواية على هيئته مشدداً اقرب إلى السيناريو ليسصور الملامح القويبة في لقطات دالة ومؤثرة، من خلال لغة شاعرية راقية موسيعة، حتى في صورتها العامية التي تشير إلى عصر الانهيار وبعثها الحزنة

كما نرى في وصفه لغة الإدارة التي تقوم على الإنشاء الأجوف والمعارات النمطية، وتشكيل اللجان للأمور النافذة. فمن قبيل العبارات النمطية المكررة التي فطنت دلالتها: «المقبورية الوطنية التي تتجلى دائماً في المواقف الصعبة والتاريخية، والتي تؤكد مقدرة المواطن على مواجهة التحديات بفضل التزامه المطلق بالتوجهات السامية لقيادته الرشيدة». وقد التزمت اللجنة في عملها بتوجيهات معاليه، وكان سيادة اللواء يشرف بنفسه على مراحل العمل وخطواته وينقل توصيحات معاليه إلى العاملين في اللجنة، فقد أشار إلى ضرورة تحريك المقعد الأول للتمسك بالقاعة، كما أشار إلى أن المقعد الأخير يجب أن تقسم بحيث يوضع قسم منها أمام المقعد الأول في شكل نصف دائرة، ويوضع القسم الآخر في شكل... الخ؟

وعتقاً من الكاتب رأى أن الحوار بالعامية، وخاصة بما يتضمنه من الفخاظة هابطة أو صديق تعبير من الواقع الدردى المتزهق، الذي افتقد فيه الناس الحضارة والأخلاق والعدل والحرية، وإن كنت أعتقد أن للصحفي، والمؤلف، فادر عليها. ووعثها وروثها حين تنقل هذا الواقع بأدائها ودلالاتها، وفي كل الأحوال، فإن غاية الكاتب من التعمير بالعامية في الحوار، من وجهة نظري، تعد صرخة لانتقاد ما يجري بصوت عالٍ وحاد، لعل أحداً يسمع صوته في البرية الموحشة.

على الجانب الآخر، يتبسّث الكاتب، أو يوحى بالانقياس، من كتب تراثية لعتها جزلة وقوية، فيها من الدلالات ما يثير من صورة القوي المعاصر بصورة ماثلة، فالراكيان التتواران يتناقشان، ولكن الركاب القارئ يرفض المشاركة في الاستطلاع الذي تجرعه لجان معالي الباشا أزمة قوزنق الطعام على ظهر الطائفة، ويتابع قرأته في كتابه الباشا، معجلب المخلوقات وغربالب الكائنات، ومنه.

وكان مما يجتريه به الخاقان الأكبر

شرسه وأنها كلما زادت حمدة ذلك على اقتراب الفجر وبلائج النور..

إن شخصيات الرواية لا تحمل أسماء، يشار إليهم عادة بوظائفهم ومهنتهم: الباشا، اللواء، العميد، ضابط الاتصال، الخديعة، الضيف، الولد الصحفي، المناضل المرأة التي تحمل طفلاً، السوبر هايزر، الخديعة، قائد الطائفة....

وهذا التعميم أو التجويز، يشي بأن المسألة ليست محدودة، ولكنها ضالعة وموجودة في خلايا المجتمع، وإن كانت بصور أخرى، ولاملاح أخرى، كلها أو معظمها يعضض فساداً أو استبداداً وانتهازية وقناعة والحطاط، وإبتدالاً... ولعل هذا كان من وراء ما يشبه القصائد العنصرية التي تأتي عبر تيار الوعي، ترفض هذا الواقع البائس وتبشر بالأم، على النحو الذي رأيناه عند تناول حال أساتذ الجامعة، على سبيل المثال.

لغة على أبو المكارم، شاعرية، لأنه في الأساس شاعر وإن كان مقادلاً، وفي روايته السابقتين مقاطع كثيرة يمكن أن تكون فصلاً، فهي تكتمل فنياً من حيث الوزن والصورة والمصاحفة والتجريد، وقد أشرت إلى ذلك تفصيلاً عند تناولهما، ولكن الأمر يختلف مع هذه الرواية، فقد خلط خطوطاً جديدة شاماً، وهي اعتماد العامية لعل للحوار، واختار من العامية الأنفاظ أو اللهجة الجديدة التي طارت على الألسن في السنوات الأخيرة، وهي اللهجة التي تنطبع بصوتوه الراهن وما فيه من ابتذال وسوقيّة والتهيار خلقي والحطاط ذوقي.

ومع ذلك فقد ظلت لغة السرد شاعرية تقبض رقة وعذوبة، به الكثير من المقاطع المكثفة التي ترقى إلى مستوى الشعر، وقد ساعد تيار الوعي، على التقيد الأسلوبى والصياغة المجنحة في العديد من المواضع. وتجنبت اللغة السردية في أشجار العاشق، إلى السخرية أحياناً من بعض الظواهر القائمة على ظهر الطائفة،

كاتب الباطن، ليقوم بدور «كاتب السلطة، على ظهر الطائفة، فيكتب بيان معاليه الذي يثبته على الركاب حيث تبدأ المناقشة الديمقراطية الموسعة، كان يحلم أن يصل يوماً إلى رئيس صفحة، يكتب اسمه على رأسها، وما هو معالي الباشا يفتح له الأبواب من عه اسميه، الولد الصحفي، ويرى أنه أحق أن يكون كاتب السلطة الأول، فهو أفضل من الأشرف الجاهل الذي يرأس مؤسسة كبرى ويحرف بأفلام غيره، والخبر الذي صار صولاً له في مؤسسة أخرى تصدر المديد من الصحف والمجلات من أقصى اليمن إلى أقصى اليسار، وال... إنه أحق من هؤلاء جميعاً، ويبدو أن الأمل فتح أبوابه ليكون كبيراً وقريباً من أهل القرار.

كاتب الباطن ينجح في خدمة معالي الباشا عن طريق عمل حزبي بين السياس والأمل لدى الركاب، حتى لا يشووا، اليأس وحده يذهبهم إلى التحرك، والأمل وحده يجعلهم يتحركوا، أما التوازن بين اليأس والأمل، فإنه يجهض التفكير في الثورة!

وقد حظي برضا الباشا الذي انعم عليه بوجبة ليكتب بعدها البيان! أما معيد الجامعة الذي تخصص في اللغة العربية وعاد مع زوجته إلى أرض الوطن بعد حصوله على الدكتوراه، فإن زوجته ساهقة عليه، وكانت ترفض العودة لأن الأحوال في الوطن سيئة، وترى أنه لا تصح العودة حتى لا يمدوا أيديهم لأحد، وحين يخبرها أنه سيكون مدرساً بالجامعة تستمر منه، مدرسين عريى با حسرة، لا فاتح مكتب ولا عياد، ناقص عقل، لا يا محسنين... عيب.. عيب.. العود لأن الأحوال في الوطن سيئة، الأوضاع، وأعلنت بالموازين، وحولت قيم المجتمع.

إنها صورة مخيفة حقاً حين يصير أساتذ الجامعة على وشك التسول، وخاصة من لا يملك مكتباً ولا عيادته ولا صيدلية، ليغطي دخلها احتياجاته ونفقاته، وإن كان الراوي من خلال تيار الوعي يبدو متشاكلاً بأن هذا كله لن يمر، وإن هذا يمثل ظاهرة مرضية رائكة مهمما بعت مستهزئة مهما كانت

العدد السابع والستون - أغسطس ٢٠٠٤ م

تتمت وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يصادفونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرثونه من إصدارات. ❦

**الحركة القومية العربية**  
يعين عثمانية (١٩٠٨، ١٩١٨)  
حسن قبالى  
ترجمة: فاضل حنكر  
سوريا: دار قدس، ٢٧٠ صفحة



يستهدف المؤلف من كتابه المساهمة في تعامل البحوث التاريخية العربية والتربية حتى تقدم معرفتنا أكثر بتاريخ المنطقة، الذي تعرض في كثير من فصوله إلى التأثير متبادلة بين الطرفين العربى والتركى.

ومع أن كتابه ليس عربياً، إلا أن كتابه يفتح المجال أمام إعادة النظر في الكثير من المسلمات والبداهيات التي سكنت العقل السياسى العربى، فالكتاب يمثلنا للمرة الأولى على بعض وثائق الدولة العثمانية وهي في ازدهار الأخير وتوزيع ممتلكاتها العربية على الإمبرياليين البريطانيين والفرنسيين، ودخول الإمبريالية الأمريكية والحركة الصهيونية بمطامعها في المنطقة العربية.

يستعرض الكتاب شهادات بعض المؤرخين التي ترسم أن العرب الحاصلين على التقسيم في المدارس الأوروبية التثنية، امتلكوا نظرة عثمانية مؤالفة للعرب، فكانوا طلائع الحركة القومية العربية.. بالإضافة إلى اهتمام الحكاميين الإسلاميين بسجاد أوائل المسلمين من قبل أن تصعب عن تشجيع العرب بوصفهم حملة الغزاة الإسلامية. كره على الاحتجاج الإمبريالي، دون أن تمكن هذه الحداثة أن تتحول إلى برنامج سياسى مؤهل لنسف مشروعية الدولة العثمانية. في حين يرى آخرون أن شريحة واسعة من القادة العرب اندمجت بالنخبة العثمانية الحاكمة خلال الفترة الحميدية، إلا أن المطامع بالسلطان عبد الحميد في قبيل تركيا العذبة تخلصت عن استبعاد العرب، وهو ما أفضى إلى تسييس النزعة العربية، والاندفاع عن تركيا بعدما

ويقول أحد التفسيرات التركية لثورة هذه النزعة العربية من وراء العرب للحلقة الإسلامية المتحدة بسلطانيات عثمان، شهدت تصدعاً هائلاً حتى أقدم فرمان تركيا العثمانية المعلن صراحة على الانفصال عن العمارسة

العثمانية تجاه ممتلكاتها في الدول العربية، ويقول المؤرخ التركى شريف ماردين أنه من المغلوط افتراض أن شرائع ذات توجهات عربية من النخبة العثمانية كانت مسجدة إلى مفهوم الدولة القومية الذي كان سائداً، أو أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ولكن ليس بأى معنى عربى، فهدد الخب واجهت في مساعيها الرامية إلى بناء دولة تركية على طراز الدول القومية ثلاث مشكلات أدت جميعها إلى إثارة مسألة العلاقة بين المركز والأطراف وهي: إرادة الشعوب غير الإسلامية في الوثقة العثمانية، واندماج الأطراف الإسلامية المولدة بأكثريتها من الأقاليم العربية، وتوحيد هذين العنصرين في نظام سياسى حديث.

ورغم أن الكاتب يأخذ على ما يسمى بـ «الثورة العربية الكبرى» خلال الحرب العالمية الأولى أنها حاصلت مع القوى الأوروبية العاصدة للخلافة في تركيا، إلا أن الكتاب النبلى أيضاً تقاضى من التحالف التنبلى التي أقامته تركيا الأتاتوركية مع القوى الأوروبية ذاتها، وهي قضية ربما تحتاج من المؤلف إلى كتاب آخر.

**على شفاط الأصيل - ديوان شعر**  
مفروق الحضر  
طردوس: دار طراج للطباعة والنشر  
والنشر، ٢٠٠٤، ١٠٩ صفحات



١٢ قصيدة تحتويها هذا الكتاب، تنصص كلها بالشعور الجميل وخاصة في قصيدة، طفوس سجيئة، التي تبدأ بأبيات مفصلة على الشاعر الذي يعلم كبراته بارقونة تزدان في صدره، وتنتهي بأمال كيار لتتطرق موسام فتفتح فيها الأبواب للحرر البوى.

والديوان في مجمله يقدم تجربة إنسانية غنية للشاعر العباسية، ترصد الأثران الأنيب، وتحاول أن تتجاوزها وتكاملها على موعد من أهرام قادمة في زمن تتزعج فيها موابيل الصباح مع قوافل المطر.

**الجسد في الرواية العربية المعاصرة**  
د. سعيد الكوكب  
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة «كتابات نقدية»، ٢٠٠٤، ٢٢٦ صفحة، ٢ جبهات



ينطلق هذا الكتاب/ الدراسة من افتراض أساسي وهو أن الجسد في التصور الإنساني ليس جسداً واحداً، حيث تتشكلات أشكاله وصورة في الفن والأدب.

فالجسد الذي يقدم في الروايات ليس جسداً واقعياً، بل هو تشييل رمزى للجسد غير الملف حيث يفتتح باب الاختيارات على مصرعها. فقد يكون الجسد وسيلة للتعبير عن العلاقة المتغيرة والوطى، وقد يشعل الكاتب بالجسد بوصفه وسيلة للتعبير عن العلاقات الوجودية بالكون والأفراد وقد يحرص الكاتب على الاعتماد على الميتولوجيا في بناء قصه، وهو ثم يكون تشييل الجسد معتمداً على لغة خاصة به.

الكتاب يتناول بالدراسة ثلاث روايات من القطار عريضة مختفلة، وهو «وليمة لأعصاب البحر» لجيدر جيدر، والبير، لإبراهيم الكوكب، ومدينة العزير، لعزير القمحاري، وهو ما جعل الكتاب يتميز بطابعه التطبيقي، بحثاً عن ملامح التمايز في طرق الإبداع للتعبير عن تناول قضية الجسد داخل النص الأدبى.

**الإسلام في مواجهة الاستئصال**

د. حلمى محمد القاعود  
القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤، ١٨٩ صفحة



يرى الكاتب أن الأمة الإسلامية تعيش فترة عكسية غير مسبوقة في تاريخها الطويل، تنتشر فيها «الأممور»، الذين يسعون لخاية واحدة وهي استئصال الإسلام، والفتنة عليه مبنى ومفهوم شكل ومضمون، دارجاً ومستقبلاً. وهم

يصعلون ذلك ليس بالجيش المسلحة الحرارة وحدها ولكن باستخدام ما هو أكثر فتكاً وقتلاً، من خلال العزى الهادف لتفريغ المسلم من عقيدته وخلافه وصموده وجهاده وحرية، وتحويله إلى كيان هشى دليل يتبع بالأممور، ويكون ديلاً لهم.

وعبر فصول الكتاب، يحاول المؤلف البرهنة على صحة وجهة نظره، رغم اعترافه شخصياً بأن هذه الفصول قصيرة، تتعالج في مناسبات معينة معالم استئصال الإسلام في أوجه حياتنا المختلفة.

❦

**الماضى الخرافى (الثورة والتاريخ)**

توماس طمس  
ترجمة: عدنان حسن  
مراجعة: زياد مئى  
سوريا: دار قدس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤، ٦٠٧ صفحات



يرفض المؤلف اعتبار الكتاب المقدس وما جرى فيه من قصص وأحداث على أنه تاريخ، ولكنه كتاب ملهى بالأشوة والقصص المبررة، فهو لا هو لا هو تاريخاً على الإطلاق.

فالكتاب المقدس من وجهة نظر المؤلف يقدم لرائاً يحمل رسالة، يمكن استخدامه دعماً لأمال مقدودة في المستقبل على الدوام.

ويركز المؤلف على طبيعة اليهودية المبكرة، ويقدم قراءة جديدة للنص العيساى الذي كان سائداً إبان صراع اليهود مع أعدائهم في فلسطين، كما جاء في العهد القديم، ويستمد المؤلف في دراسته هذه على علم الأثار محاوراً لتقليل التشوهات التي تحيط بمفهوم الماضى واستعمال تاريخنا لأغراض أدت لأشغال العنف وريادة الشرور في حياتنا المعاصرة.

يتناول الكتاب تاريخ اليهود في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول عن: كيف تحدثت قصص الكتاب المقدس في الماضى، والثانى: كيف يخلق المؤرخون ماضياً، والثالث: مشكلة الكتاب المقدس في التاريخ. ويأتى هذا الكتاب ليكون العاضر في سلسلة مؤلفات توماس طمس في الدراسات التاريخية، وهو حالياً يعمل

ولميساً لتحرير العديد من الصحف المتخصصة بالدراسات الكتابية، وقد حصل على شهادة الدكتوراة عام ١٩٧٤ من جامعة تميز بأمریکا، وكان قد تقدم برسالة للدكتوراة عام ١٩٧٤ عن موضوع الآباء الأولين قبل إقارة جامعة بتجنس رفضتها، وهو حالياً يعيش في الدانمارك حيث يعمل استاذاً محاضراً في كلية اللاهوت بجامعة كوبنهاجن.

**درامية التغيير.. دراسات مختارة في المسرح للحصني**  
بركوت بريشت  
اختيار ومراجعة: هيس الريدي  
دمشق: دار كتمان، ٢٠٠٤، ٢٥٥ صفحة



عرفت المكتبة العربية مسرح بريشت من طريق تراجم لدراسين ليبراليين عديدين، قدموه من منطلقات مختلفة، لم تكن قادرة في مجملها على تقديم مسرحه وعفقه كما أراد له هو أن يكون. لأن دراسية ومؤرورية في العرب قدموا مسرحه الدراسي الجديد بمزيج من فكرة الماركسي التي تذهب لتفهم مسرحه للحصني إلى جماليته النوعية الممزوجة والمختلفة، وكانت أغلب تلك الدراسات تقبل الدراسي من مسرحه، وترفض ما هو ماركسي فيه الذي جاءت أهميته، كما قبل، من إلباس الماركسية ثياباً مسرحية.

يقدم الكتاب من العديد من الأبحاث، المفاهيم الأساسية لفكر بريشت المسرحي والتي يقول هو بنفسه عنها، إن المسألة عنده ليست مجرد تفسير العالم بل تغييره.

**العمارة الإسلامية والبيئة.. الروافد التي شكلت التعبير الإسلامي**  
د. م. يحيى وزير  
الكوت: عالم المعرفة، ٢٠٠٤



يطرح المؤلف في هذا الكتاب ما وصلت إليه العديد من الأبحاث والكتابات والمؤثرات الهندسية في العمارة والمدن الإسلامية في محاولة لإظهار رواد فعل

العمارة والمكر الإسلامي تجاه محيطات البيئة، خصوصاً في المناطق الحضرية. وقد حصل على هذه المحاولات تركز على المؤثرات المادية فقط، التي بلا شك تمثل أحد أهم جوانب البيئة الطبيعية، كما أن هذه الدراسات غالباً ما تركز على عمارة المسكن الإسلامي من سائر الأنواع الأخرى من المباني، التي على رأسها المسجد.

والعمارة الإسلامية لا يمكن فهمها إلا بنظر أكثر شمولية وأكثر عمقاً، فالعمارة الإسلامية شكلتها وفصحتها عدة روافد دينية وحضارية وثقافية، وهذه الروافد في مجملها تمثل الرؤية الأكثر شمولاً لفهم البيئة، التي يجب ألا تقتصر على العوامل المادية فقط، ولكن تتعدى لتشمل أيضاً البيئة الدينية والاجتماعية والثقافية.

**النظام السياسي في الإسلام**  
د. برهان غليون - د. محمد عبد الوارث  
دمشق: دار الفكر، سلسلة «حوارات لقرن جديد»، ٢٠٠٤، ٢١٢ صفحة



كل كتاب من هذه السلسلة يتضمن رأيين لكتاتوين يمتدحان إلى تياراتين متباينتين، يكتب كل منهما بحثه مستقلاً عن الآخر، ثم يعطي كل بحث للاخر ليضع عليه، ثم تشر أسماهماته في كتاب واحد.

وهي هذا الكتاب، كانت منطلقات الكتاتين مختلفة، إلا أن مساحات الالتقاء بين أفكارهما كانت تتقارب في الكثير من الأحيان. الدكتور غليون يشير إلى أن الإسلام لم يولد كالمسيحية والوثنية من حيث انهما ضروريان للإيمان، والدولة لم تكن مطلباً دينياً، ولكنها مطلباً معطياً دينياً ذوق إلى تحقيقه المسلمون بموازاة تطويعهم إلى جماعية سياسية دينوية فاعلة على مسرح التاريخ.

في حين يرى د. عوا أن الإسلام لم يأت بنظام حكمي معين المعالم محمد التفاصيل، وأن القرآن والسنّة لا يتضمنان نصاً من كيميائية اختيار الحكم، وكيميائية محاسبتهم، وعزلهم. وهو يرى أيضاً أن عبارة دين دولة عندما يوصف بها الإسلام لا تصبح إلا على محمل واحد، هو وجوب اجتهاد العلماء المؤهلين لذلك في المسائل السياسية مما يتصل بمسائل الدولة الثلاث أو ما يتصل بمسائل علاقات الدولة الإسلامية بفقرها من الدول والمزاد من «الدين والعولمة» في الإسلام هو قبول المرجعية الإسلامية العامة التي تسمح

بتعدد الآراء وتوحيها في الشأن السياسي، كما تسمح بتعدد وجهات نظرهم في كل شأن إسلامي آخر وبهذا الفهم يتجنب المسلم العاصم الوقوع في القول بالفصل التام بين الدين والسياسة، وهو فصل غير صحيح نظرياً وغير واقع عملياً مع فهم الدين، على أنه الشريعة الحاكمة للامتناع عن الذنوب، وتتجنب الوقوع في وهم أن النظام السياسي المقبول إسلامياً هو نظام يعينه لا يصح الاحتفال به، ولا اجتراحه في تفاصيله.

أما د. غليون فهو يبرهن على الأفاق المشوشة اليوم في الفكر السياسي الإسلامي أمام تطور القيم الديمقراطية، وتنامي تيار يعمر عن ديمقراطية إسلامية حقيقية تتسامع في إخراج الفكر العربي من سجنه التاريخي المربط بين معادنية رخيصة المتأخرين وإسماعيلية وأصولية عقيمه وارتدائية تنحدر إلى المحافضة وتحميد الهوية الدينية بل تحجيرها.

ومع وجود جاذبات اتفاق في الرؤيتين الكتاتين، كانت أيضاً محاور مفصلة للخلافات بينهما تمثلت في دور التشريع والتأويل في فهم النص القرآني، وفي تحديد السلوك السياسي ضد المسلمين.

**الحاضر والصحاح.. الأصولية اليهودية - الحاضر والجزور**  
سفي رخاكوكي  
ترجمة: إسماعيل دوج  
دمشق: دار كتمان، ٢٠٠٢، ٢٥٨ صفحة



جاء اعتقال اسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، ليحدث مصعد الأصولية اليهودية وسيطرته على الحكم والتوجهات السياسية في إسرائيل، والتي خاض خلالها، كعضو الإيماني، في إسرائيل حرباً لإبادة «مصلحان» وهو اليسار الإسرائيلي، عن طريق مذبحة من الانتخبات، لأن أمام هذا اليسار الذي يدفع الروح إلى الخلف، أكبر من أن المناوئين الذين لم يعلاوا أكثر من إبادة الجسد.

ويؤكد الكتاب أن هذا المصعد الأصولي في إسرائيل ارتبط بانفشار مقولات دينية متطرفة مثل «إن التورات الدائمة على العدو يجب النظر إليها كتمعة من السماء» لأن البر، قال لا يوجد سلام للأشراق، ومن عند الكلام فهم المتطرفون اليهود أنه لا يوجد حظر يواز خطر اليمين الذي يجلب السلام، لذلك على اليسار الديني في السلطة حتى لا يحل السلام، وحتى يعيى العلمانيون

الأشراق يقتلون كجنود على الجبهة، بحيث لا يتسنى لهم الوقت لمصير الحريد.

كما ظهرت على العديد من المتأوي الخطيرة كان أحضرها على الإعلام فتوى تقترن «حكم اليسار مع عملياً حكم إهدار دم، بمعنى أن حكم الشريعة يجيز قتل يهودي من محاكمة من قبل من يستطيع وقف الاضطهاد والنظم، والاضطهاد هو حكم اليسار يستعرض الكتاب أيضاً موقف الحريد من الصهيونية التي يظنون إليها باعتبارها حدثاً بالهدم مع الرب بالآتيان بأفعال من أجل إعادة المسيح بدلاً من انتظار، كما هو مفروض دينياً، فالتبر يبعث المسيح من خلال أعمال الإحسان ووسائل روحية لا قوة فعل عسكري عالمي استيطاني، كما أن ما يزيد من عدم الصهيونية هو أن من بقوهوا علمانيون حلة.

وفي ظل هذا المناخ، يؤكد المؤلف أن هناك ثلاث مفاهيم يمكن اعتبارها المنسولة عن إسرائيل الديمقراطية الإسرائيلية: الديمقراطية أمام مفه الألفية، وهي غياب طبقة وسطى لها ثقافتها الخاصة، وغياب الاقتناع بالمسلمات القانونية والواقعية في المجتمع، والاختلاف حول تعريف مفهوم النجاح السياسي في الانتخابات، خاصة أن بعض التيارات الدينية المتطرفة تطالب إلهياً لانتصارها السياسية في البراء.

**العراق والمنطقة بعد الحرب: قضايا الاعمار الاقتصادي والاجتماعي**  
مجموعة أبحاث  
لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤، ٢٢٢ صفحة، ١٠ دولارات أو ما يعادلها



يصم هذا الكتاب أعمال ورشة العمل التي عقدت عن العراق والمنطقة بعد الحرب، قضايا حول إصلاح الاعمار الاقتصادي والاجتماعي، في بيت الله المتحدة في الفترة من ١١ إلى ١٢ يوليو ٢٠٠٣، وحضرها مشاركون من كندا ومصر والعراق والمانيا وبشأن والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وينشر مركز دراسات الوحدة العربية هذا الكتاب لصالح لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا. والهدف الرئيسي لورشة العمل هذه هو بحث سبل العمل المشترك التي يمكن أن تقدمها الحكومات والشعوب في المنطقة

كثافة سكانية (مصر والعراق وسوريا  
والعرب والجزائر والسودان) مع وقع  
الرفاعة الثقيل. مع تضاريف ارتفاع أسعار  
الرسوم الجمركية وضعف شبكات التوزيع  
والعند الحدود والضعف الاقتصادي والتضاريف  
القرصنة هي تقديرات الأزمات المتكررة التي  
يعيشها قطاع النشر. ويؤكد أيضاً أن سوق  
الكتاب في العالم العربي يتأثر دائماً  
بالتوترات الإقليمية والظروف الدولية  
باعتبارها

كما تلعب الرقابة دوراً في زيادة الإقبال على الكتاب، فبعد أن منحت مصر عام ٢٠٠٠ روية بولندية لأغشاش البحار، للسوري حيدر حيدر تصاعفت مبيعاتها في الدول العربية الأخرى.

وقد كان لانتشار التقنيات الحديثة واقع كبير على النشر العربي، فإلى جانب الكتاب المطبوع، انتشرت المنتجات الإلكترونية التي بدأت اجتاجاً وتسويقها مع انتشار الحاسب.

عشاق الدير (رواية)

د. محمد الفروبي  
دمشق: دار كلمان، ٢٠٠٢، ٢٥٩ صفحة



بأحداثها التي تكتسب بصيغة ملحمية، يعود الدكتور الدروسي في هذه الرواية إلى التنازع.. تاريخ قريب مدون في مخزونه المعرفي، منطلقاً من قرية واقعة في بداية الشام، تستنكي بأحضان دير بيعت الرهبنة والتقديس في أرواح أهلها على اختلاف مذاهبهم، يمرى عبر سرد رواني شفاف هشاشة القيسين والوثائق.

ومن هناك يمضي عبر توظيف دراسي  
محكم إلى تاريخ آخر بعيد.

ورغم تأكيد البروسي على حقيقة الأحداث ودقتها كما وردت لدى المؤرخين، إلا أن انتقادها تلك الأحداث بصريتها ويعيدها، يشي بموقف نقدي مكنون.

ويؤكد أن بإمكان نص إبداعي مخاطبة العقل وتحريضه، رغم اعتناقه من أغلال الوعد والمباشرة.

وهو في كل ذلك ربما يعطى إجابة ما، لوظيفة الأدب والإبداع التي عليها أن تستبطن مواقفاً وتحقق متعة في نفس الوقت

والدرويش في معماره الروائي حقيق  
ذلك باستباز إذ ترك لخياله وخيال القارئ  
دوراً أساسياً في فهم ما يجري حولنا.

وبنها العراق، وسبيل العمل المناهضة  
للمحكمة المختصة في الحكومة هي  
التي يمكنها تحديد زيادة الإعصار الاقتصادي  
والاجتماعي والتماسي والانساني، وكل بلد  
يوجد الوجود الاقتصادي ارفع من ذلك  
والجانب العربي وفي منطقة الخليج العربي  
وعند الاستقرار. وفي هذه الحالة الحرج  
الى عتدته الوضعية الاقتصادية  
والاجتماعية لقرى اسيوط (الاسكوا) في  
من اولى السلطات العسكرية التي عتد  
الاجتماعيات احداث احتلال العراق، كل ما  
الاشارة الى استنتاجات وقصصيات واخرى  
وتقارير دليل لا يمكن تجاوزه ثمن طويل  
كل معنى بالاشان العربي، ولهذا  
متعدد الاموال والمعارف اربعة اربعة  
والاضطرابات والاضطرابات التي يمر بها العراق  
والعربي كل.

الفضاء العربي.. القضايا  
والانترنت والاعلام والنشر

مجموعة من المؤلفين  
إشراف هانيك مرميه  
ترجمة فريدريك معتوق  
سوريا: دار قدس، ٢٠٠٤ ٥٩١ صفحة.



يضم هذا الكتاب معظم الأبحاث التي قدمت أثناء الحلقة الدراسية التي ناقشت موضوع العولمة ووسائل الإعلام والاتصال الجديدة، هي مدينة ليون الفرنسية عام ٢٠٠٤.

تروجد هذه الأبحاث من مختلف  
الزوايا والمجالات الإعلامية، تطورات  
المشهد الإعلامي العربي خاصة عقب  
حرب الخليج الثانية وما شهدته  
المجتمعات العربية من تطور تقنيات  
الاتصال الجديدة، انطلاقاً من ديناميات  
ذاتية من داخل هذه المجتمعات استجابة

ويستعرض الكتاب المشهد الإعلامي في العديد من الدول العربية، ويرصد فشل الحكومات في الحد من استخدام «أصابع الدش»، كما يرصد أيضاً دور القنوات الفضائية في استعراض أفكار «معارضين» لحكوماتهم في العالم العربي، وكذلك دور الإنترنت الذي يردد انتشاره

يتناول الكتاب أيضاً تأثيرات العولمة على دور النشر العربي فيما يتعلق بحقوق المؤلف وحقوق الملكية الفكرية وما يعنيه ذلك على مؤسسة مهمة الناشر.

كما يتناول بالإشارة أيضاً صعب القدرة الشرائية في البلدان العربية الأكثر

عائشة تيمور، تحديات الثابت  
والتغير في القرن التاسع عشر

القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، ٢٠٠٤.



عائشة تيمور (١٨٩٥ - ١٩٧٠) هي أديبة الطبقة الأرستقراطية التي قرضت الشعر بثلاث لغات كانت تجيدها إجادة تامة وهي العربية والفارسية والتركية، كما كتبت أعمالاً أثرية يدها النقاد من يشار إلى الأدب القصصي في العصر الحديث.

كانت أمها محبوبة شريفة وكان  
أبوها من كبار تلاميذ كبرى كرام الله والى  
في حبيتها زواجر وأولاد كثيرين ساعدوا  
على التمدد على الأعمال النورية الخيرية  
تتلمع لهم نوره والتميز، وظهر لها  
الحرص على تمكينها من تحقيق  
طموحاتها في حضور مجالس العلماء،  
فكانت أحضر لها استاينان الأول  
الفقه والخلف وحفظها القرآن الكريم،  
والثاني كان يعلمها الفقه والحدود والشرع  
والفاسدية، وقد وافته أبوها زوجها وأصغت  
تتلمع على يد سيديها هيا: فاطمة  
الأزهرية وستية الطويلة حتى ألفت  
دراسة الأصول والعروض وتعرفت بعد ذلك  
للتكاية الشريفة والخيرة، وصعبت  
منها في الجلال الخيرة،

العربية بعنوان «حلية الطراز» عام ١٨٨٤ تضمن قصائد في الفزل والرجاء والتسبيح، وديواناً آخر بالفارسية، وأصلاً لأثرية وهي «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال»، ومراة التامل في الأمور؛ واللقاء بعد الشتات؛ ورواية أخرى بخطها غير كاملة. وهذا الكتاب يقدم مجموعة من

الابحاث التي قدمت في مؤتمر «عاشقة تيمور» الذي انعقد عام ٢٠٠٧، والتي تغطي الضوء على التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ يرى القصة التي شهدت انجراف المطامع الخاصة ونشاط حركة الترميم والتوسع في إنشاء المدارس الحديثة بجانب الكتابات وارتفاع عدد الصحف والمجلات، ولاسيما عجلات التمسكين التي أصبحت الحال لأعداد

كبيرة من النساء للتعبير عن همومهن، كما شهدت هذه الفترة أيضاً معارك فكرية وسياسية حول شكل المجتمع الحديث وحول الصورة الأمثل للرجال والنساء في الوطن، وحول قضايا اللعبة والأدب والفنون، خاصة بعد الاحتلال البريطاني لمصر وزيادة الامتيازات الأجنبية واتساع النموذج الأوروبي

ومع البالية في تصعيد المظاهر  
 المحاسنات آنذاك، أدى ذلك إلى إغفال  
 المحاسنات نساء قدمي خطابا معياريا.  
 وكانت كتابات غاضبة خير مثال على ذلك.  
 فمن خصائص الكتابة الشعرية والنثرية  
 أنها اتبعت للأسلوب العربي القديم  
 الذي استغنى وطوّره للتعبير عن  
 قضايا معاصرة. ومن ثمّ التقليل من  
 أهمية أعمالها الأدبية والتركيز على  
 الشكل الحديث المثل في رواية «زينب»  
 لحيدر حيدر.

وياستفاد موقفها العادي للحركة  
الغرامية، كان لعاشقة تيمور دور كبير في  
عمليات التعمية الاجتماعية خاصة في  
مجال تعليم المرأة، والعلاقة بين الرجل  
والمرأة ومناقشة حقوق وواجبات كل طرف  
إزاء الآخر، كما استخدمت الأدب أيضاً  
كأداة للتغيير الاجتماعي، بالإضافة إلى  
التعبير عن آسائها كأميرة وهو ما  
عرضها لتعجب عدد من الكثرين سواء في  
مجتمعاتها أو خارجها.

والكتاب في مجمله يقدم محاولة جادة لإعادة النظر في بعض المفاهيم الثقافية التي استقرت في وعينا الثقافي من خلال رصد وتحليل التراث النقدي الأدبي الذي تركته عالشة تسمور.

السينما والرقابة في مصر  
(١٨٩٦-١٩٥٢)

محمود علي  
القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،  
سلسلة «أفاق السينما»، ٢٠٠٤، ٢٤٧  
صفحة



يكشف هذا الكتاب التاريخ السري والحوادث لعلاقة السيمينا الرقابية في مصر خلال الفترة من ١٩١٦م حتى ١٩٥٢م، والرقابية كما ينظر إليها المؤلف على أنها عبارة عن جهاز يمثل منظومة العمل مع أجهزة الدولة، ويعبر عنها في تعاملها مع السيمينا كوسيلة تغيير أكثر انتشاراً وتأثيراً، كما أن جهاز الرقابة يخضع كثيره من الأجهزة لمنظومة سياسية أشمل هي التي تحدد له ما يجب، وما لا يجب إيجاده.

يستعرض الكتاب تطور التشريعات المنظمة لعمل النقابة والصراع بين وزارتي الداخلية والشئون قبل ثورة ١٩٥٢ على الرقابة على الأفلام السينمائية وأيهما أحق بهذا الدور. كما استعرض عدداً من تقارير الرقابة على بعض الأفلام



## هيكल بين الجديدة والكثاب

د. وحيد عبد الحيد  
القاهرة: دار مصر الجديدة، ٢٠٠٤، ٢١٥  
صفحة



أشار فراق محمد حسنين هيكل بالانصراف عن الكتابة في ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٣ لدى بلوغه الثمانين. ردد أفعال واسعة ليس فقط في مصر ولكن في العالم العربي كله.

وإلى هذا الكتاب قام د. وحيد برصد ردد أفعال الهيكل العربية على فراق الأستاذ وللشأن في كل مكان من بلاد العرب، وصحيح أنه يابن عبد الناصر وهو الذي جسد حلم العرب والعربية، وكانت كتابات هيكل من أجل ما ملجأ إليه عبد الناصر وشارة مع طموحه فيه، بل يعرف كثيرون أن مشاركة هيكل تجاوزت ذلك إلى القيام بدور يعتد به في صنع هذا الطموح، منذ أن وضع الأفكار الأساسية التي قام عليها كتاب فلسفة الثورة، وهذا فرق شاسع بين أن يكتب الكتاب من أجل هدف يؤمن به ويشارك في صنعه ويمتد أن زعماء يعينه هو المجلل للعمل من أجل تحقيقه. وبين أن يكتب من أجل هذا الزعيم. فالعلاقة بين الرئيسين لم تكن مجرد صلة بين رئيس دولة ورئيس أكبر صيغة في مصر، ولكنها علاقة سياسية وفكرية وهوار، ولعب هيكل دوراً كبيراً في إثارة الطريق أمام عبد الناصر، ولم يكن أمداً صواباً على الخاص بل للثورة التي شارك فيها، كما كانت له مبادرات في تطوير هذه الرؤية الضمنية على مكانته ككتائب وليس على علاقته مع الرئيس.

وقد تمت هذه الأوضاع عندما لم تعد هناك رؤية يشارك فيها هيكل الرئيس أنور السادات مع حرب ١٩٧٣، فأشار الأستاذ فيها الانصراف من الصحافة في صنع سياسة، وترك الأهرام عام ١٩٧٤ مع أن الأمر لم يكن يقتضي أكثر من أن يبدي بعض المرونة في يتقي صاحب حقول لدى السادات، إلى أن هيكل كان من ذلك، وقد رأى كل ذي عينين أن مكانة هيكل ازادت بعد أن ترك النصب وتخلف من أعيان الإدارة، وإقبل لشارون غريوبن كبار عليه فكتب بالإنجليزية العديد من الكتب حققت انتشاراً.

يتناول الكتاب أيضاً تجربة الأستاذ هيكل الفريدة في الكتابة بلغتين، ويورد الكثير من المواقف التي تناولتها كتب هيكل بعمقيتها العربية والإنجليزية والتي احتوت على الكثير من القضايا الساخنة التي عاشتها المنطقة عقب حربي ١٩٧٣ و١٩٧٤

## مراجعات في الفكر القومي

د. محمد جابر الأنصاري  
الكويت: وزارة الإعلام، كتاب العربي العدد ١٥، ٥٧ يوليو ٢٠٠٤، ١٩١ صفحة



المكتور الأنصاري من المثقفين الذين عاشوا التجربة العربية حليماً وكابوساً، إلا أنه يخالف العديد من المثقفين العرب لم يترك نفسه للياس والعضب، ولم يمارس جلد الذات، فهو يرى أنه من الممكن اجتياز هذه الهوة التي يفصمها العرب حالياً، بجسر من أعمال العقل وتدعيم الذات العربية المكلومة.

وهذا الكتاب يجمع بعضاً من حصيلة ٣٦ عاماً من المقالات التي كتبها د. الأنصاري في مجلة العربي، وهي تبين أهم الموضوعات التي تواصفت خلال تطوره العسكري. كما أن العديد منها كان يحمل الكثير من الأفكار التي تحولت إلى كتب مستقلة من ضمن الـ ١١ كتاباً التي أصدرها حتى هذا الكتاب.

وكما يقول: «الأنصاري فإنه قد تبين له بعد هزائمه العربية المتوالية أن الخطر لم تقتضه هذه التأسيس، بل اقتضت لها قبل الترويج للأيديولوجيا لها. وياتي أن الكتاب يهدف إلى الأصوات على فكرة د. الأنصاري المركزية في دراسته لأزمة الفكر العربي، والتي يراه من خلالها على تجاوز الفكر الشوقي في العقل العربي الحديث منذ ما عرف بجبر المصهدة وحتى الآن، والتي تمثلت في دالة الأحاسيس، والتعارض بين الأصوات ما بين الوطن وما دون الوطن، وبين الوطنية والوطني، وبين القومي والوطني، وبين الدين والعصر، إلى آخر هذه السلسلة من التناقضات غير المحسوسة بين الحياة العربية الحديثة.

وخلال فصول أو مقالات هذا الكتاب يوضح د. الأنصاري جوهراً مشروعه الجبني الذي يدعو لتجاوز التوقيفية، فبعد تحديدها وقضاها، متطلقاً من فريدة أساسية وهي أنه على الرغم من التناقض الدوحي والعقلي والمارضات للحضارة العربية الإسلامية، فإن تاريخها السياسي وفكرها السياسي ظلا أضعف

عناصرها على الإطلاق واتسبها ارتباكاً. وأن الخروج من هذه الوضعية السياسية المرتبكة يتطلب في المقام الأول فتح المجال أمام القوى الوطنية لتسليم الميادين المحققين الحديث في وجه الهيمنة السياسية التقليدية، ومالم يتم تخديش هذه القوى ومجها في مجتمع مدني الطابع، فإن الحديث عن الديمقراطية في البلاد العربية سيبقى حديث خرافة.

## العالم الإسلامي في عصر العولمة

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري  
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤، ٢٨٢ صفحة



عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تصاعدت في العرب موجات الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين، في نفس الوقت الذي اعتنت فيه القوى الصهيونية الاستثمارية واليمين المسيحي الواقع تحت تأثيرها بالهجوم والطقس لدولة إسرائيل التضييق والمراقبة عن القانون الدولي والتي تمارس ضد الشعب الفلسطيني البشري والحق العربي. ويؤكد هذا الكتاب، أن هذه الحرب الملعنة ضد الإسلام والمسلمين في هذه المرحلة من التاريخ، ارتبطت بمحاولات فرض نظام العولمة على المجتمعات الإنسانية، تحت زعم أنه نظام عالمي بينا هو في حقيقته وطبيعة سياساته وأهدافه، فرفضه على أنه استهداف قومي بدرجة من نواظره على أنه أمر عالمي استهدف على العالم كله.

والد أصبح واضحاً أن نظام العولمة المفروض بقوة النفوذ السياسي والاقتصادي للقوى البولية الهيمية على السياسة الدولية هي المرحلة الزمارة، يشكل تحدياً بقاء الحضارة والشراسة، لا تستطيع القوى التي لا تشكل شروط لقاعة الصناعية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية التصدي له وتلتأثيرها. خلاها على تجاوز الفكر الشوقي في العقل العربي الحديث منذ ما عرف بجبر المصهدة وحتى الآن، والتي تمثلت في دالة الأحاسيس، والتعارض بين الأصوات ما بين الوطن وما دون الوطن، وبين الوطنية والوطني، وبين القومي والوطني، وبين الدين والعصر، إلى آخر هذه السلسلة من التناقضات غير المحسوسة بين الحياة العربية الحديثة. وخلال فصول أو مقالات هذا الكتاب يوضح د. الأنصاري جوهراً مشروعه الجبني الذي يدعو لتجاوز التوقيفية، فبعد تحديدها وقضاها، متطلقاً من فريدة أساسية وهي أنه على الرغم من التناقض الدوحي والعقلي والمارضات للحضارة العربية الإسلامية، فإن تاريخها السياسي وفكرها السياسي ظلا أضعف

البولية في هذه المرحلة العنصرية التي يمر بها العالم، إلا والتكيف مع هذا الواقع والاندماج في معتركه والتعامل مع حقله بموضوعية تدبيدة. لكي يدخل في طور مواكبة متغيرات العولمة دون أن تضطر إلى مواجهتها. وهي الواقعية المستحيلة بحكم الحسابات الواقعية، خاصة أن الصراع على الفكر الغربي الحاصر له جذور عميقة تعود إلى الحضاريين اليونانية والرومانية.

ويشير الكتاب إلى أن الأمة الإسلامية تشكك شروط النهوض الحضاري لاستئصال دورها في بناء الحضارة والإسهام في إنقاذ البشرية مما يتهددها اليوم من خطر العولمة الكاملة والانهاض، وهي مؤهلة أكثر من غيرها من الأمم لدور عالم بالغ التحدي، بشرط أن تقوم بتصحيح أوضاعها المعاصرة، وتبذل الجفاتها الهامشية وتفعيل قدراتها الفكرية في إطار التضامن الإنساني وبروح القوة الإسلامية.

## أيام في العراق

أنور الياسين .. حلال بحيث  
الكويت: عالم المستقبل للخدمات  
الإعلامية، العدد ٣٥، ٢٠٠٤



يظل العراق الرقم الصعب في التاريخ العربي الحديث والمعاصر لمنذ مطلع السبعينيات وأحداث العراق تفرس نفسها على الساحة السياسية والثقافية.. من حرب إلى أخرى وهي أزمة إلى أخرى.

والكتاب يرصد لمرحلة من تزعج من الحزبين العراقيين الذين يتأخران عملية تحرير العراق الذي بدأه العراق بقائه على الحقيقة وكشف بعض وليس كل الحقيقة السرية التي كان يقودها صدام.

يرصد الكتاب في الجباب الأول مجموعة من الفصول عن حزب البعث، وصدام حسين وكيفية وصوله للثعر، والعلاقات مع الأمم المتحدة، واستقرص الفصل الثاني الحضارة العراقية وحوارات معها ويشترط الفصول الثالث التحضير للحرب، ثم مشاهدات حية خلال رحلات المؤلفين إلى العراق، أما الفصل الرابع فيتناول عملية حرية العراق وولاية سقوط بغداد وسيطرة بريطانيا والولايات المتحدة على كامل العراق في أيام.

والكتاب ملحق به مجموعة كبيرة من الصور وثائق مجموعة الرحلات التي قام بها المؤلفان ومما يريدها هذه الأحداث التي مرت بالعراق والتي سالت أكيدة

سيكون مهما تأثيراتها الكبرى على مستقبل المنطقة بأكملها.

## العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية.. لبّات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية

دوبالد ر. هيل  
ترجمة أحمد فؤاد باشا  
لكتوت، عالم المعرفة، العدد ٣٠٥، ٢٠٠٤، ٢٢٠ صفحة



يعرض الكتاب لأهم إنجازات الحضارة الإسلامية في علوم مختلفة

كالرياضيات والملك والفيزياء وغيرها، مركزاً على الجانب التقني من خلال عرض واف للاثلاات والأجهزة والإنشاءات الهندسية التي تميزت بها الحضارة الإسلامية.

يقدم المؤلف موجزاً لتأثير الحضارات المسابقة على الحضارة الإسلامية.. وتحديد الحضارات الهلينستية والرومانية والبيزنطية، ويعرض لتطور الذي لعبته حركة الترجمة في انتقال المعارف والعلوم إلى المسلمين، كما يتناول انتقال الرياضيات الهندية إلى الحضارة الإسلامية ودورها في تطور الرياضيات عموماً. ودور العلماء المسلمين، كالخوارزمي، في هذا التطور، ويعرض لحساب المشتقات باعتباره من أهم إسهامات المسلمين في مجال الهندسة. ويستعرض الكتاب علم الفلك والفيزياء والكيمياء وأهم الآلات التي صنعها المسلمون مثل طواحين الهواء والذاء والجاذيق، بالإضافة إلى أنواع المحور التي

أقاموها على أراضيهم وغير ذلك من العلوم.

## البلدة الأخرى

إبراهيم عبد الجهد  
القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٤، ٢٨٢ صفحة



في مناخ يمتزج فيه الحلم بالآلم، تحكي هذه الرواية قصة شاب قام بالسفر إلى إحدى دول النفط، على وجه يحد ما يفوضه عما يعانيه ولقاء والجاذيق، وهناك افتتحت أمامه دنيا جديدة،

شاهد فيها صراعات ساخنة تدور من حوله، ويدخله أيضاً تنفجر شلالات من الأسئلة الحائرة كان أهمها، هل يستمر في غريته أم يسرع بالعودة؟ ولم تكن الإجابة سهلة على الكثيرين الذين يقعون في حيرة الموازنة بين الحساسة في الفسرية والعماساة في الوطن.

كان بطل الرواية مؤمناً بأن الحياة جميلة جدية تماش، إلا أن عمله بالتمريس لن يتحرك به خطوة للأمام وانتظاره للإشارة وفقاً لجدول وزارة التربية والتعليم، يعني الانتظار حتى يصفى النفط، وتفسد فكرة السفر معناها وجدوها، فقد كان عليه أن يسأل، لأنه لا يوجد أحد يرفض فرصة سهلة كهذه، وهو ما يحصد عليه الناس، كما قالت له أمه، ومع السفر والعودة، كانت هناك لحظات حلوة وأخرى مرّة.. وكانت هذه الرواية التي كتبها الأديب إبراهيم عبد الجهد بين عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧.

## دوريات

### المستقبل العربي

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو، ٢٠٠٤، ٢٠٠ جتهات

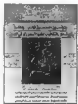


يتضمن هذا العدد من مجلة المستقبل العربي التي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ملفاً شاملاً بعنوان: «الصراع إلى أين؟»، أما الافتتاحية فقد كانت بعنوان: «في ثوبين بومع صايع: عقل اقتصادي عربي رائد، كتبها خير الدين حبيب، وفي العدد أيضاً دراسة لقصصية لوطوطجات الأكاديمية الصهيونية جليله الزيف التاريخي وتعاكسية الاستخلاصات والتنازع، أعدها محمد صلاح العطار، والمنطقة الرمادية، كيف انتقل برنامج صري لبيتناجون إلى أبو غريب، وهي مقالة كتبها سمور هيرش تكشف النقاب عن جدور فضيحة سجن أبو غريب، وفي ناب، من التراث، تنشر المستقبل العربي، «حكومة الانتداب»، وهي قصيدة قديمة شهيرة لعروف الرصافي

الإرهاق من زاوية مختلفة، بأقية مقالات العدد التمتع في تنوع إلى مقالاتها بين المجال العلمي إلى التكنولوجي والطبي، ومن الوثائق إلى الروائي، ومن هذه المقالات «مآلات في الشأن اليمني»، و«انت مراقبه، وأسطورة الحوسبة الأمانة».

### أدب وثقافة

القاهرة حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، يوليو ٢٠٠٤

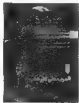


اشتغل هذا العدد على عدد من الموضوعات المتميزة، منها دراسة عن المنشور العربي تكسب ويوضون التي توفي هذا العام عن ٨٩ عاماً، بالإضافة إلى موضوعين عن ثورة ماو الثقافية، ودراسة عن الشخصية العربية بين التقليدية والعدالة. وفي هذا العدد ملف عن الكاتب الأردني مؤسس الرزاز، ودراسة عن السينما الإيرانية.

الأخير أن قصى الفنانة القديرة الراحلة مريم المصان، من خلال ملف يحوي مسيرتها الفنية على جانب آخر اشغلت الفنون بالفاان العراقي العاني حاسن شاكر ال سعيد، صاحب الفن الحادري المعروف، ويقدم باب المسرح قراءة نقدية في إحدى مسرحيات المبدع سليمان الحزامي، أما باب السينما فقد اشتمل على متابعة لفعاليات الأسبوع السينمائي الفلسطيني كذلك، أحتوى الباب على قراءة لاثنتين من الإبداعات السينمائية الكويتية وهما الهرجون، لناصر كرماني، والمعلول زعمة السور، لعبد الله الخيال.

### الثقافة العالية

لكتوت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يوليو، أغسطس ٢٠٠٤



يحتفل عدد الثقافة العالمية ١٢٥ (يوليو-أغسطس) ٢٠٠٤ بالعيد من المقالات المهمة، يأتي على رأسها ملف العدد «الحرب على الإرهاب» الذي يضم خمسة مقالات، يتناول كل منها قضية

الأدب بيروت: ٢٠٠٤، ٩٦ صفحة، ٧ جتهات



يحتوي هذا العدد ملفاً شاملاً عن الشعر الحديث في إيران، كما يتضمن حواراً مع المثقف الأمريكي جول بين حول مشروع الشرق الأوسط الكبير، بالإضافة إلى عدد من الأبحاث حول المفهوم الشاملة، والكلاسيكية في الخطاب التاريخي العربي المعاصر، وهيمنة الولايات المتحدة على أمريكا اللاتينية

### جريدة الفنون

لكتوت، المجلس الوطني للثقافة والآداب وأمسور، يوليو ٢٠٠٤



حرصت جريدة الفنون، في عددها

ديوبيل وهورستر إلى صورتها في الرواية العربية في القرن العشرين.

**America Alone: The Neoconservatives and the Global order**  
(أمريكا وحيدة، المحافظون الجدد والنازيون الكوكبي)  
Stefan Halper and Jonathan Clarke  
CUP, 2004, 369PP., \$ 20.00



يجادل المؤلفان في هذا الكتاب بأن السياسة الخارجية الأمريكية تعرضت للاختطاف من جانب عصبة من المحافظين الجدد الذين عسكروا على جدول أعمال الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ويقول المؤلفان إن المحافظين الجدد كانوا مستعدين بخطة عمل لفصيلة لكيكي استجابة الولايات المتحدة للأحداث، والمشاركة في هذه الخطة كانت مدعة قبل ١١ سبتمبر وبسنوات وأسياس مختلفة في سياق مختلف. ويؤكد المؤلفان على أن المحافظين الجدد لم تكن لديهم مشكلة رغم هذه الاختلافات فطيقوا الحول الميمنة واليسار هنري جاكسون. وهو ما جلب المشاكل على الولايات المتحدة.

لقد بدأ المحافظون الجدد كقوة يصب لها حساب في بداية التسعينيات عندما انقلب تيار الوسط والمحافظون الديمقراطيون في الحزب الديمقراطي على قيادة الحزب الليبرالية برعاية جورج ماكجفرن. وفي هؤلاء المنشوقين تحول الميمنة واليسار هنري جاكسون. المعارض لسياسة الانزراج مع الاتحاد السوفيتي.

وزادت الهوة بين هؤلاء المحافظين الجدد والمحافظين في الحزب الجمهوري مع نهاية الحرب الباردة وانسحق المحافظون الجدد دخول القوات الأمريكية بفداد عام ١٩٩١ وإزاحة صدام عن حرب تحرير الكويت. وبعد المحافظون الجدد فرصتهم مع وصول الرئيس بوش الابن للسلمة وبدأوا في تطبيق أجندتهم. ويشير المؤلفان إلى أن سياسات هؤلاء الجدد كانت مثل جدار شديد داخل وخارج الولايات المتحدة، بل إنهم خرقوا القواعد الخارجية وعلى سبيل المثال فإنه لا توجد أجندة شافية على سؤال لماذا اتحد المحافظون الجدد

كرة القدم أن نفسر معظم الظواهر السياسية والاقتصادية والثقافية في العالم. بالتحديد دراسة آثار المولة على الهوية القومية والانتماءات المحلية.

يبين الكتاب العلاقة بين متحبي كرة القدم في صربيا وبين المناهج التي تمت في كرواتيا واليوغوسلافيا التسعينيات، فقد قام أحد هؤلاء المتحبيين ويدعى داركان، بتجنيد مجموعة من متحبي فريق النجم الأحمر، لكي يكونوا أحد فيالق ميلوسوفتش، وقاموا بتدبير المي بوسني وكرواتي على الألف.

ويذهب المؤلف إلى سكتلاندا حيث يلعب الصراع المخفي بين البروتستانت والكاثوليك دوراً مهماً في مرجعات مدينة جلاسكو. وفي إيران، يرى فرانكلين فور أن العالم لم ينته من لشورة المضادة التي قامت بها أمريكا عام ١٩٧٧ عندما أصروا على المشاركة في الاحتمال بالانتماء الفريق القومي في إحدى المباريات الدولية المهمة، فتمن مظاهرات صدام تم منعه من دخول أرض الإسكندرية المحصنة للرجال فقط. الأمر الذي يراه المؤلف دليلاً على علاقة كرة القدم بالسياسة والدين وكل شيء.

**Alexandria, Real and Imagined**  
(الإسكندرية، الواقع والمخيل)  
Anthony Hirst and Michael Silk  
Ashgate/ Kings College, 2004, 432PP. £ 55.00



يقدم هذا الكتاب الصغ صورة مركبة لشعنة غير عادية، مذن أن ماسمت في القرن الرابع قبل الميلاد وحتى يومنا هذا: مدينة تعرف بتاريخها وتضيقها الانثى والثقافي، كما تعرف بأنها مظهرها القديمة من عبود الإمبراطوريات العثمانية والعربية والبريطانية والرومانية واليونانية. ويحتفي الكتاب أيضا بصورة الإسكندرية في ذاكرة وصفيحة الكتاب والمصانيف والشعراء المنكدرين وغيرهم من زوار المدينة.

يضمن الكتاب مجموعة كبيرة من المقالات والرسائل الخالمة تنوعت رؤاهم وتخصصاتهم من تاريخ إلى التحليل الاجتماعي والثقافي إلى إفرات جديدة لكما في وكليماحوس، ومن انطباعات الرحالة الأجانب إلى سجلات القسام الشرطية، ومن صورة الإسكندرية لدى

**(حماقة تشرشل، الإمبريالية ونشوء العراق الحديث)**

Christopher Cather Wood  
Constable 267PP. £12.99



ظهر العراق الحديث على انقاض الإمبراطورية العثمانية وكان من الصعب، كما يرى الكاتب، تحديد مما يتكون العراق بالضبط. كما هو الحال الآن تحت حكم الأتراك كان يتألف من ولايات متمركزة حول مدن الموصل وبغداد والبصرة، وكل منها يمثل منطقة مختلفة الأفراد والعرب السنة والعرب الشيعة. ويرى البريطانيون المحتلون أن تكون هذه الولايات تحت حكم واحد وهو الملك فيصل. ويتناول الكتاب كيفية اختيار فيصل. وموشير القاهرة عام ١٩٢١ الذي أسفر عن تثبيت فيصل على حكم العراق وشقيقه عبد الله على إدارة شرق الأردن دون كل لسماسة القاهرة عام ١٩٢١ الذي أعاد البريطانيون رسم خريطة الشرق الأوسط.

ويقول المؤلف إن تشرشل مال إلى الخيار فيصل لأسباب اقتصادية في كان يريد أن يقلل عدد القوات البريطانية في العراق، إلا أنه من المعروف أن المقاومة العراقية للاحتلال البريطانية كانت شرسة لدرجة كبيرة أزعجت البريطانيين أنفسهم. ويذهب المؤلف كثيرا في الكتاب عن دور تشرشل وسياساته آنذاك عندما كان وزيرا للمستعمرات البريطانية.

**How Soccer Explains the World: An Unlikely Theory of Globalization**

(كيف تفسر العالم من خلال كرة القدم... نظرية في المولة)

Franklin Foer  
Harper Collins Pub., 2004, 261PP. \$ 24.95



تقرر الصحفي الأمريكي فرانكلين فور لمدة ستة أشهر كي يجوب عوالم كرة القدم في العالم كله، ليتبين نظريته في أننا نستطيع من خلال دراسة لعبة

**How Israel Lost the Four Questions**

(كيف خسرت إسرائيل القضايا الأربع)

Richard Ben Cramer  
Simon and Schuster, 2004, 307PP., \$ 24.00



يقول مؤلف هذا الكتاب وهو صحفي أمريكي قام لسنوات طويلة بتغطية شؤون الشرق الأوسط، صحيفة أمريكية، إن أي يهودي غير إسرائيلي يمكن أن يحل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني خلال ١٠ دقائق من التفكير المكبر.

ويعتقد المؤلف، الفائز عام ١٩٧٩ بجائزة بوليتزر الأمريكية إن السحاب (إسرائيل) من جانب واحد من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٧٧ وهودتها إلى خطوط الهدنة عام ١٩٤٨ والاعتذار للعسطينيين من شأنه أن يؤدي إلى إحلال السلام في المنطقة لأن تعود إسرائيل تحتل مكانتها الحالية في العالم.

ويحمل المؤلف إسرائيلي مسؤولية فشل التفاعليات أسلو ويصف حركة حماس بأنها أكثر جماعات المقاومة الإسلامية نجاحا، قائلا: إنه رغم أن هدفها هو إزالة إسرائيل إلا أنها في الواقع تلازم الاحتلال، ويشير إلى أن العنف الذي يمارسه الفلسطينيون ضد اليهود بدأ بعد أن احتلت إسرائيل الأراضي الفلسطينية عام ١٩٧٧ وكشفت من برامج إنشاء المستوطنات والاعتقالات ضد الفلسطينيين.

وأن المؤلف شديد الوموع في إيران الأسباب التي يعتقد أنها تزعج الصراع في المنطقة ولا حل لأنه يحمل إسرائيل مسؤولية ذلك، فإنه تعرض لانتقادات شديدة في الولايات المتحدة واتهمه صحفيون عديدون بأنه يمسد الأمور بشكل محيل ويحمل إسرائيل كل شيء دون أن يتناول أي مسؤولية الطرف الآخر، رغم أن الفلسطينيين غير المشككة، إلا أن المؤلف من خلال خبرته الطويلة في تغطية شؤون الشرق الأوسط وفي اللقاءات المصغية التي أجراها مع إسرائيليون وفلسطينيين وأنشطته التثقيفية إلى التاريخ يعتقد أن إسرائيل هي التي تحمل المسؤولية وبشكل واضح.

**Churchill's Folly.. Imperialism and the Creation of Modern Iraq**

من التركيز على الأسواق والتقليل من دور الدولة الذي كان سائداً في الثمانينيات إلى اهتمام بمؤسسات الدولة وحسن الإدارة (أو الحوكمة كما قرر مجمع اللغة العربية في ترجمته كلمة Governance).

بالطبع فإن الاهتمام الغربي - والأمريكي خاصة - ببناء الدولة والمؤسسات في بلاد العالم يمتدعي درجات متفاوتة من التدخل وانتهاك السيادة الوطنية لهذه البلاد.

## Reason, Why Liberals Will win the Battle of America

(لماذا سينتصر الليبراليون في المعركة من أجل أمريكا)

Robert B. Reich  
Alfred A. Knopf, \$24.00, 257pp



مؤلف هذا الكتاب عمل وزيراً للعمل في عهد إدارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، وهو أيضاً مؤلف للعديد من الكتب عن موضوعات مختلفة أهمها من إدارة كلينتون إلى الاقتصاد الجديد.

وهذا الكتاب دهاغ عن الجبرانية الأمريكية على طلي ما يخفيته هذه المؤلفات الهجوم التي تتعرض لها الولايات المتحدة من جانب المحافظين الجدد. ويؤكد المؤلف كثيرا من الأفكار المأهولة حول مسائل التطوير والتغير والحوثاف والصرايف. ويؤكد المؤلف أيضا عما يسميه المغير المزدوجة لدى المحافظين الجدد أنهم متألم يافعون في التعبير عن الغضب الشديد بشأن قضايا الانقضية مثل الزواج المثلي لا أنهم لا يتحدون مثلهم فيهم الشكرات ومسريبات رؤساء مجالس الإدارات الخيالية وعن سياسات

ويقول المؤلف إن المجتمع الكريم هو الذي ينجح في دمج أبناءه من خلال تقاسم الخبرة المشتركة وتوفير الوظائف الحيدة ويوفر المساعدة للزلاء المحتاجين.

ويقدم المؤلف اقتراحات هديدة لتحسين صورة الليبراليين في الولايات المتحدة من خلال الانحياز إلى المواطنين العاديين بدلاً من التركيز على الشركات الكبرى ورأس المال كما يفعل المحافظون الجدد.

يها ثقافة فرعية وهمية وإشهاداً  
تطهيري على كل يحمل (أو يتصور) أنه  
أكثر فقههم أكثر، ويتركز على  
الرفاء والولا، وكأنها ربايات أو مذهب  
أو طائفة دينية. والمثلثة أن مذهب  
ليست ظاهرة جديدة، هي الضربين  
والناس والتباس على كل المشروع  
والصانع وتذكلك في أوروبا يعتمد  
المذهب البروتستانتي الذي كان يلقى  
الناس أن العمل عبادة لله.  
وهذا عند كل هناك عنصر آخر  
يفسر إقبال الناس على العمل لساعات  
طويلة، فإلى هو الفرية الاستهلاكية  
التي تمت بمرامة في الستين الأخيرة  
التي الذي يجعل الناس يفكر نفسه  
طواعية ويقتل من حريته الشخصية  
التي تتحصر عند ذلك في قدرته  
على التخلص من بين سلعة استهلاكية  
وآخرى، بينما هو فائدة السيطرة على  
طبيعة الحياة التي يعيها وفاقداً لأي  
سلطة على الوقت والمز.

### State Building: Governance and World Order in the 21st Century

(بناء الدولة، الحوكمة والنظام  
العالي في القرن الواحد والعشرين)  
Francis Fukuyama  
Profile Books, 2004, 194PP.  
£ 15.99



معروف عن الفكر الأمريكي، الياباني  
الأصل، فرانسميس هو كوياما اتجاساته  
المحافظة، ويعتبره البعض مفكر وزارة  
الخارجية الأمريكية حيث عمل مستشاراً  
للسياسات في وزارة الخارجية الأمريكية  
بواشنطن لسنوات عديدة، وهو الآن أستاذ  
الاقتصاد السياسي الدولي بجامعة جور  
شونكر.

في كتابه الأخير، يتناول صاحب مقولة: نهاية التاريخ، التغييرات الدولية، كراهة على رؤى المؤسسات، ودور الدولة، خاصة في بلاد العالم النامية مع إدارة الدولة مثل الصومال وكامبوديا والبوسنة ورواندا وبالطبع السودان والعراق، ويحذر هوكوياما من أن تلك الدول الضعيفة هي أخطر تهديد للنظام الدولي لأنها مصدر انتهاكات حقوق الإنسان، ويصنف أفواج المهاجرين، وأمر الإرهابيين، ومن أجل الكوارث الإنسانية. لهذا السبب، يحول الاهتمام الغربي

The Right Nation.. Conservative  
Power in America  
(أمة اليمين.. قوة المحافظين في  
أمريكا)

John Micklethwait and Adrian Wooldridge  
Penguin, 2004.  
450PP. \$25.00



يكسر المراسم هذا الكتاب للحديث حول الحركة الحافظية التي أعادت تشكيل السياسات الأمريكية خلال القرن الأخير. والكتاب مقسم إلى أجزاء حول تاريخ الحركة وأهدافها ومستقبلها وأشكالها وتواجهها. ولأن القرنين بريطانيا فإنهما يحاولان إرجاع الحركة الحافظية في الولايات المتحدة إلى أصول بريطانية تعود إلى القرنين الثامن والتاسع عشر. ويشير الكتاب إلى أن هناك الأواضع متعددة للحافظية داخل الحرب العمورية التي هي سياسات دعا الحرب بإمكانه صموده ولا يكتفي المراسم الحاصية من التاريخ بل إنها يحاول أن يقصد رؤية الحافظية للامراض على الأرض من قبل رؤية المجموعات الحافظية والانتقاء بمواطنيها عديدين يقومون بهذه المراسم ويحدث المراسم بشكل خاص من أسرة أو سلالة وقد وعدى جنس الفكر الحافظي فيها.

## Willing Slaves: How the Overwork Culture is Ruling our Lives

(عبيد بإرادتنا، كيف تتحكم ثقافة العمل في حياتنا)

**Madeleine Bunting**  
Profile Books, 2004, 370PP  
£ 12.99



تحتل المؤلفات من أثر طفليان العمل على حياة المرء وحرية الشخصية في المجتمع الحديث.

مع التيكود هي إسرائيل بدلاً من حزب العمل الذي كان الحليف الطبيعي للولايات المتحدة.

**Why Love Matters: How Affection Shapes a Baby's Brain**  
(أهمية الحب: كيف تشكل العاطفة  
مخز الرئيس)

Sue Gerhardt  
Routledge, 2004, 264PP \$ 9.99



في دراسة أجريت على مجموعة من الأيتام في رومانيا تركوا وهم رضع ليكون ملوكاً دون أن يلتقطهم أو يحملهم شخص بالغ، اكتشف الباحثون أن هؤلاء الأطفال يحدث لهم خلل في نمو الفص الأمامي، وهو الجزء المسؤول عن التحكم في المشاعر والعواطف والإحساس بالآخرين، والتشعور بالمتعة وتقدير الجمال.

هذا الكتاب يؤكد النتيجة نفسها  
أن الخبرة الشعورية والعاطفية  
للأطفال الرضع هي الشهور الأولى  
بعد الولادة لها تأثير خفي وعميق المدى  
على نمو المخ وبالتالي على الشخصية  
التي يصير عليها الطفل بعد البلوغ  
والنضج.

وقد احتاجت المعالجة النفسية ومؤلفة هذا الكتاب سوجيرهازات إلى شجاعة كبيرة لكي تنشر هذا الكتاب واستنتاجاته، لهذا الموضوع من حساسيات سياسية ثم وضع المرأة والسياسات الحكومية المتشعبة لعمل المرأة وإنشاء حضانات رعاية الأطفال الرضع في بريطانيا. ولهذا كانت مثل هذه الدراسات تهاجم بشدة في الستينيات من قبل الحركات النسوية.

تبين سيجورهارت أن العامل الأساسي في هذه الزيادة السلوكية هو هورمون الكورتيسول، والذي يمرر في غدة معينة ينتج عندما يشعر الطفل بالآسى والتوتر. فإذا زادت نسبة الكورتيسول كثيراً سبب ذلك فترات الحزن، والتوتر يحدث خلال ما يحمله من الطفل إلى يفرز كمية قليلة للغاية من الهرمون أو كمية زائدة الأمر الذي يجعل منه في الحالة الأولى ضعيفاً وبارعاً عاطفياً، وفي الحالة الثانية مكتئباً عاطفياً.

## في البدء كان ديوفانتيس السكندري

سأل أعظم رياضياتي الكواكب الأخرى فلم يستطيعوا أن يردوا على هذا السؤال، بل إنه قابل في رحل مخلوقاً جسمه مكون من قطر على قوائم خشبية ويستطيع أن يحل معادلات تفاضلية جزئية دون أوراق. ومع ذلك اعترف أنه غير قادر على الإجابة على سؤال سيمون.



وفي الختام كان أندرو وايلز الإنجليزي عندئذ، وفي الزمن الحديث جداً يظهر أندرو وايلز Wiles الصبي الإنجليزي الذي كان يهوى حل الألغاز والتي عثر على نظرية فرمات في مكتبة الحى، وأصبح حلمه في الصبا والشباب أن يبرهن نظرية فرمات وعندما كبر التحق بجامعة كمبرج وتخصص في الرياضيات ثم ذهب إلى جامعة برينستون أستاذاً. وعندئذ قرر تخصصه سبع سنوات من حياته لحل هذه المسألة. واشتد على زوجته عدم إدخال تليفزيون المنزل حتى يركز في عمله، بل حتى زملائه في الجامعة أخفى عنهم بوهته.

وفي عام ١٩٩٣ استطاع أندرو وايلز أن يحصل على هذا البرهان واختار أن يذهب إلى جامعة كمبرج التي تخرج منها ليلقي المحاضرة التي يقدم فيها البرهان. وفي عن المبيان أنه استقبل بعاصفة من التصفيق من الحاضرين. ثم تبين بعد ذلك أن ثمة خطأ في البرهان.

وتوفر أندرو وايلز سنة كاملة لعلاج هذا الخطأ واستخدم في سبيل «دعوى شيمورا وثاني ياما» وهما يابانيان اكتشفا هذا الدعوى لكنهما عجزا عن برهانها. ولقد استطاع وايلز أن يبرهن هذه الدعوى وأن يستخدمها في تصحيح الخطأ الذي كان في البرهان.

وهكذا سلم علماء الرياضيات في نهاية الأمر أن أندرو وايلز نجح في برهان نظرية فرمات الأخيرة بعد ٣٥٠ سنة من المحاولات.

عبد العظيم أنيس



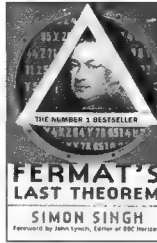
ع = س = هـ" ليس لها حلول صحيحة. ولكن ما هو برهان لذلك؟ تلك هي المسألة التي استمرت دون حل ٣٥٠ سنة.

ولقد توهم فرمات أنه حصل على برهان ونكر ذلك في الكتاب لكنه قال إنه لن يقبل التهامش إلا تليمنزيون أن يكتب البرهان. ويعد ذلك بأيام مات فرمات وسُميت هذه النظرية بنظرية فرمات الأخيرة.

ولدت ٣٥٠ عاماً حاول أعظم رياضياتي العالم ومنهم أويلر، برهان نظرية فرمات دون جدوى. ولقد وصل الأمر في التبدل على صعوبة المسألة إلى الأدب الحديث، ففي عام ١٩٥٨ دخلت نظرية فرمات في القاموس فاولسنت عنوانها صفقات مع الشيطان، وكانت أحداها أقصوصة صغيرة عنوانها: الشيطان وسيمون فلاج، وموضوعها: إن الشيطان طلب من سيمون أن يطرح عليه سؤالاً، ويهمله ٢٤ ساعة. فإذا استطاع أن يجيب على السؤال الإيجابية الصحيحة لبعض روح سيمون وإن فشل دفع لسيمون مائة ألف دولار.

ووافق سيمون وكان سؤاله للشيطان هل نظرية فرمات صحيحة؟.

وعاد الشيطان بعد يوم كامل واعترف لسيمون بهزيمته. وقال إنه



وصل كتاب ديوفانتيس (مكتوباً باليونانية) إلى فرنسا ورياضياتي حتى عصر النهضة وفي مقدمتهم فرمات.

كان فرمات قاضياً بالهنة لكنه كان محباً للرياضيات يصرف كل أوقات فراغه في البحث فيها، وعندما وصله كتاب ديوفانتيس مترجماً من اليونانية اللاتينية التي كان يجيدها انكب على دراسته واهتم على وجه الخصوص بثلاثية الأعداد الصحيحة التي ترتبط ببعضها.

لقد كان معروفاً منذ فيثاغورس أن هناك عدداً ضخماً من هذه الثلاثيات مثل:

$$١٠^٢ + ١٠^٢ = ١٤٠^٢$$

$$١٣^٢ + ١٢^٢ = ١٧^٢$$

$$١٦٩^٢ + ١٦٤^٢ = ٢٥٠^٢$$

ثم استطاع إقليدس في أن يثبت أن هذه الثلاثيات المربعة لا نهائية. ولذا كان من الطبيعي أن يشير ديوفانتيس إن كان من الممكن العثور على أعداد صحيحة متكيفة تحقق نفس الخواص. ويعني آخر يبقى السؤال هو: هل للمعادلة "ع = س + هـ" حلول أعداد صحيحة؟

هل يمكن تقسيم ١٢٥ (٥) إلى مجموع مكعبين صحيحين؟ لقد فشل ديوفانتيس في الحصول على مثل هذه النتيجة، واقتنع فرمات من بعده أن المعادلة

Fermat's Last Theorem  
(نظرية فرمات الأخيرة)  
Simon Singh  
Fourth Estate, 1977, 384p

يستحيل أن يتحدث أحد عن تاريخ نظرية فرمات الأخيرة، دون العودة إلى الرياضيات السكندرية ديوفانتيس.

وليس هناك الكثير المعروف عن حياة ديوفانتيس، فلا أحد يعرف هل ولد بالإسكندرية أم أنه جاء إليها من اليونان. لكن هناك شبه يقين بأنه عاش بالإسكندرية عام ٢٥٠ بعد الميلاد، Andrew ثبت أن مدرسة الإسكندرية التي كانت المركز الثقافي العالي كانت منازل حبة وشيطة حتى ذلك الوقت.

ولقد عرف ديوفانتيس بكتابه العظيم الحساب، Arithmetica وهو الكتاب الذي وصل إلى بغداد في العصر العباسي الأول، واستفاد منه العلماء العرب. ومع ذلك فقد دمعت أجزاء من هذا الكتاب في الحرائق التي جرت بالإسكندرية ولم يبق منه غير ستة أجزاء فحسب من إجازة الثلاثة عشر.

لقد كان إقليدس أعظم رياضياتي مدرسة الإسكندرية. وقد عرف بكتابه الشهير الأصول، The Elements الذي ظل يدرس في أوروبا تقريباً كما هو حتى القرن التاسع عشر ومع اهتمام إقليدس بنظرية الأعداد واهتمامه على وجه الخصوص بالأعداد الأولية والأعداد غير النسبية مثل ج. ٢، إلا أن ما نمانه أجزاء من كتاب إقليدس بإجزالة الثلاثة عشر كانت تتعلق بالهندسة المستوية والفرغاية.

أما كتاب ديوفانتيس فيتملك كله بالحساب والحلول الصحيحة للمعادلات، وحتى اليوم يطلق اسم «معادلات ديوفانتيس» على معادلات كثيرات الحدود التي معاملاتها أعداد صحيحة.

ولقد احتفظت كاتدرائية القسطنطينية بكتاب ديوفانتيس ضمن كتب أخرى حتى استولى العثمانيون على المدينة وعندئذ هربت كتب كثيرة إلى الغرب وهكذا

## نفساء فرج جاني يناقش دور الإبراهيمي والأمم المتحدة قليل من المثالية.. يرحمكم الله

المنظر الأولي بالاعتبار هنا هو حرية  
الأوطان وعزة الوطن العربي، والقضايا الخائرة  
بشأنها.

### الفرد والمؤسسة

من أسف أن استشرى في البلدان العربية  
التركيز على الأشخاص عوضاً عن القضايا  
والأوطان. وكما رأينا بلداناً عربية تنسب إلى  
شخص قائل قد لا يكون فوق مستوى  
الشبهات، حتى لا نقول الإذاعة، خاصة في  
مظهر الحكم المالح.

لا ريب أن للأشخاص دوراً محورياً في  
التاريخ، ولكن دور الأشخاص يزداد في النظم  
غير المؤسسية حتى يصبح تحجيج دور الفرد،  
وتبرير ما يبدى المؤسسة الفاعلة والقواعد  
القانونية، مطلباً لازماً في العمل على إصلاح  
نظم الحكم، سواء كان ذلك على المستوى  
الفردى أو الإقليمي أو العالمي. ومن هنا كان  
اهتمامنا في مطلع المقال بالبيئة المؤسسية  
على الصعيد العالمي، وكيف يؤدي احتلالها  
إلى إهدار الحقوق المشروعة للعرب في  
الاستقلال والتقرير المصير في ظل قوة  
عظم غشوة لا تتورع حتى في إهدار الجاني  
السامية التي تشتمل بها في كثير من أنحاء  
إندونيسيا خدمة لأطماعها، في ممارسة خبيثة  
للتماثل والمخالفة.

لا أنه ما بقيت المؤسسة ضعيفة وهشة،  
سيظل الأفراد في صدارة الاهتمام. ومن هنا  
سيتبين من الضروري تقسيم أدوار الأفراد،  
خاصة فيما يخص بالترحم على مصادر  
الأوطان. ولكن يتبين في نظري أن يدور  
الانتقال حول القضايا وأحوال الجاني  
إلى معايير موضوعية قدر الإمكان.

المحنة وعالية دورها في الحفاظ على  
الأمن والسلام في العالم كافة  
بل وصل الأمر بإدارة الأمريكية  
الحالية إلى العمل على تقويض أسس  
الشريعة الدولية، وإتخاذ الأنظمة في  
نفذير دور عمل الإدارة الأمريكية الحالية

الأعظم في العالم، ويتفوق هذا في مبدأ  
"بوش" الأمني الذي أدخل منطق الضربات  
العسكرية الاستباقية التي يتجاوز فيه إجماع  
من فقهاء القانون الدولي في محاولته  
لإثبات الأمم المتحدة نظراً لغياب دافع  
التهديد المباشر للأمم القومية كمبرر للعمل

■ نشرت مجلة "وجهات نظر" في عدد  
بوليو، مقالاً مترجماً عن كاتبة أمريكية  
نشر في مجلة "اللاتينيك مانلي"، يمكن  
أن يندد دفاعاً عن "الأخضر الإبراهيمي"،  
ويخيب عن المقال لتطبيقه لأبي الصافات  
تستوجب الدفاع. وهكذا يميل المقال أن  
"الأخضر الإبراهيمي"، يتعرض لإتهام ما  
دون الصالح عنه. وهذا يصح المقال دفاعاً  
معلقاً في قضاء، أو إعلاناً لروحيها. ويشير  
الدفاع، غير أن "الحق" يقتضي الإفراج  
بأن المقال المردود عليه قد كتبت قبل ظهور  
الأحداث التي يندب عليها المقال الحالي.

فهل كان بمثابة دفاع استباقي؟  
وليس غرض هذا المقال تقديم لائحة  
التهام، "الأخضر الإبراهيمي"، أو المغتيل  
شخصه، وإنما لإسماحه في مناقشة، لتطمع  
لأن تكون موضوعية، لبعض القضايا العامة  
التي يذكرها هذا الدفاع. الأتهام، من منظور  
عربي، وقد نقضت الماشقة، حرصاً، على حكم  
مسيب على الشخص.

على أي حال، الذي يعتنينا أساساً في  
الموضوع هو، "الأخضر الإبراهيمي"، هو  
المبحث الخاص للأمم المتحدة إلى العراق،  
وأهلها لأفغانستان. وقد علق البعض أملاً  
على قيام الرجل، وهو عربي من بلد عربي  
متاضل مجيد، بهذا الدور المحوري في واحدة  
من أكثر الأزمات العربية المعاصرة أهمية  
وتأثيراً على مصير الأمم كافة، وقد أدنى  
هذا الأمل تصديقاً لمعجزة نعمة قبل أن  
تسمر الشواطئ المغلقة على ثواري دور وغلبة  
الشيء الأمريكي المدعوم بجيش أجنبي  
ضخم ما زال يندس أرض العراق.

ولكن أهمية العراق والعلاقات في  
كولها محطتين مهمتين في المشروع  
الإمبراطوري الأمريكي الذي يحمل من إعادة  
تشكيل منطقة، الشرق الأوسط الكبير، أو  
الأوس، من منظورنا في هذا المقال، الخاضع  
للإدارة الأمريكية باسم، الشرق الأمريكي  
الجديد، والذي يمين على سياسات وإفعال  
الإدارة الأمريكية الحالية يمكننا فهم  
مطلوب للإسلام والعربية ومشتبهات متخفا  
موجهاً يخلط بين، الإبراهيمي، والقواعد  
المشروع لاحتلال، ولا يتورع عن اقتراح فعل  
الاحتلال وإهدار الأرواح البشرية والحرة  
بدرج لا تحصى الأطماع الاستعمارية إلا عند  
من فهدوا البصيرة وان أبصروا

على صعيد نقد الحكم الحالي، سقطت  
الإدارة الأمريكية الحالية لاقتلاع منظمة  
الأمم المتحدة، وهو خاص مجلس الأمن  
الدولي، التي يخطط فيه بالمصوبية  
الدائمة، وحق النقض، لجميع الأغراض  
مشروع، القرن الأمريكي الجديد، وإن  
بالنظر لتاريخه الدولية كما استمر في  
ميثاق الأمم المتحدة، أحقاداً بعبارة القوة

## بيعت من المتفاني الكنيسة ... لا تمن المحرمات



الدور على المحكمة الحالية الدولية في  
تلقاض صريح عن إجماع على التطور في  
قانون روما، وما فتئت الإدارة الأمريكية  
الحالية تسعى بشقي السبل لإسقاط المحكمة  
من خدمة أفراسها الدولية بوجه عام وفي  
صمان صفاة أوطانها من المحكمة  
الجنائية لا جد له تصديقاً إلا في يوم الإدارة  
الأمريكية الحالية على النجوم لجميع  
وسائل إنقاذ مشروع، الشرق الأمريكي  
الجديد، ولو باتت حقوق الإنسان، واتكأت  
جرائم حرب، أو جرائم ضد الإنسانية، تكتار  
الدلائل على إقرارها فعلا في أفغانستان  
والعراق، ناهيك عن، (مستعصر)، والذي لم  
قاعدها في خليج، جواتا، والذي لم  
تجد المحكمة العليا الأمريكية تناسلا من  
الاعتراض على أسلوب باركر، مؤخر.

في هذا السياق لنعتد والخطير، الذي  
تواجه فيه الأمة العربية معاطر حادة وكوارث  
دامية، والذي يثير قضايا محورية، في  
تقييم دور "الأخضر الإبراهيمي"، ودرى أن

المسك، الذي يمتد، في عرف المختار،  
أن يكون دفاعاً في الأساس،  
وقد قامت البلدان العربية في هذا  
التحدي في دور المنظمة الدولية أكثر من أي  
مملكة من العالم، لتزج من الأهمية  
الاستراتيجية للمنظمة، وضف المنظمة  
العربية وقرتها، فقرعت دولان عربية  
للغواصين العسكريين من قبل الولايات المتحدة  
في السودان وليبيا، وفي العراق حتى قبل  
غزو، والتعاون مع قوتها الأولى، الملكة  
المتحدة، على صورة مناطق حظر الطيران  
والصريات الاستباقية من دون غطاء  
الشريعة الدولية.

وعندما لم تقلق الإدارة الأمريكية  
الحالية في توظيف القوة المتحدة خدمة  
لأفرائها، كما حدث في واقعة غزو العراق  
واحتلاله، تجاوزت المنظمة الدولية تماماً،  
ضرب العراق من دون غطاء من الشريعة  
الدولية، بل في تقديري على إهدار جميع  
الشريعة الدولية ذاته، وللمصادفة الأمم

### ليس ملاكاً

إن كان يمكن أن يكون في السياسة  
ملائكة على الإطلاق، فإن الأخضر  
الإبراهيمي، تأكيداً ليس من بينهم.  
فارجل مثلاً، وفقاً لمقال الدفاع، رغم  
تاريخه مجيد، كان ضمن ستة أعضاء في  
اللجنة الأمنية التي شكلت لإدارة الجزائر  
بعد إلغاء الانتكابات الفرنسية عام ١٩٦٢،  
ودافع عن شرعية اللجنة بقوله، إن جبهة  
الإقامة ما كان ينبغي منحها الشرعية، وهل  
هناك من يمنع الشرعية غير الضمير؟  
وقد يقول البعض إن اللابكية ليست من  
صنات السامية، ويخبر أن الديمقراطية  
ليست بالصورة من الصفات الصالحة  
للعنصرين الساميين.  
ولأنا لا يسبب على أي حال، أن  
تمتدح وجود "أشياء ملائكة"، في ساحة

تُرحب «وجهات نظر»، بما يرد لها من رسائل تعليقاً على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، وتحرص على نشرها. مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلاً مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها.

وقام نظام حكم المولد أبو يانتر بأمر الأمريكان في واشنطن وفي عموم العراق. وسعيد بهذه الحال. يتسبب فيه عملاً ليس فقط للإدارة الأمريكية ولكن لأجهزة استخباراتها. على وجه التحديد، وصارت يد جيش الولايات المتحدة وحلفائه مطلقاً في البلد. ويطالب «بورير» خارجيته بهذه لكافة الدولة للحكومة، ذات السيادة، في المحافل الدولية، بل ويهدد، في مشهد مصحك، بإطلاق الحويش الحربية على دول الحوار. وهل رأيهم من قبل كتب بعد إبطاء صاحبه العكس ليلامحه على الجبر.

هكذا كسب العراق أو الوطن العربي من براجماتية «الأخضر الإبراهيمي»، أو غيره. يقال أن هذا كان هو الدور المرسوم للبرجماتية. وقد لعبه بعد إفترقه سابقاً في أفغانستان. وأن هذا هو بالضبط ما أهله لفهمه ذاتها في العراق. وسواء كان مرسوماً أم لم يكن، فهذا هو ما جرى.

ويقول المذاهبون هنا خلع أو أخطأ التقدير وليكن، فليس لنا في كل هذا من هراء.

## خاتمة

إن الوطن العربي يحتاج نسخة تاريخية لا تلتزم التوفيق، بل هي لحظة انتقال من واقع المرء إلى مستقبل تروجو أن يكون أفضل، ولا فاقدي هو استمرار ذلك هناك قوي اجتماعية تسعى إلى ترويب الحال وأخرى تنسج إلى، وتعمل من أجل سبل أرفى إنسانياً. إلى الأولى ينسج الحكم الراعي، والعرب الميسلون والبراميتيون العرب، وإلى الثانية ينسج الشعب والبراميتيون العرب. ويطلب مشاور حناور الوفاق العربي المرن أن يكون المشهور حراً فكله أستاذ الكيفية التي تلقت الفوج العربي في الحقبة الزائلة، لوقاً إلى بديل إنساني أرفى لشعب العربي، وهذا دور علمية المنظمين منسج الجماهير خارجياً، ودوماً اختراعاً وتجاوزاً.

ولست هذه، تأكيداً، دعوة إلى الخالية، بل لتخليص عن الواقع، وإنما بدون دليل من الخالية لا يمكن حتى هذه التصالح المطلوب من أجل إصلاح بيني وبين الفصاء، وهذا دور الواقع المثالي، وهذا هو المصمود الوحيد الذي يقبله الواقعية في منظور النضال من أجل الحرية في الوطن العربي.

في النهاية، وبعد أن خسرنا علمنا الرجمانية القديم، فلنحرب قليلًا من الغاية وكثيرًا من النضال، لنعلن صلح به حال الأمة.

نادر جرجاني

الإجراءات اللازمة للحفاظ على الأمن والاستقرار في العراق، بما في ذلك منع الإرهاب، ولكن إهملت الأقوال والاتجاهات بعد ذلك حول مدى صلاحية الحكومة العراقية الحالية في تصديق مدّة بقاء القوة أو التحكم في عملياتها. وقبل انتهاء مددوات المجلس، أعلن وزير الخارجية مددوات منفردة، أن الحكومة العراقية المؤقتة لن يكون لها حق الاعتراض على العمليات العسكرية للقوة متعددة الجنسيات. ويمنح المشروع كذلك على ترتيبات معاملة فيما يتعلق باستمرار الإشراف الدولي على عمليات النفط. وقد أسعرت تعييرات الحكومة العراقية المؤقتة (نهاية مايو ٢٠٠٤) على غلبة المرشحين وشيخية السلطة بالإدارة الأمريكية الحالية، خاصة أجهزة استخباراتها، ومجلس الحكم الانتقالي المين من قبل سلطة التحالف، على نوازل قوى الميوت الخاص لألمين العام للأمم المتحدة، ما يشكك في الخبرة لا تستعمل المنظمة الأمريكية في ترويب عدم حالها الاحتلال الأمريكي، البريطاني تحت مظلة مؤنوة وبوسيط عرب، الأمر الذي يظل من مصداقية في عهد العراق منها في بناء مجتمع العصب والحكم المأمول من اليد العربية إلى ضمان حقوق العرب المشروعة في الوطن العربي على وجه الخصوص، كما قام بتشكيل الحكومة على نسق التقسيم الطائفي واللي الذي اعتمد لتشكل مجلس الحكم من قبل سلطة التحالف، لا احتلال، ما يربط عن تكريس الطابع الفصائلي للعراق، بدلاً من وحدة المواطنة العراقية، بعد انقلاب السلطة الأمنية العراقية (١٩٨٤) وصعد قرار مجلس الأمن (١٥١٤) بالإجلاء (٩ يوليو) مفوضا القوات متعددة الجنسيات للتحقق من وجود انتهاكات وانتداب الملائمة للتحقق من أمن واستقرار البلاد.

وعلى الحكومة العراقية من الاعتراض على عملياتها العسكرية، وسعد مودع إجراء الانتخابات نهاية يناير ٢٠٠٥. بعد جارات النتائج، خاصة فيما يتعلق بطبيعة الحكومة العراقية المؤقتة، وشخصياتها، كما تملك ما دعا إليه الأخير، وهو العراق الإبراهيمي، ويتشبهه كثير من الخبراء، فرضت الإدارة الأمريكية كل خياراتها، وأعلن لها «الأخضر الإبراهيمي» دورها، من حراج أو اعتراض، حتى أصبح العراق بعد تسليم السلطة، نسخة مكررة من أفغانستان، نقلت السلطة إلى العراق في مسرعة حرت في غرة ليلة شارك فيها عدد محدود من القوات، وأسلم فيما عيّن للاستخبارات الأمريكية لخصاصه ورق مصفاة من مؤلفات أمريكي دون المستوى الرفيع كان جبال العراق الجليل لأكثر من عام، وأي معاملة.

تمنح في تسخير المنطقة، شيعية للهيوة العربية في محيط الخليج أوسع يتخلل من هوس «الإرهاب الإسلامي».

## ماذا جرى في العراق؟

لاشك عني في أن غزو العراق واحتلاله يمثل بداية الخطط الأمريكية لإعادة تشكيل المنطقة العربية، والعالم عبرها، خدمة لشروع «القرن الأمريكي الجديد». فقد، ثبات كل ذراع احتلال العراق المحتلة، ولم يبق منها إلا الاستيلاء على ما يمكن أن يتحول إلى أكبر مخزون نفطي في العالم، وصمان أمن إسرائيل، ومقاومة الإرهاب في مناحه، كما يتصورها سادة الإدارة الأمريكية الحالية. وعلى وجه الخصوص، أضحت لعبة التشرير والازعاج لتعب العراق، مرحلة ساهمت في تفهكت. ومن هنا فإن حاله العراقية تعدى حدود العراق إلى التأثير على مقدرات الوطن العربي بأكمله، فماذا جرى؟

على حين بدأ (أي منتصف أبريل) أن الولايات المتحدة على استعداد لبدء خطة ميوت الأمن العام للأمم المتحدة لتفكيك السلطة للعراق، والتي تتخلل من استمرار نفوذ مجلس الحكم الانتقالي لصالح تكوين حكومة عراقية من شخصيات مشهورة لها نهد لاتجاهات في مطلع ٢٠٠٤، تحت رعاية المنظمة الدولية. كانت أصوات (٢٠ أبريل) من الإدارة الأمريكية الحالية تقلل من قدرة العراقيين على حفظ الأمن، من دون مساعدة خارجية، (الحاكم الأمريكي «بورير»، وأى رعاية الأمم المتحدة لا تشكل حلاً حرجياً لاحتلال الأمن في العراق (مستشاراً إلى القوى «وايبر»)، في نهاية مايو ٢٠٠٤، قدمت الولايات المتحدة وحلفائهم المملكة المتحدة بشروع قرار مجلس الأمن بشأن العراق، وتعمس المشروع الذي قدم قبل تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة، بما في ذلك غزو ولو الحكومة ستقدم مجلس الأمن لبقاء قوة متعددة الجنسيات في العراق. وكان مشروع القرار ينص على أن تبقى قوة متعددة الجنسيات، تحت قيادة أمريكية، في العراق على الأقل لمدة عام، فاقبل لتفديد.

في البداية كان المشروع ينص على أن للحكومة العراقية أن يطلب إنهاء تواجد القوة في العراق وبطريقة إنسانية، والطلب (وهو من هذا يعني أن بقاء القوة سيؤهل على أن ترويه الإدارة الأمريكية) مسبباً احتلالها كل قطع الفصا في المجلس، ويتيح للفرق أن يتحدث جميع

السياسة، انظر في حالة «نصون ماندبيلا» مثلاً، وإلى أين أوصلت جنوب إفريقيا التي تنازلت مصر لها مؤخرًا، ويحق في تقديره، من مقر البرلمان الأفريقي.

## هل «البرجماتية» ميزة؟

في ظل علاقات قوة هيروية وفاسدة، يمكن أن تكون البرجماتية ميزة، ولكن فقط لصاحبها. إذ إنها تأتي على الأغلب وبلا في المبادئ ومصالح المستعفيين حيث لسود في النهاية قيم ومصالح القوى المهيمنة على هذه البنى القوية والعامدة، لكن يمتلك البراميتيون دوماً، بحكمة عدم إصاعة المكين من أجل المستحيل (المجازية بلعة الفلاس).

هكذا كانت دعوة «نيكولو ميكافيللي» في إهداء كتابه «الأمير» إلى أمير ذلك العصر حين قال: «إن الرجال الكواكب لنيل رضا أمير يتقدمون له، في كل الأحوال، إن لم يخلصوا من مؤثرهم، أو مآلاتها التي يطمعون لها تتسدد بوجه خاص، والأنا لا أتوق لأني أقدم لفلتمتكم بشاهد، أمير دوستها بداب شديد، ومحميتها تروم طويل، والأنا بعد إن لخصتها في كتاب صغير، أرسلها لفضاحتكم.

وعلى غرار ذلك القران سيئ الحسنة جرت على الصعيد العربي دعوة «جيسر» للشجوة بين المحدث «الأمير» في المندبيات.

ولا مراء أن البرجماتية قد جرت على الأمة العربية كوارث لا تعد وتعمس، باسمها نادحت المنظمة العربية للتصالح مع إسرائيل، على بقائها عنصر ترويب وعزائتها، حتى أصبحت تعصير جباراً على العلم القديم من «النيل للفرات» وتغلغلها في العراق، خاصة في شماله في تحالف وشيق مع الأكراد، واستمرار سيطرتها على الأراضي الفصائلية المحتلة، بما في ذلك غرة ولو أصبحت منها موريا. كل ذلك والعرب غارقون في البرجماتية، يعلشون وراء المكين الذي لا يشفي للشعب العربي عللاً.

وباسم البرجماتية أيضاً تتدافع المنظمة العربية على التخصه لتقوى الأهمية على الصعيد العالمي، خاصة في الأنظمة، إذ اعتنقت قيادات أسلوب الاستسلام الاستباقي، ويعمل بعضها على تقويض جامعة الدول العربية، على ملأها، وأصبحت مجموعة الثماني بقيادة الولايات المتحدة يقدم بدائل مرسومة للتصالح الإقليمي العربي، تدفع إسرائيل، من موقع

## حوار مع رئيس التحرير

قرأت في عدد المجلة الصادر في يوليو ٢٠٠٤ المقال الافتتاحي للمد بقلم الأستاذ سلامة أحمد سلامة الذي أتابع قراءته دائماً بكل الجدية والاحترام. نظراً لما تتميز به مقالاته من الشمول والعمق، والإدراك العميق لحسبونية الكلمة خصوصاً عندما تنطلق من اهتمام وطني وحس موضوعي واستقلال عن منابر السلطة وسراكر القوى، وحرص على أن تكون دائماً شعاعاً مضيئاً وهادئاً للقاء في زمن تداخلت فيه الرؤى وتضاربت وتناقضت حتى استحالت أمامه إلى سديم من الظلام والأوهام والاختلالات. لكل ذلك أرتد أن أتناول معه في بعض ما ورد في مقاله وذلك على الوجه التالي:

إن ثورة الاتصالات وما يطلق عليه العولمة حقيقة لا معنى لإنكار أو تجاهل وجودها. ولا مفر من التعايش معها والاستفادة من منجزاتها التكنولوجية، والتفاعل مع ما تطرحه من الأفكار وهو ما أتمتع عليه مع الكتاب، ولكن هل يعني ذلك أن نتخلى الشعوب عن هويتها الثقافية والحضارية وتتنازل عن انتماءاتها الوطنية والقومية، وتضع على قائمة أولوياتها السياسية والاقتصادية والثقافية ما تطرحه العولمة عليها من مقترحات؟ ذلك ما لا أتفق معه فيه

إن تصوير الأمر على ذلك النحو يجعل من العولمة قدراً حتمياً لا مفر من الخضوع لكل أحكامه، إذ ماذا تجدي المقاومة وطوفان العولمة قادر على زعزعة أركان السلطة مهما بلغت قوتها وجبروتها، ولا قادر على اختراق الحواجز والدول. وما أهمه أن العولمة هي التجلي المعاصر لآخر مراحل الرأسمالية حيث الشركات متعددة الجنسيات تتجاوز الحدود القومية للدول، وتهيمن على السوق العالمي استفزازاً لموارده وطاقتها، وسعياً إلى التغلغل الثقافي والإعلامي في عقول البشر في كل القارات، بحيث يتحولون إلى جمهور من المستهلكين الباحثين عن متعة الطعام الجاهز والمليب، والمواضات المتجددة للملابس، وأوهام الرفاهية. وطموحات التطلع الفردي

للمتأكل جرياً وراء إغواء العصرية، المخترلين دائماً داخل التعمات ضيقة أسرية أو عائلية أو طائفية، والذين تختلط عندهم وفق برامج دعائية مقصودة التوائت والمتمزجات وما هو جوهري وما هو عرضي.

ويشير الكاتب إلى أن ثقافة مجتمع المعرفة ثقافة مختلفة عن الثقافة التقليدية بمعانيها وأدائها وتقنياتها المتقدمة، ويكتب أن صناعة اللهو والتسلية هي جزء من الثقافة الحديثة.

وتعليقي على ذلك أن الثقافة بالمعنى الصحيح تشمل العقائد والأفكار والرؤى والمفاهيم، والثقافة بالعلمي الواسع تشمل كل ما أبدعته الشعوب من رؤى سحرية وأسطورية وفلكلورية، أو ما يطلق عليه الكاتب اسم الثقافة الحديثة، فيتمسك ما توفره التقنيات التكنولوجية من عوامل الإبهام والإشارة والتمسك البصرية والسمعية وسطحات الخيال الذي توفره أجهزة الكمبيوتر وهو مالا يصنع ثقافة حقيقية تثرى عواطف الإنسان وعقله ووجدانه، وترقى بذوقه وحسه الأخلاقي والحضاري، وتعزز انتماءاته الوطنية والإنسانية، وتمنحه القدرة على الارتقاء فوق العصب والجمود العقائدي وعبادة الذات واحتقار الآخر.

أما بالنسبة لما طرحه الأستاذ سلامة بشأن مبادرات الفكر الفردي أن ذلك يتجاهل البعد السياسي للموضوع الذي أدى إلى تهجين ومحاورة تأثير المثقفين المبعين الوطنيين التقدميين الذين يترفعون من نفاق الأنظمة أو التحالفات على فصلات المفلس، فأود أن أقول إن هناك عديد من المثقفين الجادين المحبين لمصر شعباً ووطناً وتاريخاً والذين يعرفون قهراً موقفاً وموقفاً وفدرة على التأثير في محيطها، والذين يملكون من الرؤى والأفكار ما يكفل بمتشاكلها من إزالتها واختلافاتها لكنهم محرومون من فرص التواجد والتأثير على الجمهور العريض من خلال منابر ثقافية وعلمية مستقلة.

مات الدكتور شكرى عياد الأستاذ

الجامعي والبلد والناقد والباحث والحاصل على جائزة الدولة التقديرية دون أن يتمكن. بسبب عرائيل أمية - من الحصول على ترخيص بإنشاء شركة للطبع والنشر كان يخطط من خلالها لإصدار مجلة ثقافية جادة.

محمود عبد الوهاب  
قاص وثائق أدبي



## طاعة الله وطاعة الحاكم

قرأت مقال الأستاذ سلامة أحمد سلامة في عدد (يونيو الماضي) عن الوجه الآخر للإرهاب والأختلافات بين الدول الفنية والدول النامية في أسلوب مقاومتها. وأتفق مع الكاتب في أن القوة الوحيدة على الأرض التي يمكن أن تصحح الموقف الخاطئ هي الضبط. لكنني تعجبني ظاهرة الخلال عندما قال الكاتب إن الناس لا زالوا يمتدقون أن طاعة الحاكم من طاعة الله. وأنا لا أجد خطأ في ذلك طالما كان الحاكم عادلاً. وفي الإسلام لا طاعة لمن يسلك غير ذلك.

محمود هلال  
سائق تاكسي

طاعة الحاكم من طاعة الله إذا كان هذا الحاكم يحكم بضرع الله لا يواني الضمانية ولا يساهم ويمسكهم من العيت بأمن بلاده تحت دعوى السلام. إذا كانت زوجته حقاً تشمل النساء المسلمات ولا تمتسك من ليس الحجاب الذي فرضه الله على النساء كافة دون تمييز لا أن تأمر بمنع ارتداء الحجاب في المؤتمرات التي تحضرها على لرفع الحرج الذي أصابها عند سؤال إحدى الغربيات لها عن السبب في عدم ارتداء الزى الإسلامي.

عزة  
طبيبة أسنان

## الهند والولايات المتحدة

بالإشارة إلى مقال رئيس التحرير في عدد مارس الماضي عن الهند أود أن أبدى إعجابي الشديد بمقال وكتابات الأستاذ سلامة بشكل عام.

إن المقال الذي كتبه الأستاذ سلامة عظيم حقاً، إن هناك ما يسمى الآن بتصدير الوظائف الأمريكية إلى الهند الأمر الذي يدير مبادرات الولايات على الهند.

وقد استفادت الشركات الأمريكية في الطفرة السريعة في الاتصالات والإنترنت فاستأجرت الهند وهم في وطنهم لكي يعملوا لديها. ويتلك توفر هذه الضرائب مع العمل المرتبات وفي الضرائب، مع أجمل تحياتي للكاتب.

حسان عوض حسان  
رجل أعمال مصري  
مقيم في أمريكا

أعجبني تحليل الأستاذ سلامة أحمد سلامة الموضوع جيداً، مقالته في عدد يوليو الماضي، لكن بصراحة أصعب بحبيبة أهل بيت لم والطريق إلى تطبيقه عملياً صعباً عملياً على مستوى الأفراد والجماعات بعد أن انقطع الرجاء من الساسة الفداة.

هسل الحل هو الهروب من المجتمع وانتظار الدجال الأكبر بعد أن شربنا من صفار أتباعه أو الهدي المنتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمرام الحل إفساء خلاياها للفسادة بعد أن صسر التنسيق معها بمسبب الحصار هذا حل آخر.

علي داود  
الإسكندرية



## كتاب الزاوية



سندباد إلى الغرب

مدينة للنساء

الم تلاحظ أبداً امرأة مفرمة؟ أرايت كيف تزداد تعلّقاً  
بجمالها وكيف يكاد الحب يضىء كل ركن من أركان كيانها؟  
ثم هل رأيت المرأة في بهو وقد أحاط بها المعجبون؟ إن لم  
تكن رأيت هذه أو تلك فإنك لم تر امرأة جميلة في حياتك.  
فالجمال ليس صورة أو دمية. الجمال حركة وتيارات  
وإشعاعات أكثر مما هو تتأسق. ومن الإشعاعات ما ينبعث  
من المرأة نفسها، ومنها ما ينبعث من مشاعر الرجال حولها.  
والمرأة في بوخارست هي أجمل نساء العالم، لا لأنها  
تحوّز جائزة الجمال العرقي، بل لأن حركاتها وتياراتها  
وإشعاعاتها ناشئة عن إيمانها بفضيلة واحدة.. هي الفضيلة  
الوحيدة في ناموس المرأة.. تلك هي فضيلة الحب، لا حب  
الشعراء مصفري الوجوه، ولكن حب الرجل الذي يفهم  
الجمال ويقس فضيلة المرأة بمقاييسين؛ مقياس اهتمامها  
باجتذاب جنس الرجل أولاً، ثم مقياس جمالها المطلق ثانياً.  
هل لاحظت أن النساء اللاتي اشتهرن بتدويخ الرجال  
لسن من الجمال بالدرجة التي تتناسب مع الأدوار الخطيرة  
التي لعبنها؟ ذلك لأننا لا نراهن غالباً إلا في الصور، ولأن  
الجمال كما قلت لك لا يقاس بمقياس واحد، وهو ما أسميه  
الجمال المطلق، وإنما بمقياس أكبر خطراً، هو ملكة اجتذابه  
للرجل.

aljazeera.net

للتعليق على ما ننشره المجلة يمكنكم زيارة موقعنا على «الجزيرة نت»  
<http://www.aljazeera.net/wejhat/comments.asp>

### الصفر والقيمة

سعدت بها بدرجة لا تتخيلوها وأطلب  
منكم أن لا تتوقفوا ولا تذنبوا بعيداً  
فيفضلكم نظل صلتى بالعالم العربي  
ما زالت قريبة، وبصراحة أحترم كل ما  
تقومون به من عمل.. أنا لا أعدل  
عليكم أو أضيف عليكم أي شيء ولكن  
انتم من المجالات التي لها صدى في  
الوطن العربي كله لذا سأفترض على  
سيادتكم اقتراحاً هو أن تفتحروا على  
المكتبات المصرية أن تشجع الشعب  
المصري على القيام بأعمال تطوعية  
في المكتبة ولو يوم واحد في الأسبوع  
تشجيعاً على اتساع الثقافة وتشغل  
الشباب الصغير في شيء مفيد هذه  
من الأفكار التي رأيتها هنا وكما أحب  
أن أرى مصر العزيرة تقوم بها.

سرين رضا  
سكرتيرة

السلام عليكم أشرككم على  
اهتمامكم بالشؤون العربية  
والإسلامية. بعد ذلك أرجو منكم  
التكرم بقبول طلب بسيط مفاده:  
توفير نسخة من مجلة الكتب  
وجهاً نظراً على العنوان التالي:  
مختار محمد محمود، ص. ب. ٢٤٨٣  
جيبوتي.

مختار محمد محمود  
طالب

جزاكم الله خيراً على هذه النظرة  
الثاقبة وأكثر الله من أمثالكم في هذه  
الأمّة المتكوبة فانتم أمناً.

وديع  
مواطن موريتاني

قرأت مقال الأستاذ أيمن الصياد  
في عدد يونيو الماضي بمنوان، الصفر  
والقيمة.. أمة في خطر، ولم يزدني  
القال إلا إحياءاً عما هو موجود لدى  
بالفضل لما آل إليه حالنا كمعرب  
ومسلمين، لكنني أريد أن أسأل الكاتب،  
أما أن الألوان لكي يعرف الجميع عبر  
أعلام حر مواقف الدول العربية كل  
على حدة وبصراحة مما يدور حولنا  
وما نحن فيه؟ لقد سئمت الأخبار إلا  
الأخبار التي يصدرها المسؤولون في كل  
مكان من بلادنا العربية، وأنتم تدعون  
إلناكم عالمين بسواطين الأمور فريد أن  
نعرف له من حدثنا أن نعرف ليكون  
يكل فرد قناعته وأياه الشخصي فيما  
يحدث من حوله، لنرى الكثير من  
الأسئلة، ولدى الكثيرين أكثر وأكثر.  
أرجو ألا أكون قد أطلت وشكراً.

### كيف نبداً

رغم أننا نعرف تماماً أين هي  
الشكوك ونعرف أيضاً ما هو الحل.. إلا  
أننا لا نعرف كيف نبداً ومن أين يكون  
إصلاح الحال؟ نتفق على أن البقاء  
يجب أن يكون دائماً للأصلح ولكن كيف  
في ظل ما هو سائد من نظم وموروثات  
من فساد وواسطة وقيم تغليب الخاص  
على العام.. سيدي الفاضل إن الأمر  
يحتاج ثورة بكل ما تحمله الكلمة من  
معنى.. يكفي هذا ربما لن تقرأ هذا.

عماد طارق  
مقدم برامج التلفزيون

### اكتشفتم اليوم

لقد اكتشفت اليوم المجلة وكـ

## القانون.. والقوة.. والعدل

طوبى هم أولئك الفقهاء ذوو الشعر الأبيض الذين يعضون الساعات الطوال - وأشهر بطولها أحيداً - في جدل حول دقة مصطلح هنا أو لفظة هناك لتخرج النصوص التي تشكل بتراكبها مع اصطلاح على تسميته «قانوناً دولياً» في عبارات «جامعة مائة» كما يقول الماطقة العرب. طوبى هم - ربما - أو مفروطين في مثاليهم حينما يحتجون في القرن الحادي والعشرين بخصوص من قبيل «عدم شرعية احتلال أراض الغير بالقوة...» والتدخل في الشؤون الداخلية للآخرين... لاحظ ما جرى ويجري وسيجري في فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال والبوسنة والسودان... إلى آخر قائمة مرملة لا تبدو لها نهاية.

يعرف الفاروسون لفلسفة القانون إلا يصرّ لتقنين وضع قائم، أو لتقرير ما تقتض عليه الجماعة الخاضعة له أو المستفيدة من وجوده، تنظيمياً لأمرهم وتحديداً للعوازل والخطوط الفاصلة بين حقوقهم وواجباتهم. ويعرفون أن لا فائدة من قانون لا توجد آلية تطبيقه. ويعرف التاريخ أدوات مختلفة للاضطلاع بتلك الآلية، من جلود فرعون، بيدلته البالية ويون رياط، عنق تيسال، «هل أنا مجرم لأنني غرّبت الكويت، ويوش بطل لأنه غرّأ العراق».

ويضع النظر عن السؤال الذي بدا شكيبيري، فقد كان مثيراً أن تجد أصداؤه في كتابات أمريكية تساءلت عن الفارق بعد أن قررت لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الأمريكي أن التقارير التي حدثت عن وجود أسلحة صار شامل في العراق والتي بحجتها ذهب الجنود الأمريكيون إلى الحرب، كانت خاطئة وكاذبة. وبعد أن اعترف دونالد رامسفيلد - بكل جرأة - أمام شاهدي فوكس نيوز أن الإعلان عن وجود تلك الأسلحة والصورة التي تم تقديمها بها إلى الأمم المتحدة «اقتصد البقة» وكان وهماً.

«هل الفارق...» من الأختار ومن الأشرار؟ يتساءل كريستوفر ديكي في التيزويك، مقررًا أن «سيادة القانون، أصابها الوهن عند كل خطوة على الطريق إلى بغداد».

وكانت المشكلة دائماً في القانون الدولي، بعد أن ظهر مفهومه واستقرت أوضاعه تتمثل في الليات تطبيقه. ومن ثم في الجهة (الشرطة) التي من القترض أن تضطلع بالتنفيذ.

ولزم - طلال أو قصر - بدا أن توازن القوى يوسعه أن يتكفل بالمهمة، وإن «رداً لا عقاباً». وبدا أن «الأمم المتحدة» قد تنظم الأمر بدرجة أو بأخرى. وكانت «الحكمة الجنائية الدولية» التي أحتاج إنشاؤها لجهد وسنوات خطوة بدت لازمة لتثبيت دعائم هذا النظام.

ثم كان أن جاء قرنٌ جديد. والنظام الدولي «التوازن» تنهار دعامته واحدة بعد أخرى. ورويدا ورويدا لاح في الأفق - عبر المحيطات - ما بدا أنه حكومة «مركزية» أو فتنل «عولمية» وسرعان ما أعلن القاضون عليها، بالقول والافعل، وصراحة يحسدون «أ. ن. حسد نحن» عليها، أنهم ماضون لأخذ كل الأمر بأيديهم. وكان أن ارتدوا - علناً - شارة شرطي العالم، «لدينا مهام في أربع وستين دولة...» كما قال جورج بوش. الذي اعتقل كويتي في باكستان وأرسل طائرته لتدمر - دون محاكمة - مشتبه فيهم يستقلون سيارة على طريق في صحراء اليمن. ثم هاهو ينق الطبول على الطريق إلى دارفور.

نظرياً... وما كان القانون «الدولي» قد صارت له «شرطة دولية»، إلا أن الواقع لا يأتي عادة مديناً للآراء. كما أنه - بطبيعة الحال - ليس نداناً لحساب، الأزمات.

فها هو - الشرطي الدولي، لحكمته قضاة، ورواجاتيته، وجوهه منذ أن نشأت دولتهم قبل مائة عام فقط يمثل في «إدلاء القوة» شعاراً... وقانوناً غير مكتوب. ولكنه معروف للكل. تعرفه شوارع نيويورك وفيافي تكساس ومن الدبابات، والمطافئ، «بالت شك من الأرض بقشر فترة مصالكت على الركن» - وقوة سلاحك في الصفات عليها - ويحتره مفكرون «أمريكيون» كثيرون يبنون إلى «نحن» الإفراط في القوة.

بأنها ضد الإنسانية. وكانت الجهود الأمريكية لإعطاء جودها تلك الحصانة لم تتوقف على مدى الأوامر الماضية. بتواطؤ معيب من دول خليفة أو طامعة. وهي الجهود التي وصفتها منظمة العفو الدولية في تقرير أخير بأنها «يمكن أن تقوض النظام الجديد للعدالة الدولية».

٣. في واشنطن قررت المحكمة العليا الأمريكية (أخيراً) أن سلطة القضاء الأمريكي تصل إلى المعتقلين في خليج جواتنامو. وأنه يجب إعطاء المعتقلين فرصة تحدى أسباب اعتقالهم أمام قاض فيدرالي أو «صانع قرار محايد». لتكشف كيف أن «روح القانون توارت لثلاث أعوام كاملة أمام غيبان القوة المدعومة بشعائر الأثار والانتقام».

٤. في بغداد وفي أولى الجلسات الإجرائية لما وصفه البعض - استيقافاً - بأنه سيصبح محاكمة القرن، وفي تلك القاعة «السرية» في مكان ما من العاصمة العراقية، طفت تساؤلات سقراط الأثينية عن «نسبية العدل»، وخرج صدام إلى شاشات التلفزيون ببذلة البالية ويون رياط، عنق تيسال، «هل أنا مجرم لأنني غرّبت الكويت، ويوش بطل لأنه غرّأ العراق».

ويضع النظر عن السؤال الذي بدا شكيبيري، فقد كان مثيراً أن تجد أصداؤه في كتابات أمريكية تساءلت عن الفارق بعد أن قررت لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الأمريكي أن التقارير التي حدثت عن وجود أسلحة صار شامل في العراق والتي بحجتها ذهب الجنود الأمريكيون إلى الحرب، كانت خاطئة وكاذبة. وبعد أن اعترف دونالد رامسفيلد - بكل جرأة - أمام شاهدي فوكس نيوز أن الإعلان عن وجود تلك الأسلحة والصورة التي تم تقديمها بها إلى الأمم المتحدة «اقتصد البقة» وكان وهماً.

«هل الفارق...» من الأختار ومن الأشرار؟ يتساءل كريستوفر ديكي في التيزويك، مقررًا أن «سيادة القانون، أصابها الوهن عند كل خطوة على الطريق إلى بغداد».



شرعية الغاب في إن. لا فرق. تقريباً. بين عدى «التوحش» و«مستبد» «الحداثي»، أو قائده المبدئي في العراق. فذات يوم وجد الأول في محاكمة معه حسين كامل المجيد بتهمة الحياة العظمى، ثراً لا لزوم له فغربه وقضى عليه في منحة عائلية دموية شهيرة. وفي الموصل - حيث احتيا - وجد ال Terminator أن لا معنى لحاكمه «أوراق الكونشينة» فاستعمل إطلاق ٢٠ صولواً وضربات القذائف على «الشقيين» وفعل في الرابعة عشرة من عمره، في منحة عائلية «أكثر عدلاً وأكثر حداثة».

كان لا فرق. دموية. بين الغاية والحدادنة. بين مكان وماهو حاضراً في التفاصيل. فالحال هو بعد التعامل الوحدية تقريباً. و«معدت الأقوى» فللك أن تستعمل قوته «الآن وفراً» - فضاء تكت صدام أو رامسفيلد أو شارون أو الزرقاوي، لن تصعب بحاجة إلى ترف القانون والحكام الخلة السخيفة. فمادت يدك على الزناد، يصبح القانون قانونك. أو لا يحرر نفسك القوة قانونك. ويتجسد القاضي في إصبعك على الزناد... وعذرا لأصابع الأبواب السوداء.

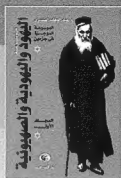


هل يمثل شارون «القوى» لا قررة محكمة العدل الدولية؟ وهل يدفع بوش «الأقوى» تمن إضعاف حراً غير شرعية، و«ميجرات ثبت كنهها؟ وهل يقبل الأمريكيون أن يتساووا ببيضة البشر أمام المحكمة الجنائية الدولية في حال ارتكابهم لجرائم ضد الإنسانية؟ وهل يعرف حالمو السامطير الذين جات بهم «السياسات الأمريكية الخرفاء» في العراق أن لدن الإنسان حرمة؟

الإجابات معروفة. ومعها يصبح القلق من أن تحتل القوة الطاغية مكان العدل مشرعاً. بل ويصبح الأكثر مدعاة للقلق (لاحظوا) الانتفاخ الأمريكي على قانون المحكمة الجنائية الدولية بشرطه (بديلاً) أن يأتي اليوم الذي يصبح فيه القانون نفسه قانون المنتصر... أو بالأحرى قانون القوة. وهذا للأسف درس التاريخ.

## أيمن الصياد

# أحدث الإصدارات من دار الشروق



## تخلب من

دار الشروق ٨٠ شارع سيدنا بولس - مدينة نصر - القاهرة ١٠٠٦٦٩٩ - مكتبة الشرق ١٠ ميدان طلعت حرب - القاهرة ١٠٠٦٦٩٩  
ومكتبة الشروق - مبنى قريحت أمام حديقة الحيوان ٢٥ في الجيزة - مبنى رقم ١٩ كليتون ٣٧ - ٥٧٥٠٣٧

لما يشتكم شرها لا تتردد  
[www.daralshorouk.com](http://www.daralshorouk.com)

فقط مع البنك العربي .. قروض ميسرة تصل إلى

٢٥٠,٠٠٠ جنييه مصرى



برنامج جيت كاش



قرض الأطباء



قرض موظفى البنوك



القرض النقدي



قرض السيارة المستعملة



قرض السيارة الجديدة



إصدار بطاقة صراف آلى

وتمتع بإمكانية



الحصول على خدمات  
إلكترونية فريدة

اتصل الآن على ١٩١٠٠ أو ٣٣١٩٩٢٢

يومياً من صباحاً حتى مساءً

www.arabbank.com

البنك العربى

أكبر شبكة مصرفية عربية

